

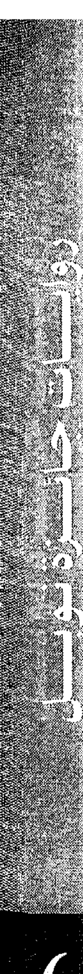
روايات جائزة نوبل

6



الدار المصرية اللبنانية

ترجمة عبد الحميد الجمال



6

روايات جائزة نوبل

سلسلة تصدرها

الدار المصرية اللبنانية

المدير العام : محمد رشاد

رئيس التحرير : فتحي العشري

الإعداد والصياغة : محمد فتحي

١٦ شارع عبد الخالق ثروت ـ القاهرة

تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣

فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو

ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة

رقم الإيداع : ٣٣٢٠ / ٩٤

الترقيم الدولي : 4 - 132 - 270 - 977

الطبعة الأولى : ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤ م



LORD OF THE FLIES

وليام جولدينج

نوبل / 1954

ترجمة عبد الحميد الجمال


الفصل الأول

صـــوت المحـــارة

أنزل الولـــد ذو الشعــر الأشـــقر نفسه عبر الأقدام القليلة المتبقية من الصخرة، وبدأ يشق طريقة نحو « اللاجون » وبرغم أنه كان قد خلع «السويتر» المدرسى الخاص به وجره حينئذ من أحد كميه فإن قميصه الرمادى التصق بجسده كما التصق شعره بجبهته . فالصخرة المنخفضة الطويلة المحدقة به ، المغمورة قليلاً بالمياه والمهشمة فى وسط الغابة الكثيفة كانت مثل حمام تشع منه السخونة والحرارة . وبينما كان يتسلق ويشق طريقه بصعوبة بين النباتات المتسلقة والجذوع المكسورة إذ حلق طائر لأعلى بسرعة خاطفة كالوميض فى شكل كتلة من اللون الأحمر والأصفر ، وصدرت عنه صيحة مثل صيحة الساحرة . وتلت هذه الصيحة صيحة أخرى :

– « هاى .. انتظر قليلاً » ، ثم اهتزت النباتات العشبية القصيرة فى الغابة عند حافة الندبة الغائرة ، وعندئذ تساقطت قطرات لا حصر لها – قطرات المطر – محدثة قرعاً خفيفاً لدى تساقطها .

وقال الصوت :

– انتظر قليلاً ، لقد وقعت فى حبائل النباتات المتسلقة .

فتوقف الولد الأشقر وهز أكياسه الشبكية المليئة باللعب والحلوى فى

حركة تلقائية ، مما جعل الغابة الصغيرة تبدو للحظات وكأنها المقاطعات المحيطة بلندن .

وتحدث الصوت مرة أخرى :

– إننى لا أستطيع التحرك بسبب وجود كل هذه النباتات المتسلقة .

وتخلص صاحب الصوت من الأعشاب القصيرة المحدقة به ، حتى إن لأغصان راحت تخدش حاجزاً للريح آملسَ . وكانت الانثناءات العارية فى ركبتيه ممتلئة ومتشابكة مع النباتات المتسلقة ومخدوشة بسبب الأشواك ، وانحنى لأسفل وأزاح الأشواك فى حرص وعناية واستدار متلفتاً . لقد كان أقصر من الولد الأشقر ، وكان سميناً للغاية ، وتقدم للأمام وهو يبحث عن مواضع آمنة يطؤها بقدميه ، وبعدئذ رفع بصره لينظر من خلال نظارته السميكة ، وتساءل :

– أين الرجل الذى معه مكبر الصوت ؟

فهز الولد الأشقر رأسه وقال :

– هذه جزيرة ، إنها على الأقل جزيرة على ما أظن ، وتلك الأشياء الموجودة هناك فى البحر هى شُعَب مرجانية ، وربما لا يوجد هنا فى أي مكان أى أناس كبار .

فظهر الذعر على وجه الولد السمين . وقال :

– كان هناك ذلك الطيار ، ولكنه لم يكن موجودًا فى « كابينة » المسافرين، وإنما كان هناك فى المقدمة .

وكان الولد الأشقر يحملق فى الشعب المرجانية وقد أغمض عينيه بعض الشىء ؛ ليتجنب الضوء القوى .

واستطرد الولد السمين :

– كانوا جميعاً من الصبية ، ومن المؤكد أن بعضهم قد نجا وأفلت من الموت ، لابد أن بعضهم قد نجا من الموت . . أليس كذلك ؟

وبدا الولد الأشقر يخطو فى حرص وحذر بقدر المستطاع نحو المياه . وحاول التظاهر بعدم الاكتراث والخشونة فى تصرفاته ، والتظاهر بأنه لا يشعر بعدم التسلية . ولكن الولد السمين هرول وراءه . وتساءل :

– ألا يوجد هناك أى أشخاص كبار على الإطلاق ؟

– لا أظنك ذلك .

قال الولد الأشقر قوله فى وقار وجدية ، ولكن بهجة تحقيق آماله ومطامحه اجتاحته آنئذ ، فوقف على رأسه فى منتصف الندبة الغائرة وابتسم للولد السمين وقال :

لا يوجد أشخاص كبار .

– وذلك الطيار .

فسمح الولد الأشقر لقدميه بالنزول ثم جلس على الأرض الشديدة السخونة وقال :

– لابد أنه قد حلق بعيداً عقب إسقاطنا ؛ إذ لم يكن بمقدوره الهبوط هنا حتى ولو كانت طائرته لها عجلات كبيرة .

- لقد وقع علينا هجوم !

- من المؤكد أنه سيعود إلينا .

فهز الولد السمين رأسه :

- عندما كنا ننحدر فى هبوط وتهاو نظرت من خلال إحدى النوافذ فشاهدت الجزء الآخر من الطائرة وقد تصاعدت منه ألسنة اللهب .

ثم نظر فى استهجان إلى الندبة الغائرة :

- وهذه هى ما فعلته الكابينة .

ومد الولد الأشقر يده ولمس الحافة المشرشرة لجذع شجرة ، وبدا عليه أنه يشعر بالتسلية للحظات .

وتساءل :

- ماذا حدث لها ؟ وإلى أين وصلت الآن ؟

- لقد جذبتها تلك العاصفة نحو البحر . ولم يكن الأمر خطيراً للغاية حيث لم يتساقط سوى ثلاثة جذوع أشجار فقط ، ومن المؤكد أن بعض الصبية كانوا لا يزالون موجودين فيها .

وتردد للحظات ثم استطرد :

- ما اسمك ؟

- رالف .

وانتظر الولد السمين متوقعاً أن يسأل هو الآخر عن اسمه ، غير أن التعارف لم يتم ، إذ ابتسم الولد الأشقر المسمى « رالف » ابتسامة باهتة

ونهض واقفاً على قدميه وبدأ يشق طريقه مرة أخرى نحو « اللاجون » فسار إلى جواره الولد السمين وقال :

أتوقع أن يوجد عدد آخر من الصبية مبعثرين هنا وهناك . . ألم تشاهد أى صبية آخرين ؟

فهز « رالف » رأسه وزاد من سرعته فى المشى . ثم تعثر فى أحد الأغصان ووقع على الأرض .

فوقف الولد السمين لاهث الأنفاس ، وقال موضحاً الأمور :

– لقد نصحتنى عمتى نظراً لإصابتى بمرض الربو .

– مرض الربو ؟!

– نعم ، فأنا لا أستطيع الإمساك بأنفاسى . . ولقد كنت الولد الوحيد فى المدرسة المصاب بمرض الربو .

قال الولد السمين عبارته تلك فى شىء من الزهو والافتخار ، واستطرد قائلا :

– كما أننى أضع نظارة على عينى منذ أن كان عمرى ثلاثة أعوام .

وخلع نظارته وعرضها على « رالف » وهو يرمش بعينيه ويبتسم ، ثم راح ينظفها ويمسحها فى حاجز الريح المتسخ الخاص به ، وأدت تعبيرات الألم والتركيز الداخلى إلى تغيير الخطوط الخارجية الشاحبة لوجهه ، وأخذ يمسح العرق عن خديه ، ثم وضع النظارة بسرعة على أنفه قائلاً :

– تلك الفواكه .

وألقى نظرة سريعة على الندبة الغائرة وقال :

- تلك الفواكه . . إننى أتوقع .

ثم ثبت نظارته على عينيه وسار مبتعداً عن « رالف » وجثم بين أوراق الشجر الخضراء المتشابكة وقال :

- سأخرج مرة أخرى فى خلال دقائق قليلة .

وفى حرص وحذر حرر « رالف » نفسه من أعواد النباتات ، وشق طريقه بين الأغصان . .

وبعد لحظات قليلة كان شخير الولد السمين يترامى وراءه حيث كان يتجه بسرعة نحو الحاجز الذى لا يزال يمتد بينه وبين « اللاجون » وتسلق على جذع مكسور وخرج بذلك من منطقة الأحراش والأدغال .

وكان الشاطىء البكر زاخرًا بأشجار النخيل . . وكانت تلك الأشجار واقفة أو مستندة أو مائلة فى مواجهة الضوء ، وكانت ملامحها الخضراء توجد على ارتفاعه مائة قدم فى الهواء ، وكانت الأرض تحتها بمثابة شاطىء رملى مغطى بالأعشاب الخشنة الجافة الممزقة فى كل مكان بسبب التمرد الفجائى للأشجار المتساقطة . وكانت ثمار جوز الهند التالفة وشجيرات النخيل الحديثة مبعثرة هنا وهناك بين تلك الأعشاب . وخلف هذا لم يكن يوجد سوى ظلام الغابة والفضاء المكشوف للندبة الغائرة .

ووقف « رالف » وقد وضع يده على جذع رمادى وأغمض عينيه قليلاً فى مواجهة فيض المياه اللامعة المتلألئة . وهناك بعيداً على مسافة ميل تقريباً كان الزبد الأبيض يرتطم فى هياج على سلسلة الصخور المرجانية القريبة من سطح الماء ، ووراء الزبد كان يوجد البحر المكشوف بمياهه الزرقاء الداكنة . وفى نطاق مساحة مائة المتر المربعة غير المنتظمة من الشعب المرجانية كان

«اللاجون » لا يزال يبدو كأنه بحيرة جبلية تضم بين طياتها جميع درجات اللون الأزرق ، بالإضافة إلى اللون الأخضر الظليل واللون الأرجوانى و«البلاج » الذى يقع ما بين أرض النخيل المرتفعة المستوية ومياه البحر ، كان بمثابة شريط ضيق لا نهائى على ما يبدو ؛ لأنه على يسار « رالف » كان منظر النخيل والمياه « والبلاج » يجذب المشاهد إلى نقطة ما فى اللانهائية ، أما الحرارة والسخونة فتكاد تكون مرئية باستمرار.

وقفز هابطاً من فوق ذلك المكان المرتفع ، وكانت الرمال كثيفة فوق حذائه الأسود ، وهاجمته حرارة الجو فى عنف ، فبدأ يشعر بثقل الملابس التى يرتديها ، فركل الرمال بقدميه فى عنف ، فطار حذاؤه من قدميه ، ومزق جوربه الذى يوجد به ذلك الرباط المطاط بضربة واحدة ، ثم قفز صاعداً إلى ذلك المكان المرتفع ، وخلع قميصه ووقف هنالك وسط ثمار جوز الهند الشبيهة بالجماجم ، والأشجار ذات الظلال الخضراء المترامية ، وأشجار النخيل ، وقام بفك المشبك الثعبانى الشكل الموجود فى حزامه ، وخلع سرواله وبنطلونه ووقف هنالك عارياً وراح ينظر إلى مياه البحر والبلاج المبهر من شدة الضياء .

لقد كان يبلغ من العمر اثنى عشر عاماً وبضعة شهور قليلة ؛ ولذلك اختفى من جسده ذلك الكرش البارز الذى يصاحب عادة فترة الطفولة ، ولكنه لم يصل إلى سن المراهقة الذى يصيب المرء بالحيرة والارتباك وفقدان الثقة بالنفس ، وقد يتخيل المرء أنه ربما يصبح ملاكماً ؛ نظرا لاتساع وثقل كتفيه ، إلا أن عينيه وفمه كان يشع منها اللطف والرقة ، مما يوحى بأنه ليس شريراً . وراح يربت بيده على جذع شجرة النخيل فى رقة ، وبعد أن اضطر أخيراً إلى الاعتقاد بأن الجزيرة حقيقة واقعة أخذ يضحك فى ابتهاج مرة

أخرى، ثم وقف على رأسه ، وبعدئذ اعتدل واقفا على قدميه فى تناسق وقفز هابطاً إلى البلاج وركع وجرف كمية من الرمال ملء الذراعين ، وأخذ يكومها أمام صدره ، وبعدئذ استراح عقب هذا الجهد ، وراح ينظر للمياه بعينين شَرِقَتين مليئتين بالإثارة . وسمع صوتاً ينادى :

- رالف .

لقد نزل الولد السمين من على ذلك المكان المرتفع ، وجلس فى حرص وعناية مستخدماً الحافة كمقعد . .

آسف لانشغالى عنك كل هذا الوقت . إنها الفاكهة .

ومسح نظارته وواءمها على أنفه ، وكان إطار النظارة قد حز على قصبة أنفه حزاً عميقاً وردى اللون على شكل حرف (V) . ونظر نظرة انتقادية لجسم « رالف » الذهبى ، ثم نظر لأسفل نحو ملابسه ، ووضع يده على نهاية الزمام المنزلق الذى كان يمتد على صدره . وقال :

- عمتى الحبيبة !

ثم فتح الزمام المنزلق فى شيء من التصميم ، وجذب السترة الجلدية كلها على رأسه .

فنظر « رالف » إليه نظرة جانبية ولم يقل شيئاً ، فقال الولد السمين :

- أظن أننا نود معرفة جميع أسمائهم ونعد قائمة بذلك ، وينبغى علينا أن نعقد اجتماعاً .

ولم يفطن « رالف » إلى التلميح ؛ ولذلك اضطر الولد السمين إلى الاستمرار فى التحدث ، فقال فى شيء من الثقة ، وعلى نحو يوحى بأنه يأتمن « رالف » على الأسرار :

- لا يهمنى ما يدعوننى به طالما أنهم لا يدعوننى بذلك الاسم الذى اعتادوا أن ينادونى به فى المدرسة .

وشعر « رالف » بالتسلية بعض الشىء ، ثم تساءل :

- وما هو ذلك الاسم ؟

وألقى الولد السمين نظرة خاطفة من فوق كتفه ، ثم مال نحو « رالف » وهمس قائلاً :

- لقد اعتادوا أن يسمونى « بيجى » Piggy « الخنزير الصغير » فانفجر « رالف » ضاحكاً فى صراخ . . وقفز واقفاً :

- الخنزير الصغير ! الخنزير الصغير !

- لو سمحت - يا « رالف »

وأمسك « بيجى » يديه فى خوف من شىء مرتقب :

- قلت إننى لم أرغب . . .

- بيجى ! بيجى !

وحلق « رالف » راقصاً فى الهواء الساخن للبلاج ، ثم عاد مثل الطائرة المقاتلة وقد ألقى بأجنحته إلى الوراء ، وأطلق مدفعه على « بيجى » .

- شيى - أ - أو !

وغاص فى الرمال عند قدمى « بيجى » واستلقى هنالك ضاحكاً .

- « بيجى » !

فابتسم « بيجى » على مضض ، وشعر - على الرغم منه - بالسرور من مثل هذا القدر الكبير من الاعتراف . . وقال :

– طالما أنك لن تخبر الآخرين

فضحك « رالف » فى بلاهة ونظر إلى الرمال . فعادت تعبيرات الألم والتفكير العميق إلى الظهور مرة أخرى على وجه « بيجى » .

– شبه جافة ومذاقها ليس حلواً .

وأسرع عائدا إلى الغابة ، ونهض « رالف » واقفاً ، وانطلق مهرولاً إلى اليمين . .

وهنا كان « البلاج » يقطع فجأة بسبب الشكل المربع للمنظر الطبيعى . .

رصيف هائل من الجرانيت الوردى يشق طريقه فى ثبات بين الغابة والأراضى المستوية فى محاذاة البحر ، وبين الرمال « واللاجون » مشكلاً بذلك رصيف ميناء على ارتفاع أربع أقدام ، وكانت قمة هذا الرصيف مغطاة بطبقة خفيفة من التربة والعشب الخشن ، كما كانت تظلها أشجار نخيل صغيرة ؛ إذ لم يكن هناك قدر كافٍ من التربة بحيث يجعلها تنمو وتصل إلى أى ارتفاع من ارتفاعاتها المعهودة ، فما إنْ تصل إلى حوالى عشرين قدماً فى الارتفاع حتى تتساقط وتجف ، وتشكل بذلك كتلاً من الجذوع المتشابكة المتقاطعة المريحة للغاية لدى جلوس الإنسان عليها . أما أشجار النخيل التى كانت لا تزال واقفة فإنها كونت سقفاً أخضر اللون تغطت جوانبه السفلية بكتل متشابكة مرتعدة من « اللاجون » وتحامل « رالف » على نفسه إلى أن صعد على هذا الرصيف ، ولاحظَ وجود الظلال والبرودة فى الجو، فأغلق عيناً واحدة ، وتراءى له أن الظلال الواقعة على جسده كانت خضراء اللون بالفعل ، وسار فى حذر نحو حافة الرصيف من جهة البحر

ووقف هنالك يلقى بنظراته لأسفل نحو المياه . . لقد كانت مياه البحر صافية حتى القاع ومتلألئة بالنباتات المائية الاستوائية المزهرة ، وبالشعاب المرجانية . . وانساب سرب من السمك الصغير بسرعة فى خفة هنا وهناك ، فتحدث «رالف» وبدا السرور والبهجة على صوته :

- يا إلهى !

وفيما وراء الرصيف كان هناك المزيد من الفتنة والسحر والجمال ، فشىء من القضاء والقدر - ربما كان إعصاراً أو العاصفة التى صاحبت مجيئه - قد أقام كومة من الرمال فى داخل « اللاجون » مما أدى إلى تكوين بركة عميقة طويلة على « البلاج » لها حافة عالية من الجرانيت الوردى عند الطرف البعيد . . وكان « رالف » قد خُدع من قبل بالمظهر المعقول للعمق فى بركة بلاجية ، فاقترب من هذه البركة وهو يعد نفسه لأن يشعر بالإحباط ، غير أن الجزيرة كانت متخذة شكلها الحقيقى ، والبركة الهائلة التى غزاها البحر عند حدوث مد وجزر مرتفع كانت عميقة للغاية فى أحد أطرافها حتى إن لون المياه كان أخضر قاتماً . . وتمحص « رالف » الثلاثين ياردة بأكملها فى حرص وعناية ، ثم ألقى بنفسه فى المياه وغاص فيها ، وكانت المياه أشد سخونة من دمائه ، وبدا له الأمر كأنه يسبح فى حمام سباحة ضخم .

وظهر « بيجى » مرة أخرى . . وجلس على الحافة الصخرية ، وراح يرقب جسم رالف المتخذ اللون الأخضر والأبيض فى شىء من الحسد :

- أنت لا تجيد السباحة .

- بيجى .

ثم خلع « بيجى » حذاءه وجوربيه ورتبهما فى عناية على الحافة الصخرية ، وراح يختبره المياه بأحد أصابع قدمه .

– يا لها من مياه ساخنه!

– ماذا كنت تتوقع ؟

– لم أكن أتوقع أنها كذلك . إن عمتى

– دعك من عمتك .

وغطس « رالف » غطسة سطحية وراح يسبح تحت الماء وقد فتح عينيه ، وبدت له الحافة الرملية للبحيرة ضخمة للغاية وكأنها حافة تل ، ثم انقلب ممسكاً بأنفه ، وتراقص ضوء ذهبى وتلاشى فوق وجهه مباشرة . وكان «بيجى » يبدو عليه التصميم ، فبدأ فى خلع بنطلونه ، وسرعان ما أصبح عارياً بشحومه المكتنزة الشاحبة اللون . وسار على أطراف أصابع قدميه هابطاً على الجانب الرملى للبحيرة ، وجلس هنالك فى المياه ، وغمرته المياه حتى رقبته ، وأخذ يبتسم لـ « رالف » فى شىء من الفخر .

– ألن تبدأ فى العوم ؟

فهز « بيجى » رأسه :

– لا أستطيع أن أسبح ؛ إذ لم يُسمح لى بذلك ، فمرض الربو الذى أعانى منه .

– دعك من الربو .

وسار « رالف » فى الماء إلى الخلف مع اتجاه المنحدر ، وغمر فمه فى الماء ونفث نافورة من الماء فى الهواء ، ثم رفع ذقنه وتكلم :

– لقد تعلمت العوم عندما كان عمرى خمس سنوات ، فقد علمنى والدى السباحة ، وهو يعمل قائداً فى البحرية البريطانية ، وهو عندما يحصل على إجازة سيجىء لإنقاذنا :

- ما هى وظيفة والدك ؟

وعلى الفور أحمر وجه « بيجى » . . وقال على وجه السرعة :

- لقد مات والدى .

واستطرد :

- وأمى .

ثم خلع نظارته وراح يبحث بدون جدوى عن شىء ما ينظف به نظارته .

- ولقد كنت أعيش مع عمتى . وهى تمتلك دكاناً كبيراً لبيع الحلوى . . ولقد اعتدت الحصول على كميات كبيرة للغاية من الحلوى ، كميات كبيرة كما يحلو لى . . متى سيقوم والدك بإنقاذنا ؟

- بأسرع ما يمكنه .

ونهض « بيجى » واقفاً يقطر ماءً ، ووقف عارياً ، وراح ينظف نظارته بالجورب ، وكان الصوت الوحيد الذى ترامى إلى سمعهما فى تلك الآونة عبر حرارة الجو فى الصباح هو صوت الأمواج الزاخرة العارمة التى تصطدم بالشعب المرجانية :

- كيف يمكنه أن يعرف أننا موجودان هنا ؟

فأخذ « رالف » يفكر :

- لأن . . لأن . . لأن . .

وأصبح صوت الموج المترامى من الشعب المرجانية بعيداً للغاية .

- إنهم سيخبرونه فى المطار .

فهز « بيجى » رأسه ووضع نظارته المتلألئة على عينيه ، ونظر لأسفل نحو « رالف » .

- ليسوا هم . هل سمعت ما قاله الطيار عن القنبلة الذرية ؟ إنهم جميعاً ميتون .

وجذب « رالف » نفسه وخرج من الماء ووقف فى مواجهة « بيجى » وراح يفكر فى هذه المشكلة غير العادية .

وأصر « بيجى » على رأيه :

- هذه بمثابة جزيرة ، أليس كذلك ؟

فقال « رالف » فى بطء :

- لقد تسلقت إحدى الصخور وأظن أنها جزيرة .

فقال « بيجى » :

- لقد ماتوا جميعاً ، وهذه عبارة عن جزيرة ، ولا أحد يعرف أننا موجودان هنا . ووالدك لا يعرف أننا هنا . لا أحد يعرف !

وارتعدت شفتاه وغشت الدموع عينيه مما جعل نظارته معتمة .

- قد نمكث هنا إلى أن نموت .

وبعد أن قال تلك العبارة بدت الحرارة وكأنها تتزايد إلى أن أصبحت عبئاً ثقيلاً للغاية ، وهاجمها « اللاجون » بأضواء ساطعة تخطف الأبصار .

وقال « رالف » بصوت منخفض :

- سأذهب لإحضار ملابسى الموجودة هنالك .

ثم انطلق مهرولاً عبر الرمال ، متحملاً شدة حرارة الشمس المتوهجة ، وعبر الرصيف المرتفع ، فوجد ملابسه المبعثرة . . وما إن ارتدى قميصه الرمادى مرة أخرى حتى شعر ببهجة غير مألوفة ، ثم تسلق حافة الرصيف المرتفع ، وجلس تحت الظلال على جذع شجرة مريح . .

وجذب « بيجى » نفسه بصعوبة صاعداً لأعلى ، وقد حمل معه معظم ملابسه تحت ذراعيه ، وبعدئذ جلس فى حرص وعنايه فوق جذع شجرة متداع بالقرب من الصخرة الصغيرة التى كانت تواجه « اللاجون » واجتاحته الخواطر المتشابكة ، فقال على الفور :

- ينبغى علينا أن نبحث عن الآخرين . . يجب أن نفعل شيئاً !

ولم يرد « رالف » بكلمة واحدة . فهنا كانت توجد جزيرة مرجانية ، ونظراً لأنه كان محمياً من وهج الشمس ، وحيث إنه تجاهل كلام « بيجى » المنذر بالشر المستطير ، فقد اجتاحته الخيالات والأحلام السارة .

وتشبث « بيجى » برأيه وموقفه :

- كم عدد زملائنا الموجودين هنالك ؟

فسار « رالف » نحو « بيجى » ووقف بجواره وقال :

- لا أعرف .

وهبَّتَ نسمة خفيفة هنا وهناك عبر المياه الساكنة اللامعة تحت وطأة ضباب الحرارة . . وعندما وصلت تلك النسائم إلى الرصيف المرتفع بدأ سعف النخيل يصدر صوتاً كالهمس ، حتى إن مساحات ضئيلة من ضوء الشمس المشوشة انزلقت عبر جسديهما ، أو تحركت مثل الأشياء المجنحة الناصعة عبر الظلال . .

ونظر « بيجى » لأعلى نحو « رالف » وكانت جميع الظلال الموجودة على وجه « رالف » منعكسة ، فاللون الأخضر فى المساحة العلوية واللون الساطع فى المساحة السفلية كانا منعكسين عن « اللاجون » وكانت هناك بقعة مشوشة من ضوء الشمس آخذة فى الزحف على شعره .

- ينبغى علينا أن نفعل شيئاً .

ونظر إليه « رالف » نظرة فاحصة . لقد بدا أخيراً المكان الذى سبق أن تخيله ، والذى لم يتحقق مطلقاً ، يقفز إلى الحياة الواقعية . وانفرجت شفتا «رالف » عن ابتسامة مليئة بالبهجة والسرور ، وأخذ « بيجى » هذه الابتسامة لنفسه على أنها دليل على الاعتراف به ، فانفجر ضاحكاً فى ابتهاج .

- لو أن هذه جزيرة بالفعل .

- ما هو ذلك الشىء ؟

وكان « رالف » قد توقف عن الابتسام ، وأخذ يشير إلى « اللاجون » . لقد كان هناك شىء ما ذو لون أصفر باهت ملقى بين النباتات المائية والطحالب البحرية السرخسية .

- إنه حجر .

- لا ، إنها محارة .

وعلى الفور بدأ « بيجى » يرغى ويزيد فى شىء من الإثارة :

- هذا صحيح . . إنها محارة ! لقد سبق لى أن شاهدت محارة مثلها من قبل عند السور الخلفى الخاص بأحد الأشخاص . وكان يُطلق عليها اسم

«محارة » ، وكان ينفخ فيها كلما أراد استدعاء والدته . . وهى غالية الثمن للغاية .

وبالقرب من مرفق « رالف » كانت هناك شجيرة نخيل مائلة نحو «اللاجون » بل كان ثقلها قد جذب بالفعل كتلة من التربة المجدبة بحيث أصبحت على وشك السقوط . فقام باقتلاع الساق ، وبدأ يضرب فيها حوله فى الماء ، فى حين كانت الأسماك اللامعة تنساب بعيداً نحو ذلك الجانب أو ذاك . ومال « بيجى » منحيناً بشكل خطير وقال :

– احترس ، لكيلا تكسرها .

– اخرس .

وكان « رالف » يتكلم وهو شارد الذهن . . فالمحارة كانت ممتعة وجميلة وبمثابة دمية قيمة وجميلة ، غير أن الخيالات القوية لأحلام يقظته كانت لا تزال تتدخل بينه وبين « بيجى » الذى كان بمثابة شىء لا علاقة له بهذه البيئة . وانحنت شجيرة النخيل فجذبت معها المحارة عبر الطحالب البحرية ، فاستخدم « رالف » إحدى يديه كنقطة ارتكاز وضغط بيده الأخرى لأسفل إلى أن ارتفعت المحارة لأعلى وهى تقطر ماء ، وعندئذ تمكن «بيجى » من الإمساك بها .

ولم تعد المحارة شيئاً يُرى ، وإنما عادت شيئاً ينبغى ألا يلمس ، وأصبح « رالف » غاية فى الإثارة ، وتكلم « بيجى » مثل طفل معتوه :

– محارة غالية الثمن للغاية دائماً . . وأنا واثق تماماً من أنك إن كنت تريد أن تشترى واحدة فإنك ستدفع جنيهات وجنيهات .

وأخذ « رالف » المحارة من « بيجى » فانسابت كمية ضئيلة من المياه إلى

ذراعه . وكان لون المحارة هو اللون الأصفر القاتم الذى تتخلله هنا وهناك مساحات ضئيلة من اللون الأحمر الوردى الفاتح ، وما بين الرأس الذى بلى وأصبح فى شكل ثقب صغير ، والشفاه الوردية اللون الخاصة بالفم توجد ثمانى عشرة بوصة من المحارة ، مع التواء حلزونى خفيف . وهى مغطاة بنقوش دقيقة زخرفية . وقام « رالف » بهز الرمال لإخراجها من الأنبوبة العميقة . . وقال :

- كانت تخور مثل البقرة .

وكان لديه أيضاً بعض الأحجار البيضاء ، وقفص طائر به ببغاء أخضر، وهو بالطبع لم ينفخ فى الأحجار البيضاء ،

توقف « بيجى » ليلتقط أنفاسه وراح يربت على ذلك الشىء المتلألىء الموجود بين يدى « رالف » وناداه :

- رالف .

فنظر « رالف » لأعلى :

- يمكننا أن نستخدم هذه فى النداء على الآخرين ، ثم نعقد اجتماعاً ، وهم سيحضرون عندما يسمعوننا .

ورمق « رالف » بابتسامة مشرقة :

- ذلك هو ما كنت تهدف إليه ، أليس كذلك ؟ وذلك هو السبب الذى جعلك تخرج المحارة من الماء ؟

فألقى « رالف » بشعره الأشقر للوراء :

- كيف كان صديقك ينفخ فى المحارة ؟

فقال « بيجى » كان يقوم بنوع من البصق .

– كان يقوم بنوع من البصق ، ولم تكن عمتى تسمح لى بأن أنفخ بسبب إصابتى بمرض الربو . وقال صديقى : إن الإنسان ينفخ من الجزء الأسفل هنا .

ثم وضع « بيجى » يده على بطنه البارز واستطرد :

– حاول أن تنفخ يا رالف . يجب عليك أن تنادى الآخرين .

وفى شىء من التردد وضع « رالف » الطرف الصغير للمحارة على فمه ونفخ ، فانساب صوت مندفع من فمه ليس إلاَّ، وأخذ « رالف » يمسح المياه المالحة عن شفتيه ثم راح يجرب مرة أخرى ، ولكنّ المحارة ظلت صامتة .

– كان صديقى ينفخ بطريقة معينة .

فزم « رالف » شفتيه ونفخ الهواء فى المحارة ، فصدر عنها صوت ضئيل منخفض ، فأدخل هذ الصوت السرور الشديد على كلا الولدين ، حتى إن «رالف » استمر فى النفخ لبضع دقائق ما بين نوبات الضحك المتفجرة :

– لقد كان ينفخ من أسفل بطنه .

وأدرك « رالف » الفكرة تماماً ، ونفخ فى المحارة بهواء منبعث من الحجاب الحاجز فى بطنه ، فأصدرت المحارة صوتاً على الفور ، وعندئذ وقعت نغمة عميقة خشنة تحت أشجار النخيل وانتشرت عبر تعقيدات الغابة . . وارتد صدى الصوت من الجرانيت القرنفلى للجبل ، وعندئذ طارت سُحُب من الطيور من فوق قمم الأشجار ، وصرخ شىء ما صرخة طويلة حادة ،

وجرى بين الشجيرات الصغيرة بالغابة فأبعد « رالف » المحارة عن شفتيه وقال :

- يا للعجب !

وكان صوته العادى يشبه الهمس عقب ذلك الصوت الأجش الذى انبعث عن المحارة ، ووضع المحارة على شفتيه وأخذ نفساً عميقاً ، ونفخ مرة أخرى ، فدوى الصوت من جديد ، ثم ضغط فى مزيد من الثبات ، فظهرت - من قبيل المصادفات السعيدة - نغمة ثمانية الأجزاء ، ذات دوى عالى النغمة ، وأشد اختراقاً عن ذى قبل . وكان « بيجى » يصيح ببعض الكلمات ، وكان وجهه مشرقاً بالبهجة والسرور ، وكانت نظارته تلمع وتتلألأ وتعكس الضوء . . وصاحت الطيور ، وانطلقت الحيوانات الصغيرة تجرى بسرعة ، وتخاذلت أنفاس « رالف » ، فضاعت النغمة ذات الثمانية الأجزاء ، وأصبحت مجرد هواء مندفع .

وأصبحت المحارة صامتة وكانت تشبه الغاب الذى يسطع بالوميض ، وكان وجه « رالف » مكفهراً ومحتقناً بسبب تقطع أنفاسه ، وكان الهواء المنتشر فوق الجزيرة مملوءاً بصياح الطيور ودوى أصداء الأصوات .

- من المؤكد أن تلك الأصوات يمكن سماعها على مسافة أميال .

واستجمع « رالف » أنفاسه ونفخ مجموعة من النغمات القصيرة ، فصاح « بيجى » فى تعجب :

- يوجد واحد هنالك .

وكان طفل قد ظهر بين أشجار النخيل على مسافة ياردة على البلاج ، وكان يبلغ من العمر حوالى ست سنوات ، وكان وسيماً وقوى البنيان ،

وكانت ملابسه ممزقة ، وكان وجهه مغطى بخليط لزج من الفاكهة ، وكان بنطلونه قد جذب لأسفل من أجل تأدية غرض واضح ، ثم جذب لأعلى لنصف المسافة فقط ، وقفز هابطاً من مصطبة النخيل إلى الرمال ، فسقط بنطلونه إلى رسغى قدميه . فخرج بقدميه من البنطلون وأسرع مهرولاً نحو الرصيف ، فساعده « بيجى » على النهوض لأعلى ، وفى تلك الأثناء أخذ «رالف » ينفخ فى المحارة إلى أن امتلأت الغابة بضجيج الأصوات ، وجلس الولد الصغير القرفصاء أمام « رالف » وراح ينظر لأعلى نظرة عمودية مشرقة ، وما إنْ تلقى التأكيد بأنه يتم اتخاذ إجراء هادف حتى ظهر عليه الشعور بالرضا والسرور ، وانزلق أصبعه الوحيد النظيف – وهو إبهام وردى اللون – إلى فمه . . وانحنى « بيجى » لأسفل قائلا :

– ما اسمك ؟

– « جونى » .

وراح « بيجى » يتمتم بالاسم فى نفسه ، وبعدئذ صاح بالاسم « لرالف » الذى لم يكن يشعر بالتسلية ؛ لأنه كان لا يزال ينفخ فى المحارة ، وكان وجهه متسما بالبهجة العنيفة المترتبة على إحداث هذا الصوت الهائل المذهل ، وكان قلبه يتسبب فى اهتزاز قميصه المنبسط ، وأصبح الصباح فى الغابة أكثر قرباً .

وأصبحت دلائل الحياة مرئية على البلاج آنئذ ، فالرمال المرتعدة تحت ضباب الحرارة كانت تخفى أعداداً كثيرة من مظاهرها فى أميالها الطويلة . ويبدأ الأولاد يشقون طريقهم نحو الرصيف عبر الرمال الساخنة الصامتة البكماء . وظهر ثلاثة أولاد صغار لا يزيدون فى السن عن « جونى » من مكان قريب للغاية ، حيث كانوا يلتهمون الفواكه فى نهم بالغابة . وشق ولد

أسود البشرة صغير السن - ليس أصغر كثيراً فى السن من « بيجى » - طريقه بين بعض النباتات والشجيرات المتشابكة ، واستمر فى المسير إلى أن وصل إلى الرصيف ، ثم ابتسم فى إشراق فى وجه الجميع . وبعدئذ ظهر المزيد والمزيد من الأطفال ، وجلسوا جميعاً على جذوع أشجار النخيل الساقطة مثلما فعل « جونى » الذى يتسم بالبساطة والسذاجة ، وانتظروا .

واستمر « رالف » فى النفخ فى المحارة نفخات قصيرة حادة ونافذة وتحرك « بيجى » بين الجمهور المحتشد ، وراح يسأل كل واحد منهم عن اسمه ، وكان يتجهم لدى سماع كل اسم لكى يحفظ ويتذكر جميع الأسماء ، وكان الأطفال يطيعونه فى بساطة وإذعان ، مثلما كانوا يفعلون من قبل مع الرجال الذين كانوا يستخدمون الأبواق المكبرة للصوت ، وكان بعض الأطفال عرايا تماماً وممسكين بملابسهم . والبعض الآخر كان شبه عارٍ ، أو يرتدى ملابس أكثر أو أقل ، وكانت ملابسهم من الزى المدرسى الرمادى أو الأزرق ، أو من لون جلد الظباء فى شكل « جاكيت أو جرسى » ، وكانت هناك شارات مدرسية وشعارات وشرائط ملونة ملتصقة على الجوارب وعلى البلوفرات ، وكانت رءوس الأولاد تبدو كالعناقيد فوق جذوع النخيل تحت الظلال الخضراء : رءوس بنية اللون ، وشقراء ، وسوداء ، وكستنائية ، ورملية اللون، وفئرانية اللون . رءوس راحت تغمغم وتهمس . راحت العيون ترقب « رالف » وتفكر وتتأمل وتخمن . لقد كانت الإجراءات تتخذ لإنجاز شيء ما .

والأطفال الذين جاءوا على طول البلاج فرادى أو مثنى ظهروا للعيان بوضوح عندما عبروا الخط من عند سديم الحرارة إلى الرمال القريبة . وهنا انجذبت العين لأول وهلة نحو مخلوق أسود اللون يشبه الخفاش راح يرقص

على الرمال ، ثم أدركت بعد ذلك وجود الجسد فوقه ، لقد كان منظر الخفاش هو ظل الطفل ، وتقلص هذا الظل بسبب الشمس العمودية ، فأصبح مساحة صغيرة بين القدمين المهرولين بسرعة . . ولقد لاحظ « رالف» - حتى أثناء قيامه بالنفخ - الجسدين الأخيرين اللذين وصلا إلى الرصيف فور رقصة مرفرفة من السواد .

وألقى الولدان اللذان لهما رأس مدور وشعر مثل نسالة الكتان بنفسيهما على الأرض واضطجعا ، وراحا يلهثان ويبتسمان لـ « رالف » مثل كلبين . وكانا تَوْءمين ، وخارت العين ، واجتاحها عدم التصديق لدى رؤية مثل هذا التطابق بين النسختين المرحتين المبتهجتين . كانا يتنفسان معاً وكانا يبتسمان معاً ، وكانا قصيرين مكتنزين ومليئين بالحيوية ، ورفعا شفاهاً مبللة نحو « رالف » حيث بدا عليهما أنهما مزودان بقدر غير كافٍ من البشرة، حتى إن منظرهما الجانبى كان مشوشاً فى غير وضوح ، وقد فتح كُلّ منهما فاهُ بشىء من الشد والجذب ، وأحنى « بيجى » نظارته اللامعة وأمكن سماع صوته أثناء لحظات الصمت التى تتخلل النفخ فى المحارة وهو يكرر اسميهما .

- سام - إريك - سام - إريك .

وبعدئذ وقع فى التشويش والخلط بينهما . وهز التوءمان رأسيهما وأشار كل منهما إلى الآخر ، وانفجر الموجودون فى الضحك .

وأخيراً توقف « رالف » عن النفخ فى المحارة ، وجلس هنالك وقد تدلت المحارة من إحدى يديه وانحنى رأسه على ركبتيه ، ثم تلاشت أصداء أصوات المحارة ، وتلاشت معها أيضاً الضحكات ، وساد الصمت

المطبق . ومن خلال الضباب الماسى للبلاج ظهر شىء ما معتم يشق طريقه فى تعثر، وكان « رالف » هو أول من شاهد ذلك الشىء أولاً ، وراح يرقبه فى تمعن إلى أن جذبت حدة تمعنه جميع العيون إلى ذلك الاتجاه ، وبعدئذ تخطى ذلك المخلوق السراب ودخل إلى مساحة الرمال الصافية ، وعندئذ أدركوا أن الظلام لم يكن كله فى شكل ظلال ، وإنما كان معظمه فى شكل ملابس ، لقد كان ذلك المخلوق بمثابة مجموعة من الأولاد يسيرون بخطوات متجانسة تقريباً فى صفين متوازيين ، ويرتدون ملابس غاية فى الغرابة والشذوذ ، وكانوا يحملون فى أيديهم بنطلونات قصيرة وقمصاناً وأثواباً مختلفة . وكان كل ولد منهم يضع على رأسه طاقية سوداء مربعة الشكل عليها شارة فضية اللون . وكانت أجسادهم ابتداء من الحلق إلى رسغ القدم مخبأة وراء معاطف سوداء فضفاضة تحمل صليبا طويلاً فضى اللون فوق الصدر من جهة اليسار ، وكانت كل رقبة مختفية وراء أهداب زخرفية ، وكانت حرارة المناطق المدارية والغارة الفجائية والبحث عن الطعام ثم هذه المشية العسكرية المفعمة بالإرهاق والعرق على طول البلاج المتوهج باللهيب – قد أعطتهم بشرة فى لون ثمار الخوخ المغسولة حديثاً . وكان الولد الذى يقودهم مرتديا ملابس مماثلة باستثناء الشارة الموجودة على طاقيته حيث كان لونها ذهبياً . وعندما وصلت جماعته إلى حوالى عشر ياردات من الرصيف صاح مصدراً أوامره لهم ، فتوقفوا عن السير وهم يلهثون ويتصببون عرقا ، ويترنحون تحت وطأة الضوء المفترس ، وتقدم قائدهم بنفسه للأمام ووثب صاعداً إلى الرصيف وقد تطاير معطفه الفضفاض فى الهواء ، وراح يحملق فيما بدا له وكأنه شبه ظلام دامس . وتساءل :

– أين الرجل الذى يوجد معه البوق ؟

وأدرك « رالف » أنه لا يكاد يرى بسبب شدة وهج الشمس ، فرد عليه قائلاً :

- لا يوجد رجل معه بوق . لا يوجد سواى .

فاقترب الولد أكثر ، وحملق لأسفل نحو « رالف » وهو يقطب جبينه وينظر بوجه عابس ، ويبدو أن ما شاهده من الولد الأشقر الذى يضع المحارة ذات اللون الأصفر الشاحب على ركبتيه لم يقنعه ، فاستدار بسرعة ، ودار معه معطفة الأسود الفضفاض ، وتساءل :

- ألا توجد هناك سفينة ؟

وبدا من داخل المعطف الفضفاض طويلاً ونحيلاً بارز العظام ، وكان شعره أحمر اللون تحت الطاقية السوداء ، وكان وجهه مجعداً ومملوءاً بالنمش والبقع السمراء ، وقبيحاً فى غير غباء أو بلاهة ، وكانت تطل فى حملقة من هذا الوجه عينان لهما لون أزرق فاتح ، بدا عليهما مشاعر الإحباط مع التحول أو الاستعداد للتحول إلى الغضب .

- ألا يوجد رجل هنا ؟

فتحدث « رالف » وهو يدير ظهره له قائلاً :

لا ، نحن بصدد عقد اجتماع . . تعال وانضم إلينا .

وبدأت مجموعة الأولاد الذين يرتدون المعاطف الفضفاضة فى التفرق والتبعثر من صف قريب ، فصاح الولد الطويل فيهم :

- أيها الفريق ، لا تتحركوا من أماكنكم .

وفى حياء وطاعة رجع الفريق إلى الانتظام فى الصف ، ووقفوا هنالك

يترنحون تحت وطـأة الشمس ، ومع ذلك بدأ بعضهم يحتج فى وهن وضعف شديد :

– ولكن يا « مريديو » . لو سمحت يا « مريديو » . ألا يمكننا . . .

وعندئذ سقط أحد الأولاد مغشياً عليه فوق الرمال ، فتصدع الصف ، فرفعوا بصعوبة ذلك الولد الساقط على الأرض وحملوه إلى الرصيف ، ومددوه على الأرض ليستريح ، فحملق « مريديو » فى دهشة ، وبذل غاية جهده برغم المصاعب . وقال :

– حسناً ، إذن أجلس . . دعوه وشأنه .

– ولكن يا « مريديو » . . .

فقال « مريديو » : إنه دائماً ما يتعرض للإغماء ، فقد سبق له أن تعرض للإغماء فى جبل طارق ، وفى أديس أبابا ، وفى صلاة الفجر بالكنيسة بجوار قائد جوقة المرتلين » .

وهذه الوشاية الأخيرة أدت إلى تفجير ضحكات مكتومة صادرة عن فريق الأولاد الذين جلسوا قابعين مثل الطيور السوداء على الجذوع المتقاطعة ، وراحوا يرقبون ويتفحصون « رالف » باهتمام كبير . ولم يسأل « بيجى » عن أسمائهم لأنه شعر بالخوف والرهبة من هذا الزى الموحد ، ومن هذا التفوق ، ومن تلك السلطة الفظة المتمثلة فى صوت « مريديو » فتراجع إلى الجانب الآخر الذى يوجد به « رالف » وراح يشغل نفسه بالعبث فى نظارته .

واستدار « مريديو » ملتفتاً نحو « رالف » .

– ألا يوجد أى أشخاص كبار ؟

- لا .

فجلس « مريديو » على جذع نخلة ، وأدار رأسه ملتفتاً إلى حلقة الجالسين : إذن ينبغى علينا جميعاً أن نرعى شئون أنفسنا .

وتحدث « بيجى » فى شيء من الخوف عقب إحساسه بالاطمئنان ؛ نظراً لوجوده عند الجانب الآخر لـ « رالف » :

- وهذا هو السبب فى أن « رالف » عقد اجتماعاً حتى يمكننا أن نقرر ما ينبغى علينا أن نفعله ، ولقد سمعنا الأسماء ، فذلك هو « جونى » وهذان الاثنان تَوءمان أحدهما يسمى « سام » والأخر يسمى « إريك » . من منكما الذى يسمى « إريك » ؟ لا ، أنت سام .

- أنا سام .

- وأنا إريك .

فقال « رالف » :

- يجب أن تكون لنا جميعاً أسماؤنا ؛ ولذلك فأنا أقول لكم إن اسمى هو « رالف »

وقال « بيجى » :

- لقد عرفنا معظم الأسماء « عرفناها تواً .

فقال « مريديو » :

أسماء أولادنا . ولماذا ينبغى أن يكون اسمى جاك ؟ أنا اسمى «مريديو» .

فالتفت « رالف » نحوه بسرعة ، فقد كان هذا هو صوت شخص لا يستبد به الشك أو التردد .

واستطرد « بيجى » :

- ثم ذلك الولد . . . قد نسيت .

فقال « مريديو » :

- أنت تثرثر كثيراً فى حديثك . . اخرس أيها الولد السمين . . يا فاتى .

فدوت عاصفة من الضحك .

وصاح « رالف » :

- ليس اسمه فاتى ، وإنما اسمه الحقيقى هو « بيجى » .

- بيجى !

- أوه . بيجى .

فدوت عاصفة من الضحك فى مزيد من الانفجار ، بل واشترك فى الضحك أصغر الأولاد حجماً . وفى تلك الآونة أصبح الأولاد بمثابة دائرة من التعاطف الوثيق مع « بيجى » فقد احتقن وجه « بيجى » احتقاناً شديداً ، فأحنى رأسه وزاح ينظف نظارته مرة أخرى .

وأخيراً تلاشى الضحك تدريجياً ، واستمر ذكر الأسماء ، فكان هناك «موريس » وهو يلى « جاك » من حيث الحجم بين الأولاد جوقة المرتلين ، إلا أنه عريض المنكبين ، ومبتسم طوال الوقت . وكان هناك ولد نحيل ماكر لا يعرفه أحد ، حيث اعتزل الناس مع إصرار داخلى شديد على تجنب الناس والالتزام بالسرية التامة . قال فى غمغمة إن اسمه « روجر » ثم التزم بالصمت مرة أخرى « بيل » و « روبرت » « وهارولد » و « هنرى » ، وولد جوقة المرتلين الذى كان قد تعرض للإغماء أفاق من إغمائه ، وجلس على

جذع شجرة نخيل ، وابتسم فى شحوب لـ « رالف » وقال إن اسمه «سيمون» .

وتحدث جاك :

- يجب أن نتخذ قراراً بشأن إنقاذ حياتنا .

فصدر عن الحاضرين طنين وغمغمة ، وقال أحد الأولاد الصغار إنه يرغب فى الذهاب إلى منزله .

فقال « رالف » وهو شارد الذهن :

- اخرس .

ثم رفع المحارة وقال :

- يبدو لى أنه ينبغى أن يكون لنا زعيم لكى يحسم الأمور .

- زعيم ! . . زعيم !

فقال « جاك » فى غطرسة خالية من التصنع :

- يجب أن أكون أنا زعيماً . . لأننى أنا الذى أقوم بدور المنشد فى جماعة الرهبان بالدير . . كما أننى رئيس على الأولاد ، ويمكننى أن أغنى النغمة الموسيقية الحادة التى يرمز لها بعلامة الرفع .

فقال جاك :

- حسناً إذن . . أنا .

وتردد ، وعندئذ تحرك الولد الأسود الذى يسمى « روجر » أخيراً ، وعبر عن رأيه فى وضوح وبدون خوف أو تردد .

هيا بنا نجرى انتخاباً .

- نعم !

اقتراع لاختيار الرئيس .

- فلندل بأصواتنا .

وكانت لعبة التصويت هذه مسلية مثل لعبة المحارة تقريباً ، وبدأ «جاك» يحتج ، ولكن الصخب الغاضب تحول إلى رغبة عامة فى وجود رئيس بالانتخاب إلى المناداة « برالف » رئيساً ، ولم يجد أحد من الأولاد سبباً وجيهاً لهذا . فقد تمكن « بيجى » من تتبع ما ظهر من اتصالات وتبادل معلومات ، فى حين كان «جاك » هو أبرز قائد . ولكن كان هناك نوع من الهدوء والسكون الذى تميز به « رالف » أثناء جلوسه ، مما جعل الأنظار تنتبه إليه . . وكان حجمه ومظهره جذابين ، والأهم من ذلك كله كانت هناك المحارة، وهى أكثر العناصر قوة وغموضاً . وأدركوا أن المخلوق الذى نفخ فى تلك المحارة ، والذى جلس منتظراً إياهم على الرصيف ومعه ذلك الشىء الرقيق الجميل الذى وضعه متوازناً فوق ركبتيه لم يأخذ وضعه اللائق به .

- الولد الممسك بالمحارة .

- رالف ! رالف ! .

- وافقوا عليه كرئيس لنا ، فهو معه البوق .

فرفع « رالف» يده طالباً من الجميع الالتزام بالصمت وقال :

- حسناً ! من منكم يريد « جاك » رئيساً ؟ .

فرفع فريق المنشدين أيديهم فى طاعة مليئة بالاكتئاب والحزن .

- ومن الذى يريدنى رئيساً ؟

فرفع جميع الأشخاص أيديهم باستثناء « فريق المنشدين » وباستثناء «بيجى » غير أن « بيجى هو الآخر رفع يده فى شىء من الحقد والضغينة عالية فى الهواء .

وراح « رالف » يحصى ويعد الأصوات ، ثم قال :

- إذن فأنا الرئيس .

فانفجرت دائرة الأولاد فى تصفيق حاد ، بل واشترك معهم فى التصفيق الأولاد التابعون لفريق المنشدين . واختفى النمش المنتشر على وجه « جاك » لدى احتقان وجهه بالدماء نتيجة شعوره بالخزى والعار. وهب واقفاً ثم غير رأيه وجلس مرة أخرى ، والتصفيق مازال يدوى .

فنظر « رالف » إليه حيث كان متلهفاً لأن يقدم له شيئاً .

- فريق المنشدين ينتمى إليه بالطبع .

- يمكن أن يكونوا بمثابة الجيش .

- أو الصيادين .

واختفى الاحتقان تدريجياً من وجه « جاك » ولوح « رالف » بيده مرة أخرى لكى يلتزم الجميع بالصمت ، وقال :

- « جاك » هو المسئول عن فريق المنشدين ، وهذا الفريق يمكن أن يصبح . . ماذا تريد لهم أن يكونوا ؟

- صيادين .

وابتسم « جاك » و « رالف » كُل منهما للآخر فى ود و إعجاب مشوب

بالتحفظ والحذر ، وشرع باقى الحاضرين فى التحدث بعضهم مع بعض فى اهتمام وشغف ، ونهض « جاك » واقفاً .

- حسناً يا فريق المنشدين . . اخلعوا ملابسكم .

وعلى الفور نهض أولاد فريق المنشدين واقفين ، وكأنما قد أطلق سراحهم من الفصل المدرسى ، وبدءوا يثرثرون ويرنمون ، ويكومون معاطفهم السوداء الفضفافة على العشب ، ووضع « جاك » معطفه الأسود الفضفاض على جذع الشجرة بجوار « رالف » ، وكان بنطلونه القصير ملتصقاً على جسده بسبب العرق ، وألقى « رالف » نظرة خاطفة عليهم مليئة بالإعجاب، وعندما شاهد « جاك » نظرته قام بشرح الموقف .

لقد حاولت الصعود إلى ذلك التل لمعرفة ما إذا كانت هناك مياه من جميع الجوانب ، ولكن المحارة الخاصة بك نادت علينا .

فابتسم « رالف » ورفع المحارة فى يده طالباً من الجميع الالتزام بالصمت وقال :

- استمعوا إلى جميعهاً ، لقد بدأت فى التفكير فى الأمور ، ولا أستطيع أن أقرر ما يجب علينا أن نفعله الآن على الفور ، فإذا لم يكن هذا المكان الذى نحن فيه بمثابة جزيرة فإن حياتنا قد تُنقذ حالاً ؛ ولذلك ينبغى علينا أن نعرف أولا ما إذا كانت هذه جزيرة أم لا ، ويجب على كل شخص أن يبقى هنا وينتظر ولا يتحرك إلى أى مكان آخر ، وسيذهب ثلاثة منا فقط فى بعثة لاستكشاف الموقع ، وإذا ذهب أكثر من ثلاثة أشخاص فسيحدث بينهم ارتباك ، ويتوهون ، ويفقد بعضهم بعضاً . وأنا سأذهب فى هذه البعثة ومعى جاك و . . و . .

وراح يطوف بنظره متفحصا دائرة الوجوه المتطلعة ، وكان هناك عدد وافر من الأولاد للاختيار منهم .

– و« سيمون » .

فانفجر الأولاد المحيطون بسيمون فى ضحكات بلهاء ونهض « سيمون » واقفاً يضحك هو الآخر ضحكات قليلة . . والآن وقد انتهى الامتقاع وشدة الشحوب الناجم عن إغمائه ، فإنه بدا ولداً نجيلاً حيوياً ، تصدر عنه نظرات كالوميض من تحت خصلة من الشعر الأسود الخشن المرتب والمتدلى لأسفل ، وأومأ برأسه لـ « رالف » قائلاً :

– سأجىء .

– وأنا أيضاً .

وهنا انتزع « جاك » من جيبه الخلفى مدية ذات غمد كبير بعض الشىء وطعن بها جذع الشجرة ، فصدرت همهمة من الحاضرين ثم تلاشت على الفور .

وتحرك « بيجى » فى مكانه .

– سأجىء .

فالتفت « رالف » نحوه وقال :

– أنت لا تصلح لمهمة كهذه .

– الأمر سواء .

فقال « جاك » بصراحة :

– نحن لا نريدك معنا ، ويكفى ثلاثة أشخاص .

وانعكس الضوء على نظارة « بيجى » فصدر عنها لمعان :

- لقد كنت معه عندما عثر على المحارة ، وكنت معه قبل مجىء أى شخص آخر .

ولم يهتم « جاك » والآخرون بكلامه ، وكان هناك تشتت عام . وقفز «رالف » و « جاك » و « سيمون » هابطين من فوق الرصيف وساروا عبر الرمال خلف بركة الاستحمام . وسار « بيجى » وراءهم وهو يطن ويئز فى تلعثم .

وقال « رالف » : إذا سار « سيمون » فى المنتصف بينى وبينك ، عندئذ يمكننا أن نتحدث من فوق رأسه .

وسار ثلاثتهم بخطوات منتظمة ، وكان هذا يعنى أن « سيمون» ينبغى له من وقت لآخر أن يأخذ خطوتين فى آن واحد لكى يلحق بالآخرين ، وبعدئذ توقف « رالف » عن المسير نحو « بيجى » قائلاً :

- انتبه لما أقوله لك .

وتظاهر « جاك » و « سيمون » بأنهما لا يلحظان شيئاً واستمرا فى سيرهما :

- لن تجىء معنا .

وغشى الضباب نظارة « بيجى » مرة أخرى ، كان فى هذه المرة بسبب الشعور بالمهانة والإذلال :

- لقد أخبرتهم . بعد ما قلته لك .

وتصاعدت الدماء على وجهه وارتعد فمه :

- بعد أن قلت لم أراد . .

بالله خبرنى عَمَّ تتحدث ؟

– أتحدث عن تسميتى باسم « بيجى » ولقد سبق أن قلت لك إن الأمر لا يعنينى فى شىء طالما أنهم لا ينادوننى بكلمة « بيجى » ، وأنا قلت لك ألا تخبر أحداً ، ومع ذلك فإنك بعدئذ ناديتنى بكل صراحة بكلمة «بيجى» .

وهبط السكون عليهما . ونظر « رالف إلى « بيجى » فى مزيد من الفهم والتعقل ، وعندئذ أدرك أن « بيجى » قد جُرحت مشاعرة وهُزم هزيمة نكراء . وتأرجح بين تقديم الاعتذار له أو توجيه المزيد من الإهانات إليه .

ثم قال أخيراً فى شي ء من الرقة ودماثة الخُلُق التى تتصف بها القيادة الحكيمة :

– إن كلمة « بيجى » piggy أفضل من كلمة « فاتى » Fatty – أى «شحمى » – وعلى أية حال فأنا آسف إذا كنت تشعر أننى أسأت إليك . والآن ارجع يا « بيجى » وخذ أسماء . . فتلك هى وظيفتك . . إلى اللقاء .

واستدار راجعا بسرعة لكى يلحق بالولدين الآخرين . أما « بيجى » فقد وقف فى مكانه ، وبدأ الاحتقان الوردى يزول عن وجهه تدريجياً مع زوال الشعور بالتذمر والسخط . ثم عاد إلى الرصيف .

وسار الأولاد الثلاثة فى رشاقة على الرمال . وكان المَدُّ والجَزْر منخفضاً ، وكان هناك شريط من الشاطىء مفروشاً بالأعشاب المتناثرة ، وكان هناك نوع من السحر والجاذبية منتشراً حولهم وفوق المنظر الطبيعى كانوا مدركين ذلك السحر وتلك الجاذبية ، وقد أسعدهم ذلك كثيراً ، فالتفت بعضهم إلى

بعض وراحوا يضحكون فى إثارة بالغة ، ويتحدثون ولا يستمعون .

وكان الهواء عليلاً ، والجو مشرقاً وضاءً . وواجه « رالف » مهمة ترجمة كل هذا إلى بيان عملى ، فوقف على رأسه وسقط على الأرض . وبعد أن فرغوا من الضحك راح « سيمون » يربت على ذراع « رالف » فى خجل ، وكان عليهم أن يضحكوا مرة أخرى .

وقال « جاك » على الفور :

- هيا بنا . نحن رواد مستكشفون .

فقال « رالف » :

- سنذهب إلى نهاية الجزيرة وننظر حول الركن .

- إذا كانت هذه بمثابة جزيرة .

ومع الاقتراب من نهاية فترة ما بعد الظهر بدأت موجات السراب تستقر بعض الشيء ، فاكتشفوا نهاية الجزيرة على مسافة ، وكانت واضحة للغاية . . كان هناك خليط مشوش من الأشكال المربعة العادية ، مع وجود كتلة واحدة هائلة قابعة فى « اللاجون » وكانت الطيور البحرية تأوى إلى أعشاشها هنالك .

فقال « رالف » :

- مثل السكر الناعم فوق كعكة وردية اللون .

وقال « جاك » :

- لن نستطيع الدوران حول هذه الزاوية ؛ لأنه لا توجد هناك زاوية ،

وإنما يوجد فقط انحناء تدريجى ، ويمكنك أن تلحظ أن الصخور تزداد سوءاً .

فوضع « رالف » يده على عينيه كالمظلة ليقيها من وهج الضوء ، وراح يتابع الخطوط الخارجية المشرشرة للصخور الشامخة نحو الجبل ، . كان هذا الجزء من الشاطىء أو « البلاج » أقرب إلى الجبل من أى جزء آخر شاهدوه ، فقال :

– سنحاول تسلق الجبل من هنا ، وأعتقد أن هذه هى أسهل وسيلة ، أن توجد كميات قليلة من الأحراش ، وكميات كثيرة من الصخور الوردية اللون . هيا بنا .

وبدأ الأولاد الثلاثة فى الزحف لأعلى فوق المنحدر الوعر ، ومن المؤكد أن قوى مجهولة قد انتزعت وبعثرت هذه المكعبات فى عنف ، حتى إنها أصبحت ملقاة هكذا فى اعوجاج ، ومكومة على بعضها البعض على نحو يوحى بتناقص قوتها . وكان أهم المعالم المألوفة هو وجود منحدر صخرى شاهق وردى اللون تعلوها كتلة صخرية منحرفة ومائلة ، وهذه الكتلة تعلوها كتلة أخرى ، وتلك تعوها كتلة أخرى ، إلى أن أصبح اللون الوردى بمثابة كومة من الصخر المتوازن الناتىء . عبر الخيالات الحلقية للنباتات المتسلقة للغاية . وحيثما ترتفع المنحدرات الصخرية الشاهقة عن الأرض تكون هناك غالباً الدروب الضيقة المتجهة لأعلى فى التواء . وكان باستطاعتهم أن يتقدموا شيئاً فشيئاً على تلك الدروب متوغلين فى عالم الشجيرات ، بحيث تكون وجوههم متجهة نحو الصخر .

– ما الذى أنشأ هذا الدرب ؟

وتوقف « جاك » عن السير وراح يمسح العرق المتصبب من وجهه ، ووقف . .

- رجال ؟

وهز « جاك » رأسه :

- بل حيوانات ؟ !

وحلق « رالف » فى الظلام تحت الأشجار . واهتزت الغابة اهتزازاً خفيفاً للغاية .

- هيا بنا .

ولم تكن الصعوبة متمثلة فى الصعود المنحدر حول أكتافس الصخرة ، وإنما كانت متمثلة فى الغوص من وقت لآخر عبر الشجيرات من أجل الوصول إلى الممر التالى ، فهناك كانت جذور وسيقان النباتات المتسلقة متشابكة للغاية ، حتى إن الأولاد اضطروا لأن يشقوا طريقهم بينها فى حذر مثل الإبر المرنة ، وكان مرشدهم الوحيد - بصرف النظر عن الأرض البنية اللون ، وومضات الضوء المنبعثة من وقت لآخر من خلال أوراق النباتات - هو ميل المنحدر ، وما إذا كان هذا الثقب على الرغم من تطويقه بحزمات من النباتات المتسلقة يقف فى وضع أعلى من ذلك الثقب .

وتحركوا صاعدين لأعلى بطريقة أو بأخرى ، وبعد أن وقعوا فى حبائل هذه الشراك المتشابكة ووصلوا إلى أحرج اللحظات التفت « رالف » للآخرين ونظر إليهما بعينين لامعتين :

- واكو !

– ساحر !

رائع !

ولم يكن هناك سبب واضح يدعو إلى ابتهاجهم ، فهم الثلاثة كانوا يموجون بالسخونة فى داخل أجسادهم ، وكانوا متسخين ومرهقين من شدة التعب . وكان « رالف » قد تعرض لخدوش شديدة للغاية ، وكانت النباتات المتسلقة فى نفس سُمك أفخاذهم ، ولم تترك بينها سوى أنفاس قليلة تسمح بالمزيد من التوغل . وصاح « رالف » على سبيل التجربة ، وراحوا يصغون لتلك الأصداء .

وقال « جاك » :

– هذا استكشاف حقيقى . . أراهن على أن أحداً لم يوجد هنا من قبل .

فقال « رالف » :

– ينبغى علينا أن نرسم خريطة ، ولكن المشكلة أننا لا يوجد معنا أى ورق .

فقال « سيمون » :

– يمكننا أن نرسم على لحاء الشجر بأن ندعك مادة سوداء عليه . . ومرة أخرى ظهرت المشاعر المشتركة الجليلة منبثقة عن العيون اللامعة فى المكان المعتم .

ولم يكن هناك مكان يصلح للوقوف على الرأس ، وفى هذه المرة عبر «رالف » عن حدة العاطفة فى داخله ، وذلك بالتظاهر بطرح « سيمون » على الأرض فاصبحا كومة لاهثة سعيدة تحت الضوء الأقل من الغسق .

وعندما انفصلا تحدث « رالف » أولا :

- يجب أن نستأنف المسير .

وكان الجرانيت الوردى للصخرة التالية بعيداً عن النباتات المتسلقة والأشجار ، حتى إنه أصبح بمقدورهم الهرولة والانطلاق بسرعة فوق الممر، وهذا أدى مرة أخرى إلى غابة مفتوحة أكثر من ذى قبل ، حتى إنهم لمحوا البحر الممتد ، ومع الانفتاح جاءت الشمس فجففت العرق الذى نفذ إلى ملابسهم فى الظلام بسبب الحرارة المشبعة بالرطوبة . وأخيراً أصبح الطريق المؤدى إلى القمة يشبه التسلق فوق صخرة وردية بدون أى خوض أو غوص عبر الظلام ، واختار الأولاد طريقهم عبر ممرات ضيقة ، وفوق أكوام من الحجارة المدببة الأطراف .

- انظر ! انظر !

ففوق هذا الطرف من الجزيرة رُفعت الصخور المبعثرة أكوامها ومداخنها لأعلى ، والصخرة التى كان « جاك » يستند عليها تحركت وأحدثت صوتاً مزعجاً كالصرير عندما دفعوها .

- هيا بنا .

- هيا بنا إلى القمة .

ينبغى تأجيل الهجوم على القمة واقتحامها لبعض الوقت لحين أن يوافق الأولاد الثلاثة على قبول هذا التحدى . وكانت الصخرة فى جسم سيارة صغيرة .

- ارفع . هيلا هوب !

وينحنون للخلف وللأمام مع الالتزام بالإيقاع :

- ارفع . هيلا هوب !

- زيدوا من سرعة البندول أكثر فأكثر . . تقدموا وركزوا على تلك النقطة عند التوازن البعيد - زيدوا - زيدوا - زيدوا .

- ارفعوا ، هيلا هوب .

وتلكأت الصخرة الهائلة واحتفظت بتوازنها مرتكزة على أصبع قدم واحدة، وقررت عدم الرجوع ، وتحركت عبر الهواء ، وهبطت وارتطمت وانقلبت وقفزت فى طنين عبر الهواء ، وهشمت الأرض وأحدثت حفرة عميقة فى الجزء الأعلى المتغضن من الغابة ، فتطايرت الأصداء والطيور وطافت سُحب التراب البيضاء والوردية ، واهتزت الغابة الواقعة على مسافة أسفلهم، وكأنها قد مر بها وحش هائج مغتاظ ، وبعدئذ ساد الصمت فى أرجاء الجزيرة .

- واكو !

- مثل القنبلة !

- هوى - أ - أو !

وظلوا لمدة خمس دقائق غير قادرين على جر أنفسهم بعيداً عن هذا الانتصار . ولكنهم فى نهاية الأمر غادروا هذا الموقع .

وأصبح الطريق إلى القمة سهلاً بعد ذلك . وعندما وصلوا إلى المساحة الأخيرة توقف « رالف » :

- يا إلهى !

لقد كانوا يقفون عند حافة تجويف دائرى فى طرف الجبل ، وكان هذا التجويف مملوءاً بالأزهار الزرقاء اللون ، وهى نباتات صخرية من نوع ما ، وكانت الأزهار متدفقة ومنسابة لأسفل عبر فتحة التجويف ، كما كانت ملقاة بكميات هائلة بين أنحاء الغابة ، وكان الهواء مثقلاً بالفراشات التى كانت تحوم وترفرف وتستقر .

وإلى ما وراء التجويف كانت توجد القمة المربعة للجبل ، وسرعان ما أصبحوا واقفين على تلك القمة . وكانوا قد خَمَّنُوا من قبل أن هذا المكان بمثابة جزيرة ، فهم عندما تسلقوا الصخور القرمزية ورأوا وجود البحر على كلا الجانبين مع وجود الارتفاعات الشفافة للهواء أدركوا بالغريزة أن البحر يقع على جميع الجوانب ، غير أنهم آثروا عدم الإفصاح عن ذلك بشكل قاطع إلى أن وقفوا أخيراً فوق القمة وتمكنوا من مشاهدة الأفق الدائرى للمياه .

وهنا استدار « رالف » نحو الآخرين :

- هذه الجزيرة تخصنا وتنتمى إلينا .

وكانت الجزيرة تشبه الزورق من حيث الشكل إلى حد ما ، فهى محدبة ومقوسة بالقرب من الطرق ، عن طريق الانحدار غير المنتظم نحو الشاطىء . الواقع خلفهم . وعلى الجانبين توجد الصخور والمنحدرات الصخرية الشاهقة وقمم الأشجار والمنحدر الشديد الميل ، وإلى الأمام هنالك كان يوجد طول القارب وانحدار خفيف بعض الشىء مع وجود

منطقة مكسوة بالأشجار ، بالإضافة إلى بعض المساحات الوردية اللون ، وبعدئذ يجيء السطح المستوى للجزيرة المملوء بالأحراش والخضرة الكثيفة ، ولكنه يتخذ فى نهايته شكل الذيل القرمزى اللون . وعند انتهاء الجزيرة فى الماء كانت توجد جزيرة أخرى فى شكل صخرة تكاد تكون منفصلة وواقفة مثل القلعة فى مواجهتهم عبر المساحة الخضراء ، مع وجود برج واحد ناتىء وردى اللون .

وراح الأولاد يحملقون فى كل هذا ، ثم بدءوا يرقبون البحر . لقد كانوا على ارتفاع شاهق ، وكانت فترات ما بعد الظهر قد حلت ، ولم يؤثر السراب على جمال المنظر وروعته .

– تلك شعاب مرجانية . شعاب صخرية مرجانية . لقد سبق لى أن شاهدت صوراً تشبه تلك الشعب .

وكانت هذه الشعب المرجانية تطوق أكثر من جانب حول الجزيرة ، وتقع إلى مسافة ميل تقريباً من الجزيرة ، وتتوازى مع المساحة التى ظنوا أنها بمثابة « البلاج » الخاص بهم . وكانت الشعب المرجانية مرسومة فى خربشة تخلو من العناية فى البحر ، كما لو كانت عملاقاً وقد انحنى لأسفل ليحدد شكل الجزيرة بوضع علامات بالطباشير منسابة ، ولكنه لم يتمكن من إنجاز هذا العمل بسبب شعوره بالتعب . وفى الداخل كانت توجد مياه لها لون أزرق طاووسى يميل إلى الاخضرار ، كما كانت توجد بعض الصخور والأعشاب المائية ، وكأنك أمام معرض للأحياء المائية . أما فى الخارج فكانت توجد زرقة مياه البحر الداكنة ، وكانت مياه البحر تجرى بسرعة ، حتى إن سلاسل طويلة من زبد البحر كانت تصطدم بالشعب المرجانية وتتناثر فى تضاؤل

بعيداً عنها . فشعروا للحظات أن القارب كان يتحرك للخلف بانتظام فأشار « جاك » بيده لأسفل :

وإلى ما وراء سلسلة الجبال والمنحدرات الصخرية الشاهقة كان هناك شق بالغ يمكن مشاهدته بسهولة بين الأشجار ؛ إذ كانت توجد جذوع الأشجار المتمزقة . وبعدئذ كان يوجد السحاب أعلى الأرض ، الذى لم يترك سوى أهداب شجرة نخيل تقع ما بين المنحدرات الصخرية والبحر . وكان يوجد هناك أيضاً الرصيف الناتىء فى « اللاجون » والذى يتحرك بالقرب منه أشكال تشبه الحشرات .

ووضع « رالف » تخطيطا كروكياً ، فرسم خطاً مجدولا يمتد من البقعة الجرداء التى يقفون عليها ويهبط إلى أسفل المنحدر ، ثم الأخدود وعبر الأزهار ، وحول وإلى أسفل الصخرة التى تبدأ من عندها الصخرة المغمورة فى مياه البحر .

ذلك هو أسرع طريق للعودة ، واستمتعوا بحقوق السيطرة والهيمنة ، وظهر البريق واللمعان فى عيونهم ، وتفتحت أفواههم ، ودب الانتصار فى أوصالهم ، وارتفعت روحهم المعنوية ، وشعروا بالصداقة تهيمن عليهم . وقال « رالف » فى وقار :

- لا يوجد ذلك الدخان الذى ينبعث من القرى ، ولا توجد قوارب ، ولسوف نتأكد تماماً من هذه الحقيقة فيما بعد ، ولكننى أعتقد أن هذا المكان غير مسكون .

فصاح « جاك » :

- سنعمل على الحصول على الطعام والاصطياد والإمساك بالأشياء إلى أن يتمكنوا من العثور علينا .

ونظر « سيمون » إلى كليهما بدون أن ينطق بكلمة واحدة ، مكتفياً بالإيماء برأسه إلى أن يهدل شعره الأسود للخلف وللأمام ، وكان وجهه محتقناً فى انفعال .

ونظر « رالف » لأسفل فى الاتجاه الآخر الذى لا يوجد به شعاب مرجانية .

وقال « جاك » : إنه أكثر انحداراً .

وقال « رالف » بحركة على شكل الكوب .

- تلك المساحة من الغابات الموجودة لأسفل هنالك . . إن الجبل يعترضها .

وكان كل نتوء فى الجبل يعترض الأشجار والأزهار . وفى تلك الآونة تحركت الغابة وزمجرت ، وظهر ما يشبه الضرب أو الارتطام بين الأغصان . ورفرفت الأراضى القريبة الزاخرة بالأزهار الصخرية ، وهب نسيم بارد لمدة نصف دقيقة على وجوههم .

فمد « رالف » ذراعيه .

- كل شىء هنا ملكنا .

وضحكوا جميعاً وتشقلبوا ، وراحوا يتصارحون فوق الجبل :

- أشعر بالجوع .

وعندما تكلم « سيمون » عن شعوره بالجوع أدرك الآخران أنهما يشعران أيضاً بالجوع .

فقال « رالف » :

- هيا بنا . لقد توصلنا إلى ما كنا نريد أن نعرفه .

وتدافعوا بالمناكب هابطين على منحدر صخرى ، ووقعوا بين الأزهار ، وشقوا طريقهم بين الأشجار . . وهنا توقفوا وراحوا يفحصون الشجيرات فيما حولهم فى حب استطلاع ودهشة .

وكان « سيمون » أول من تحدث :

- إنها تشبه الشموع . . شجيرات على شكل شموع ، وبراعم على شكل شموع . وكانت الشجيرات شديدة الاخضرار للغاية ، وعطرية الرائحة ، وكانت البراعم العديدة باهتة الاخضرار ومضمومة لتتفادى الضوء . وأغمد « جاك » سكينته فى إحداها وأحدث بها جرحاً ، فهبت الروائح العطرية عليهم .

- براعم على شكل شموع !

وقال « رالف » :

- لا يمكنك إيقاد هذه الشموع . . فهى تشبه الشموع فقط .

وقال « جاك » فى ازدراء :

- شموع خضراء . . لا يمكننا تناولها كطعام . . هيا بنا .

وكانوا عند بدايات الغابة الكثيفة يسيرون بأقدام مرهقة فوق أحد

الدروب عندما سمعوا الأصوات - أصواتا حادة قصيرة - ووقع الحوافز الحادة على الممر . وعندما اندفعوا للأمام تزايدت الأصوات الحادة القصيرة إلى أن أصبحت بمثابة نوبة من الجنون المؤقت ، وعثروا على خنزير صغير واقع فى حبائل من النباتات المتسلقة ، حيث كان يلقى بنفسه بين الحبائل المرنة المطاطة بكل جنون الرعب المطلق ، وكان صوته رفيعاً وثاقباً ومفعماً بالإلحاح الشديد ، فاندفع الأولاد الثلاثة للأمام ، وسحب « جاك » سكينته مرة أخرى متظاهراً بالشجاعة ، ورفع ذراعه فى الهواء ، وتوقفت يده ، وحدثت هناك فجوة ، واستمر الخنزير فى الصراخ ، واستمرت النباتات المتسلقة فى الاهتزاز بعنف واستمر نصل السكينة فى اللمعان فى نهاية ذراع ناتىء العظام ، وكانت فترة التوقف طويلة على نحو جعلهم يدركون مدى عنف السكينة لدى هبوطها لأسفل ، وعندئذ تمكن الخنزير من تحرير نفسه من النباتات المتسلقة ، وانطلق مسرعاً للاختباء بين الأحراش ، فراحوا ينظر بعضهم إلى بعض ، وإلى المكان الذى حدث فيه الرعب ، وكان وجه «جاك» شاحباً تحت بقع النمش ، ولحظ أنه كان لا يزال رافعاً السكينة لأعلى ، فأنزل ذراعه ووضع السكينة فى غمدها . وبعدئذ تضاحك ثلاثتهم فى خجل ، وبدءوا فى التسلق عائدين إلى الممر .

وقال « جاك » .

- لقد كنت أتخير مكاناً . لقد كنت أنتظر للحظات لكى أتخذ قراراً بشأن أى الأماكن التى ينبغى أن أطعنها فى جسد الخنزير .

فقال « رالف » فى وحشية :

كان ينبغى عليك أن تضرب الخنزير وتقتله بطعنه واحد، ولقد سمعت من قبل أن الناس يربكون الخنزير ويطعنونه .

فقال « جاك » :

- ينبغى على المرء أن يقطع أولا حلق الخنزير لكى ينزف دماءه ، وإلا فإنه لا يمكنك أن تأكل لحمه .

- ولماذا لم تفعل ذلك ؟

كانوا يدركون جيداً أن السبب فى عدم قيامه بطعن الخنزير هو بشاعة السكينة وهى تهبط وتقطع فى اللحم الحى ، وأيضاً بسبب الدماء التى لا تطاق .

وقال « جاك » :

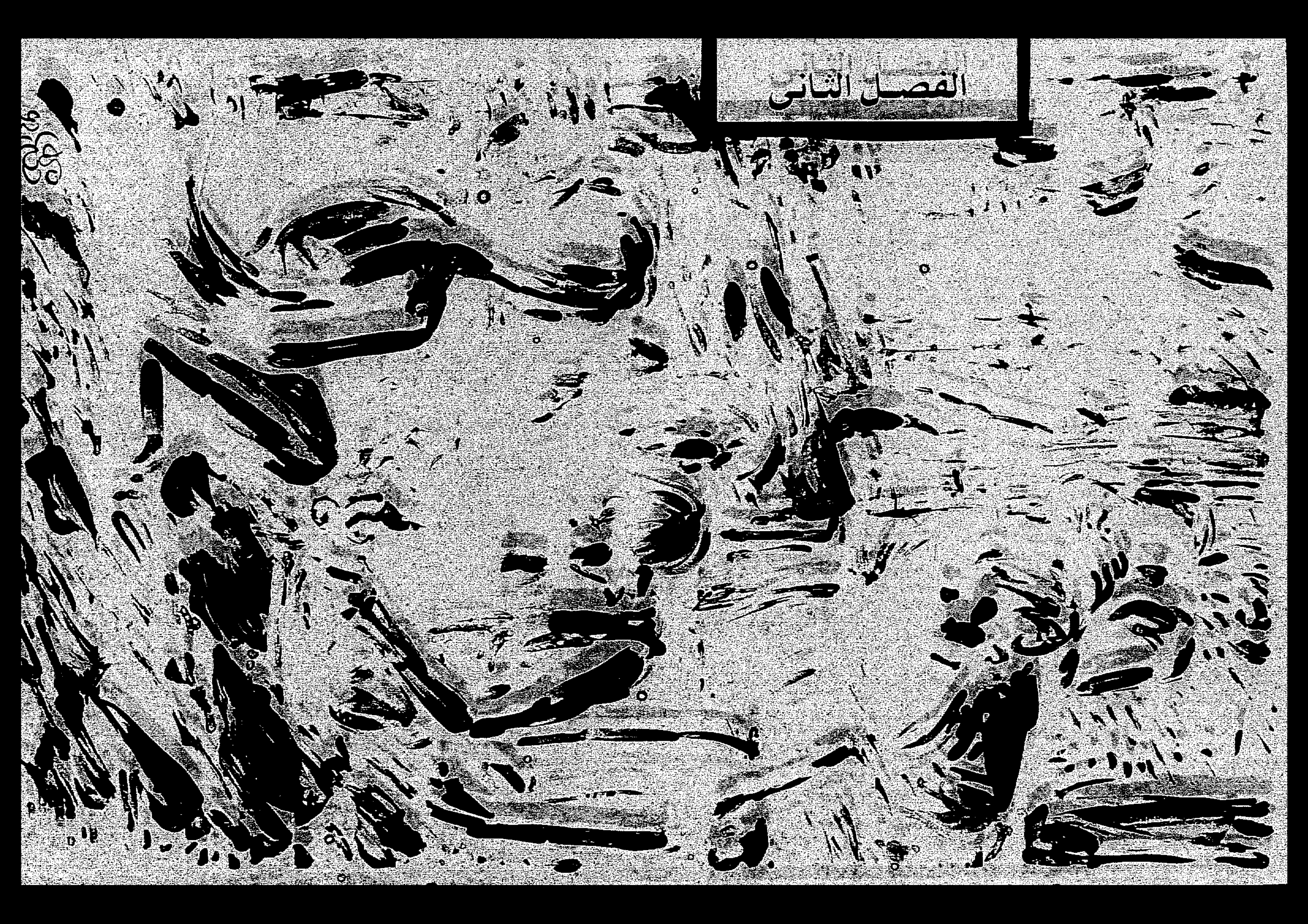
- كنت بصدد ذبحه ، ولكنه سارع إلى الهرب .

وكان يسير أمامهما فلم يتمكنا من مشاهدة وجهه . واستطرد :

- لقد كنت أتخير مكاناً ، وفى المرة القادمة !

وسحب سكينته بعنف من الجراب وطعن جذع شجرة فى عنف . . فى المرة القادمة لن تكون هناك رحمة أو شفقة . . ونظر بوحشية فيما حوله متحدياً أن يعارضه أو يكذبه أحد .

وبعدئذ خرجوا إلى ضوء الشمس الساطع ، وانشغلوا لبعض الوقت فى البحث عن الطعام والتهامه أثناء تحركهم لأسفل هابطين من الصخرة المنخفضة ، ومتجهين نحو الرصيف والاجتماع .



الفصل الثانى

نيــران فــوق الجبــل

ما إن انتهى «رالف» من النفخ فى المحارة حتى ازدحم الرصيف . وكان هذا الاجتماع مختلفاً عن الاجتماع الذى عُقد فى الصباح ؛ لأن شمس ما بعد الظهر مالت وانحدرت من الجانب الآخر للرصيف ، وارتدى معظم الأطفال ثيابهم ؛ لأنهم لم يشعروا بالآلام الشديدة الناجمة عن وهج الشمس إلا بعد فوات الأوان . . وكان أولاد جوقة المرتلين قد خلعوا معاطفهم الفضفاضة .

وجلس « رالف » على جذع شجرة واقع على الأرض وقد جعل جانبه الأيسر فى اتجاه الشمس ، وعلى يمينه كان يوجد معظم أفراد جوقة المرتلين ، وعلى يساره كان يوجد الأولاد الأكبر سناً الذين لم يكونوا قد تعرف بعضهم على البعض قبل الإجلاء عن الموقع الحربى ، وأمامه كان يوجد الأطفال الصغار جالسين القرفصاء فوق العشب .

وساد الصمت فى تلك الآونة ، ورفع « رالف » المحارة الشاحبة الاصفرار الوردية اللون إلى ركبتيه ، ولم يكن يعرف ما إذا كان عليه أن ينهض واقفاً أم يظل جالساً ، وألقى نظرة جانبية إلى يساره نحو بركة الاستحمام ، وكان «بيجى » جالسا فى مكان قريب ، غير أنه لم يقدم أى عون أو مساعدة .

وسلك « رالف » حنجرته :

– حسناً إذن .

واكتشف على الفور أنه باستطاعته التحدث بطلاقة مع شرح وتوضيح الأمور لهم . . فمر بيده على شعره الأشقر ثم قال :

– نحن موجودون على جزيرة ، فقد صعدنا إلى قمة الجبل وشاهدنا المياه المحيطة بنا من جميع الجوانب ، ولم نشاهد منازل ولا دخاناً ولا آثار أقدام على الأرض ، ولا قوارب ولا آدميين ، فنحن موجودون على جزيرة غير مسكونة ، حيث لا يوجد بها أناس آخرون .

وقاطعه « جاك » أثناء حديثه :

– ومع ذلك فأنتم فى حاجة إلى جيش للقيام بأعمال الصيد . . صيد الخنازير .

– نعم ، توجد خنازير فى هذه الجزيرة .

وحاول ثلاثتهم نقل الإحساس والشعور الغامض بذلك الشىء الحى الوردى الذى كان يكافح ويناضل بين النباتات المتسلقة .

– لقد شاهدناه .

– كان يطلق صرخات جنونية طويلة وحادة .

– وأفلت هارباً .

– قبل أن أتمكن من قتله . . ولكن . . فى المرة القادمة !

وطعن « جاك » جذع شجرة بسكينته فى عنف ، ونظر فيما حوله فى شىء من التحدى .

ثم ساد الهدوء الاجتماع مرة أخرى .

فقال « رالف » :

– ولعلكم تدركون الآن أننا بحاجة إلى صيادين لكى يحضروا لنا اللحوم ، وهناك شىء آخر أود الإشارة إليه .

ورفع المحارة على ركبتيه وتفحص الوجوه التى لفحتها حرارة الشمس .

– لا يوجد هنا أى أشخاص كبار ؛ لذلك سنضطر لأن نرعى شئوننا بأنفسنا .

وظهرت بعض الهمهمة ، ثم ساد الصمت الأوضاع مرة أخرى .

– وهنا شىء آخر : لا يمكننا أن ندع كل شخص يتحدث على الفور وفى الحال . ولكننا سنطبق نظامَ « رفع الأيدى » مثلما هو الحال فى المدارس .

ورفع المحارة أمام وجهه ، وألقى نظرة خاطفة على الفم :

– سوف أعطيه المحارة .

– المحارة ؟

– ذلك هو الاسم الذى يُطلق على هذه الصدفة .

– سأعطى المحارة للشخص التالى ليتكلم . . فهو يمكنه الإمساك بالمحارة أثناء تحدثه .

– ولكن . .

– انتبهوا .

– ولن يقاطعه أحد أثناء تكلمه . . باستثنائى أنا . . فأنا فقط الذى أقاطعه .

ونهض « جاك » واقفاً على قدميه ، وصاح فى إثارة :

- وسنضع القوانين . . مجموعة من القوانين . وبعد ئذ إذا انتهك أى فرد القوانين . .

- هوى . . أوه !

- واكو !

- دوانك !

وأحس « رالف » بالمحارة وهى تُرفع من حجره . وبعدئذ كان « بيجى » واقفاً محتضناً المحارة العظيمة ذات اللون الأصفر الشاحب ، وتلاشى الصياح . . ونظراً لأن « جاك » قد تُرك واقفاً على قدميه فقد راح ينظر إلى «رالف » ، فابتسم « رالف » ، وطرق بخفة على الكتلة الخشبية . فجلس «جاك » وخلع « بيجى » نظارته وراح يرمش بعينيه أمام جموع الحاضرين أثناء قيامه بمسح نظارته على قميصه .

- أنت بذلك تعرف « رالف » وتعطله ؛ لأنك لا تدعه يصل إلى أهم النقاط على الإطلاق .

وتوقف عن الكلام على نحو أعطى تأثيراً قوياً :

- من يعرف أننا موجودون هنا ؟ من ؟

- إنهم علموا بذلك فى المطار .

- الرجل الذى معه البوق .

- والدى .

ووضع « بيجى » نظارته على عينيه :

وقال « بيجى » :

- لا أحد يعرف أين نحن الآن .

وازداد شحوبه عن ذى قبل ، بل وأصبحت أنفاسه لاهثة :

- ربما كانوا يعرفون المكان الذى كنا نهدف للوصول إليه ، وربما لم يعرفوا ذلك ، ولكنهم لا يعرفون المكان الذى نوجد فيه الآن بعد أن تأكد لهم أننا لم نصل إلى هناك على الإطلاق .

وحملق فيهم فاغراً فاه للحظات ثم تمايل وجلس . . فأخذ « رالف » المحارة من يديه . . واستطرد :

- ذلك هو ما كنت بصدد أن أقوله لكم . . فعندما أطلقت النيران على الطائرة وسقطت مشتعلة لا أحد منكم كان يعرف المكان الذى كنا نحلق فوقه ، وقد نستمر فى البقاء هنا لفترة طويلة .

وساد صمت مطبق ، حتى إنه كان بمقدورهم سماع تنفس « بيجى » غير المنتظم ، ومالت الشمس ، وأرسلت أشعه ذهبية على نصف ساحة الرصيف ، وتتابعت موجات النسيم فوق « اللاجون » مثل القطط الصغيرة وهى تشق طريقها عبر الرصيف ونحو الغابة . وأزاح « رالف » للخلف كتلة الشعر الأشقر التى كانت متدلية على جبهته .

- ولذلك فإننا قد نظل هنا لفترة طويلة .

ولاذ كل فرد بالصمت المطبق ، وابتسم هو فجأة .

- ولكن هذه الجزيرة رائعة ! فنحن - جاك وسيمون وأنا - قد تسلقنا الجبل وأدركنا جزيرة ممتازة . إذ يوجد بها طعام وشراب و . .

- وصخور .

وأزهار زرقاء اللون .

وأفاق « بيجى » من إغمائه بعض الشىء . . وأشار إلى المحارة الموجودة بين يدى « رالف » ، والتزم كل من « جاك » و « سيمون » . واستطرد «رالف» فى حديثه :

- ويمكننا أثناء انتظارنا أن نقضى وقتاً جميلاً رائعاً على هذه الجزيرة . وأومأ إيماءة كبيرة شاملة أثناء كلامه :

- فهى تشبه ما قرأناه فى الكتب . .

وعلى الفور ظهر شىء من الصخب والضوضاء :

- جزيرة الكنوز .

- طيور السنوتو والأمازونيات .

- جزيرة الشعَب المرجانية .

ولوح « رالف » بالمحارة :

- هذه هى جزيرتنا ، وإنها لجزيرة رائعة . . وإلى أن يحضر الناس الكبار لتسلمنا سنقضى وقتاً مرحاً مليئاً بالتسلية والبهجة .

ورفع « جاك » يده طالباً التحدث فى المحارة ، ثم قال :

- وتوجد خنازير ، ويوجد طعام ، وتوجد مياه للاستحمام فى ذلك الجدول المائى الصغير الموجود هنالك . . يوجد كل شىء . ألم يعثر أى شخص على أى شىء آخر ؟ .

وأعاد المحارة إلى « رالف » ثم جلس ، وكان من الواضح أن أحداً لم يعثر على أى شىء آخر .

ولاحظ الأولاد الكبار أولا الطفل عندما قام ، إذ كانت هناك مجموعة من الأولاد الصغار تستحثه للسير والتقدم للأمام ، ولكنه لم تكن لديه الرغبة فى الذهاب ، وكان ولداً ضئيل الجسم للغاية ، ويبلغ من العمر حوالى ست سنوات ، وكان أحد جانبى وجهه موسوماً بوحمة فى لون ثمرة التوت . ثم وقف آنئذ منحرفاً عن الخط العمودى بسبب الإعلان البغيض عنه ، وشق طريقه بصعوبة على العشب الخشن فى حذر ، وكان يغمغم ويدمدم وهو على وشك البكاء .

ودفعه الأولاد الصغار الآخرون وهم يتهامسون ، ولكن فى شىء من الجدية ، نحو « رالف » .

فقال « رالف » :

- حسناً . تعالَ .

ونظر الولد الصغير حوله فى ذعر شديد :

- تكلم بوضوح فى غير تردد أو خوف ؟

ومد الولد الصغير يديه ليمسك بالمحارة ، فضج الحاضرون بالضحك ، فسحب يديه على الفور وأجهش بالبكاء .

فصاح « بيجى » :

- دعوه يمسك المحارة . . دعوه يمسك بها .

وحثه « رالف » أخيراً على الإمساك بالصدفة (المحارة) ولكن الانفجار

الضاحك كان قد سلب صوت الطفل . فركع « بيجى » بجوار الطفل ووضع إحدى يديه على المحارة الهائلة وراح يصغى ويستمع ويشرح ويفسر لجمهور الحاضرين :

– إنه يريد أن يعرف ما ستفعلونه بشأن الشىء الثعبانى ؟!

فضحك « رالف » وانفجر الأولاد الآخرون فى الضحك معه .

فانسحب الولد الصغير إلى داخل ذاته أكثر من ذى قبل .

– حدثنا عن ذلك الشىء الثعبانى .

– إنه يقول الآن إنه يشبه الحيوان المفترس .

– حيوان مفترس ؟

– شىء كالثعبان . كبير وضخم للغاية ، ولقد شاهده بنفسه .

– أين ؟

– فى الغابة .

فلا النسائم المنتشرة ، ولا ميل الشمس نحو الغروب كانت تسمح بوجود أى قدر – ولو ضئيل – من البرودة المعتدلة ، بحيث يستطيع أى كائن أن ينام تحت الأشجار وتحرك الأولاد فى قلق .

وقال « رالف » فى عطف وحنان .

– لا يمكن أن يوجد حيوان مفترس أو شىء ثعبانى على جزيرة صغيرة كهذه ، فهذه الأشياء لا توجد إلا فى البلاد الضخمة مثل إفريقيا أو الهند .

فدبت التمتمة والإيماءات الوقور من رءوس الحاضرين :

إنه يقول إن الوحش جاء فى الظلام .

– إذا كان قد جاء فى الظلام فهذا يعنى أنه لم يستطع مشاهدته . فدوت عاصفة من الضحك والهتاف والتهليل :

– أسمعت هذا ؟ إنه يقول إنه شاهد ذلك الشىء فى الظلام .

– إنه لا يزال يكرر بأنه قد شاهد الحيوان المفترس ، ويقول إن الحيوان جاء ثم انصرف ، ثم جاء مرة أخرى وكان يريد التهامه .

وتضاحك « رالف » وراح ينظر فيما حوله بين الوجوه المحدقة به للحصول على تأييد لكلامه ، فوافق على كلامه الأولاد الأكبر سنًّا ، ولكن ظَهَر – بين الأولاد الصغار هنا وهناك – الشك الذى كان يتطلب ما هو أكثر من التأكيد المنطقى العقلانى .

– لابد أنه كان يحلم حلماً مروعاً أو كان يمر بكابوس بعد أن تعثر بين كل ذلك الكم الهائل من النباتات المتسلقة .

فظهر مزيد من الإيماءات الوقور ، فهم يعرفون الكوابيس ، ومروا بتلك التجربة .

– إنه يقول إنه شاهد الوحش المفترس الذى يشبه الثعبان ، ويتساءل عما إذا كان سيعود مرة أخرى فى هذه الليلة .

– ولكن لا توجد هناك أية وحوش مفترسة !

– إنه يقول إن الشىء الشبيه بالثعبان تحول فى الصباح إلى أشياء تشبه الحبال فى الأشجار ، وتدلت من الأغصان ، وهو يتساءل عما إذا كانت ستعود فى هذه الليلة ؟ .

- ولكن لا توجد هناك أية وحوش مفترسة .

ولم تظهر أية ضحكات على الإطلاق فى هذه المرة ، وإنما ظهر المزيد من الحذر والترقب . ودفع « رالف » بكلتا يديه عبر شعره ، ونظر إلى الولد الصغير فى شىء من التسلية الممزوجة بالضيق والسخط .

وهنا أمسك « جاك » بالمحارة :

- بالطبع « رالف » على حق فيما يقوله ؛ إذ لا يوجد هناك شىء يشبه الثعبان ، ولكن إذا كان يوجد هناك ثعبان فإننا سنصطاده ونقتله ، كما أننا سنقوم باصطياد الخنازير ؛ لكى نقدم لحومها لكل شخص هنا ، ولسوف نبحث عن الثعبان أيضاً .

ولكن لا يوجد هناك أى ثعبان .

- سنتأكد من ذلك تماماً عندما نخرج للصيد .

وكان « رالف » يشعر بالضيق والتبرم ، بل كان يشعر بالإحباط والهزيمة فى تلك اللحظات ؛ إذ وجد نفسه يواجه شيئاً لا يمكن الإمساك به ، وكانت العيون التى تنظر إليه فى انتباه وتركيز شديدين خالية تماماً من روح الفكاهة والمزاح .

- ولكن لا يوجد هناك أى وحش !

وتصاعد شىء ما غير معروف له فى داخله وأرغمه على الإصرار على رأيه ، فقال بصوت مرتفع مرة أخرى :

- ولكن أقول لكم إنه لا يوجد هناك أى وحش .

والتزم الحاضرون بالصمت المطبق .

ورفع « رالف » المحارة مرة أخرى ، وعادت له روح الفكاهة عندما فكر فيما ينبغى أن يقوله بعد ذلك :

– والآن نصل إلى أهم الأمور على الإطلاق . . لقد كنت أفكر فى ذلك الأمر ، كنت أفكر فى ذلك الأمر أثناء تسلقنا الجبل .

وابتسم للشخصين الآخرين ابتسامة سريعة كالوميض ، بها روح التآمر، وأكمل حديثه :

– وعلى البلاج تَواً ، وهذا هو ما فكرت فيه الآن . . إننا نريد قدراً من المرح ، ونريد أيضاً أن يتم إنقاذنا .

فصدر صوت متحمس للغاية عن الحاضرين معبراً عن الموافقة بالإجماع ، وارتطم به ذلك الصوت وكأنه موجة عارمة ، ففقد سياق الحديث . . وراح يفكر مرة أخرى :

– نحن نرغب فى أن يتم إنقاذنا ، وبالطبع سيتم إنقاذنا .

وتصاعدت الأصوات فى ثرثرة مملوءة بالارتياح ، فبرغم أن العبارة التى قالها « رالف » لا يدعمها أى دليل أو برهان فإن ثقل السلطة الجديدة لـ «رالف » قد نشر السعادة والأمل بين الحاضرين . . واضطر . . « رالف » للتلويح بالمحارة ؛ لكى يلتزموا الصمت ويستمعوا إليه .

– إن والدى يعمل فى الأسطول البحرى ، وقد سبق أن أوضح لى أنه لا توجد جزيرة على وجه الكرة الأرضية غير معروفة ، وقال لى إن ملكة إنجلترا لديها غرفة كبيرة مملوءة بالخرائط ، وإن جميع الجُزر الموجودة فى العالم قد رُسمت فى تلك الخرائط ؛ ولذلك فإن الملكة لديها صورة عن هذه الجزيرة .

فصدرت مرة أخرى أصوات معبرة عن البهجة وارتفاع الروح المعنوية .

- وإن عاجلاً أو آجلاً ستجيء سفينة إلى هنا ، بل قد تكون سفينة والدى ذاتها ، وهكذا ترون أننا سيتم إنقاذنا إنْ عاجلاً أو آجلا .

وتوقف عن الكلام مع الوصول إلى تلك النقطة .

وشعر الحاضرون أنهم أصبحوا قريبين من الإنقاذ عقب سماع كلماته ، وبدءوا يشعرون بالاحترام نحوه ، علاوة على ارتياحهم وحبهم له ، وبشكل تلقائى راحوا يصفقون بأيديهم ، فدوى الرصيف على الفور بالتصفيق الحاد، فتدفقت الدماء إلى وجه « رالف » خجلاً ، وألقى نظرة جانبية على «بيجى » الذى كان يعبر عن إعجابه بكل صراحة ، ثم ألقى نظرة جانبية أخرى على « جاك » الذى كان يتظاهر بالابتسام وبين أنه يعرف كيف يصفق بيديه .

ولوح « رالف » بالمحارة .

- التزموا بالصمت . . انتظروا . . استمعوا إلى . .

واستأنف كلامه وسط الصمت المطبق ونشوة الانتصار :

- . . . وهناك شيء آخر أود الإشارة إليه . . وهو أننا باستطاعتنا أن نساعدهم على سرعة العثور علينا ، إذا اقتربت سفينة ما من الجزيرة فإنهم ربما لا يلحظوننا ؛ لذلك ينبغى لنا أن نطلق دخاناً فوق قمة الجبل ، وينبغى أن نشعل نيراناً .

- نيران ؟! نشعل نيراناً ؟!

وعلى الفور نهض نصف عدد الأولاد واقفين ، وصاح « جاك » فى صخب :

– ونسيت المحارة ؟!

– هيا بنا . . اتبعونى

وضج المكان الواقع تحت أشجار النخيل بالضوضاء والحركة . نهض «رالف » واقفاً على قدميه هو الآخر ، صائحاً فى الموجودين ، وطالباً منهم الالتزام بالهدوء ، ولكن أحداً لم يسمعه . إذ انجرف جمهور الحاضرين على الفور نحو الجزيرة ، وانصرف وراء « جاك » ، بل وذهب الأطفال الصغار أيضاً وراحوا يشقون طريقهم بصعوبة بين الأوراق والأغصان ، وانفضوا جميعاً من حول « رالف » الذى وجد نفسه واقفاً ومُمْسِكاً بالمحارة ، ولا أحد حوله ، إلا « بيجى » .

وكان تنفس « بيجى » قد عاد إلى حالته الطبيعية تماماً ، فقال فى شىء من الاستهزاء والاحتقار :

إنهم يشبهون الأطفال الصغار ، ويتصرفون كمجموعة من الأطفال الصغار !

فنظر « رالف » إليه فى شىء من الريبة والشك ووضع المحارة على جذع الشجرة .

وقال « بيجى » أعتقد أن الوقت الآن هو وقت تناول الشاى ، فماذا سيفعلون على ذلك الجبل ؟

وراح يربت على المحارة فى تبجيل واحترام ، ثم توقف ونظر لأعلى :

– « رالف » ! يا « رالف » ! إلى أين أنت ذاهب ؟ .

وكان « رالف » قد بدأ يتسلق ويشق طريقه بصعوبة فوق الأعشاب

الأولى المحطمة من سياق النباتات . وعلى مسافة بعيدة أمامه كان يرى تحطيم الأعشاب ، ويسمع صرخات الضحك والشغب .

وراح « بيجى » يرمقه فى اشمئزاز :

- مثل جمهور من الأطفال الصغار .

وتنهد وانحنى وأخذ يعقد رباط حذائه .

وتلاشت تدريجياً أصوات الأطفال الهائمين على وجوههم فوق الجبل . . ثم ظهر على وجهه تعبيرات الأب الذى يضحى بنفسه من أجل أولاده ، والذى ينبغى عليه أن يساير حماسَ الأطفال العديم المعنى ، فالتقط المحارة واتجه نحو الغابة ، وبدأ يشق طريقه فوق المساحات التى أشاع فيها الأولاد الفوضى والتلف .

وتحت الجانب الآخر لقمة الجبل كان يوجد رصيف من الغابات . ومرة أخرى وجد « رالف » نفسه يستخدم يده للإشارة لهم .

- هناك عند السفح يمكننا العثور على كمية كبيرة من الأخشاب كما نريد . .

فأومأ « جاك » برأسه وعض على شفته السفلى ، وعلى مسافة مائة قدم تقريباً عند الجانب المنحدر للجبل بدت تلك الرقعة من الأرض وكأنها قد خُصصت من أجل الحصول على الوقود ، فالأشجار التى سبق أن تعرضت بشدة للحرارة المشبعة بالرطوبة ولم تجد سوى طبقة ضئيلة للغاية من الطمى لم تتمكن من النمو نمواً كاملاً ، فسقطت قبل بلوغ النمو الكامل ، وأُصيبت بالتلف والسوس ، فغلفتها النباتات المتسلقة ، وشقت الشجيرات الجديدة طريقاً لها بينها .

واستدر « جاك » نحو أفراد جوقة المنشدين - الذين كانوا يقفون على أهبة الاستعداد ، وكانت طاقياتهم السوداء التى تحمى رءوسهم قد انزلقت على أُذن واحدة مثل « البيريه » - قائلاً :

- سنقوم بتكويم كومة كبيرة . . هيا بنا .

وعثروا على أنسب الممرات المؤدية إلى أسفل الجبل وراحوا يجذبون ويشدون الأخشاب الناشقة بقوة ، أما الأولاد الصغار الذين كانوا قد وصلوا إلى قمة الجبل فقد راحوا ينزلقونُ أيضاً على الممر إلى أن أصبح كل فرد منهمكاً فى العمل ، إلا « بيجى » وكانت معظم الأخشاب مسوسة للغاية ، حتى إنها كانت تتكسر وتتحطم إلى وابل من القطع الصغيرة والشظايا لدى جذبها، غير أن بعض جذوع الشَجْر خرجت سليمة متماسكة فى كتلة واحدة . وكان التوءمان : « سام » و « إيريك » هما أول من حصلا على قطعة خشبية أسطوانية الشكل ، إلا أنهما لم يتمكنا من عمل أى شىء إلى أن وجد « رالف» و « جاك » و « سيمون » و « روجر » مكاناً يمسكون منه القطعة ليرفعوها . وبعدئذ شقوا طريقهم فى بطء مصحوب بالغناء وهم يرفعون ذلك الشىء الميت المشوه المنظر فوق الصخور ويضعونه فوق القمة . وأضاف كل مجموعة من الأولاد كمية - أكبر أو أقل - إلى الكومة ، وبدأت الكومة تتزايد فى حجمها ، ولدى العودة وجد « رالف » نفسه وحيداً فوق غصن من أغصان الشجر مع « جاك » فابتسم كل منهما لزميله وهما يشاركان فى هذا الجهد . ومرة أخرى تزايد الصياح بين النسيم وتحت انحدار ضوء الشمس على الجبل العالى ، وظهر الرونق والسحر ، وتدفق ضوء الصدفة الرائع غير المرئى ، ودبت روح المغامرة فيهما والشعور بالرضا والسرور . قال «رالف » :

- تكاد تكون ثقيلة للغاية !

فالتفت « جاك » نحوه مبتسماً :

- ليس بالنسبة لنا ، فنحن اثنان .

وترنحا معاً وهما يبذلان الجهد المشترك لنقل الحمل الثقيل لأعلى فوق المنحدر الأخير للجبل . وراحا ينشدان معاً .

- واحد . اثنين . ثلاثة . . .

ثم ألقيا بالقطعة الخشبية فوق الكومة الهائلة ، وبعدئذ قفلا راجِعَينْ وهما يضحكان فى بهجة مملوءة بمشاعر الانتصار ، حتى إن « رالف » اضطر لأن يقف على الفور على رأسه معبراً عن شدة نشوته ، وتحتها كان الأولاد لا يزالون يعملون فى جد واجتهاد ، برغم أن بعض الأطفال الصغار ظهر عليهم بعض الملل وعدم الاكتراث ، حيث راحوا يبحثون فى تلك الغابة الجديدة عن الثمار ليأكلوها ، وعندئذ وصل التوءمان فى مثابرة وفى ذكاء واضح إلى قمة الجبل وقد امتلأت أذرعهما بأوراق الشجر الجافة ، وألقيا بها على الكومة الكبيرة . وعندما أحس الأولاد أن الكومة أصبحت كاملة بدءوا يتوقفون الواحد تلو الآخر عن إحضار المزيد من الأخشاب ، ووقفوا عند قمة الجبل الوردية اللون وبعدئذ عادت الأنفاس اللاهثة إلى حالتها الطبيعية ، وجف العرق .

ونظر كل من « رالف » و « جاك » إلى زميله ، والتف باقى الأولاد حولهما . . وتصاعدت فى داخلهما مشاعر الخجل من نفسيهما ، ولم يعرفا كيف يبدأان فى الاعتراف بذلك الإدراك المخجل .

وكان « رالف » هو الذى تحدث أولاً ، وقد اكتسى وجهه باللون القرمزى .

– هل يمكنك ؟

وسلك صوته وحنجرته واستطرد :

– هل يمكنك أن تشعل النيران ؟

وأصبح الموقف الحرج مكشوفاً أمام الجميع ، وتصاعدت الدماء فى وجه « جاك » هو الآخر ، وبدأ يتمتم فى غير وضوح :

– عليك أن تحك عصوين . عليك أن تحك .

وحملق فى « رالف » الذى نطق فى غير تبصر بالاعتراف الأخير بالعجز وعدم الصلاحية .

– هل يوجد أى كبريت مع أى شخص ؟

فقال « روجر » :

– عليك بعمل عقدة أنشوطية مع جَعْل السهم يدور بسرعة .

وحك يديه فى حركة تمثيلية صامتة وقال :

– بس ، بس . .

وكان هناك قدر ضئيل من الهواء يتحرك فوق الجبل . وجاء « بيجى » مع ذلك الهواء مرتدياً قميصاً وبنطلوناً قصيراً ، وكان يجرى فى تثاقل وحذر خارجاً من الغابة مع ضوء شمس المساء المنعكس فى بريق على نظارته ، وكان ممسكاً بالمحارة تحت ذراعيه .

فناداه « رالف » وصاح قائلا :

- « بيجى » أيوجد معك كبريت ؟

ورد الأولاد الآخرون نفس التساؤل بصوت مرتفع إلى أن دوى الجبل بضجيج الأصوات ، فهز « بيجى » رأسه ، ووصل إلى الكومة .

- يا إلهى ! لقد كومتم كومة كبيرة ، أليس كذلك ؟

وهنا أشار « جاك » فجأة :

- نظارته - يمكن استخدامها كنظارة احتراق .

ووجد « بيج » نفسه محاطاً بالأولاد قبل أن يتمكن من الإفلات والرجوع إلى الوراء .

- دعونى أذهب وشأنى .

وتصاعد صوته إلى حد الصراخ فى رعب عندما جذب « جاك » نظارته فى عنف وخلعها من وجهه .

- لا تقم بهذا العمل الطائش . . أعِدْ إلى نظارتى . . إننى لا أكاد أرى بدونها . . إنك ستحطم المحارة !

فأزاحه « رالف » بمرفقه إلى جانب ، وركع بجوار الكومة .

- لا تحجب ضوء الشمس .

وكان هناك دفع وجذب وصيحات فضولية . .

وراح « رالف » يحرك العدسات للأمام والخلف ونحو هذا الاتجاه وذاك الاتجاه إلى أن وقعت صورة بيضاء لامعة للشمس المنحدرة نحو الغروب فوق قطعة الخشب المتآكل . وعندئذ تصاعد على الفور دخان ضئيل رفيع ، مما جعل « رالف » يسعل . . وركع « جاك » هو الآخر وراح ينفخ فى رفق إلى أن

انحرف الدخان بعيداً وتزايدت كثافتة ، وظهر لهيب ضئيل . وكان اللهيب الضئيل يكاد يكون غير مرئى فى بادىء الأمر تحت الضوء الساطع للشمس ، وبعدئذ أحاط بغصن ضئيل ، وتزايد وتصاعد ، وتزخرف بالألوان ، وتصاعد إلى أن وصل إلى غصن مرتفع ، فتفجر ذلك الغصن فى طقطقة حادة عالية ، وتلاطم اللهيب مرتفعاً لأعلى ولأعلى ، وانفجر الأولاد فى التهليل والهتاف .

وراح « بيجى » يصرخ :

- نظارتى ! أعطونى نظارتى !

ووقف « رالف » على مسافة بعيدة من الكومة ووضع النظارة فى يد «بيجى » التى كانت تتحسس وتتلمس طريقها . فانخفض صوته وأصبح فى شكل تمتمة :

- مجرد ضباب وخيالات مشوشة ، لا أكاد أرى يدى .

وكان الأولاد يرقصون ويتمايلون ، وكانت الكومة عفنة للغاية ، وأصبحت جافة وسريعة الاشتعال للغاية ، حتى إن الأغصان الكبيرة تداعت أمام ألسنة اللهيب الصفراء التى ارتفعت لأعلى ، ونتجت عنها كتلة هائلة من اللهيب يصل ارتفاعها إلى عشرين قدماً فى الهواء ، وكانت الحرارة على مسافة ياردات حول النيران بمثابة لطمة أو ضربة على الوجه ، وكان الوهج المنبعث منها بمثابة نهر متدفق من الشرر ، وتقوضت جذوع الأشجار وتحولت إلى تراب أبيض اللون .

وصاح « رالف » :

- نريد المزيد من الأخشاب . . اذهبوا جميعاً لإحضار المزيد من الأخشاب .

وأصبحت الحياة بمثابة سباق مع النيران ، وتبعثر الأولاد بين الأجزاء العلوية من الغابة ، وكان الهدف المباشر أمام الأولاد هو الإبقاء على أعلام اللهيب الصافية من الدخان مرفرفة باستمرار فوق الجبل ، ولم يذهب واحد من الأولاد إلى ما هو أبعد من ذلك . وراح الأولاد الصغار يشاركون فى إحضار قطع صغيرة من الأخشاب و إلقائها فى كومة النيران ، اللهم إلا إذا أغرتهم الفواكه وجذبتهم إليها . وتحرك الهواء على نحو أسرع من ذى قبل ، وأصبح بمثابة رياح خفيفة يسهل معها التفريق ما بين الجانب الواقع تحت مهب الريح والجانب المحمى من الريح . فعلى أحد الجانبين كان الهواء بارداً، ولكن على الجانب الآخر كانت النيران تدفع بذراع من الحرارة المتوحشة التى تجعد الشعر على الفور . والأولاد الذين شعروا برياح المساء التى كانت تلامس وجوههم الرطبة كانوا يتوقفون للاستمتاع بتيارها المنعش، وبعدئذ اكتشفوا أنهم أصيبوا بالإرهاق والتعب ، فألقوا بأنفسهم تحت الظلال التى تتخلل الصخور المتحطمة ، وتضاءلت حدة اللهيب على وجه السرعة ، ثم تداعت الكومة من الداخل بصوت هادىءمخلفة الرماد . . وأطلقت شجرة كمية هائلة من الشرر لأعلى . . انحدرت بعيداً ثم انحرفت فى اتجاه الريح ، واستلقى الأولاد لاهثين مثل الكلاب .

ورفع « رالف » رأسه من بين ساعديه قائلاً :

هذا العمل الذى قمنا به ليس عملاً حسناً .

وبصق « رالف » فى عنف فى الغبار الساخن .

قال « بيجى » :

- ماذا تعنى ؟

- لم يظهر أى دخان ، مجرد لهيب فقط .

وكان « بيجى » قد قبع بين صخرتين وجلس واضعاً المحارة على ركبتيه . .

- إننا لم نشعل نيراناً تعود علينا بأى منفعة ، ولا يمكننا أن نجعل نيراناً مثل هذه تستمر فى الاشتعال على الدوام إذا لم نسعَ لذلك . .

فقال « جاك » فى احتقار :

- لقد اكتفيت أنت بموقف المتفرج ولم تبذل أى جهد .

فقال « سيمون » وهو يضع ساعده على خده فيتلوث خده بالسواد :

- لقد استخدمنا نظارته ، وهو قد ساعدنا على ذلك النحو .

وقال « بيجى » فى سخط وتبرم :

- المحارة معى ، دعونى أتكلم .

فقال « جاك » :

- المحارة لا أهمية لها فوق الجبل ؛ لذلك عليك بالسكوت والالتزام بالصمت .

- إننى أمسك بالمحارة فى يدى .

وقال « موريس » :

- ضعوا أغصاناً خضراء ، فهذه هى أفضل طريقة للحصول على الدخان .

إننى أمسك بالمحارة .

فاستدار « جاك » فى وحشية نحو « بيجى » وقال :

- اخرس .

فدب اليأس والضعف فى « بيجى » وأخذ « رالف » المحارة منه ونظر إلى الحلقة التى تضم الأولاد :

- ينبغى لينا أن نخصص أولاداً من أجل الاهتمام بشئون النيران ورعايتها ؛ فقد تصل إلى هنا ذات يوم أي سفينة .

وأشار بيده إلى حبل الأفق المشدود . واستطرد :

- فإذا حرصنا على الاستمرار فى إطلاق الإشارات فإنهم سيجيئون إلينا وينقذوننا . وهناك شيء آخر أود التطرق إليه : ينبغى أن يكون لدينا المزيد من القواعد إذا استخدمنا المحارة ، فهذا معناه عقد اجتماع ، سواء هنا فوق الجبل أم عند السفح هنالك .

فوافقوا على هذا الرأى ، وفتح « بيجى » فمه لكى يتكلم ، ولكنه أغلق فمه مرة أخرى عندما وقع نظره على عين « جاك » . . ومد « جاك » يده للحصول على المحارة ، ونهض واقفاً ممسكاً المحارة بعناية بيديه الملوثتين بالسواد .

- إننى أوافق « رالف » على رأيه ؛ إذ ينبغى أن تكون لدينا قوانين وأنظمة، وينبغى أن نطيع تلك القوانين ، وفوق كل ذلك فنحن لسنا همجيين . . لأننا إنجليز ، والإنجليز هم أفضل الناس فى جميع الأمور ، ومن ثم ينبغى لينا أن نفعل الصواب ونبتعد عن الخطأ .

ثم التفت نحو « رالف » قائلاً :

- يا « رالف » ، إننى سأقسم جوقة المنشدين - الصيادين التابعين لى - إلى مجموعات ، وسيكونون مسئولين عن الاستمرار فى إشعال النيران .

ونتج عن هذا الكلام المتسم بالكرم والسخاء تصفيق حاد من جانب الأولاد ، حتى إن « جاك » ابتسم لهم ، ثم لوح بالمحارة نحوهم طالباً الالتزام بالهدوء . .

– سوف نخمد النيران الآن ، فمن ذا الذى يمكنه مشاهدة الدخان ليلاً؟ ويمكننا أن نشعل النيران مرة أخرى هذا الأسبوع ، وأنت يا « التومى » يمكنك أن تتولى مسألة إشعال النيران فى خلال هذا الأسبوع ، ويزاد العدد إلى ثلاثة أضعاف فى الأسبوع التالى .

ووافق الأولاد على هذا القول فى رزانة ووقار :

– وسوف نكون مسئولين عن الالتزام بإلقاء نظرة على البحر باستمرار أيضاً .

وتابعوا بعيونهم اتجاه ذراعه البادى العظام .

– ولسوف نضع الأغصان الخضراء على الكومة حتى يمكننا إطلاق المزيد من الدخان .

وحملقوا بشدة فى الأفق الشديد الزرقة كما لو كانوا يتوقعون ظهور صورة ظلية ضئيلة فى أى لحظة .

وكانت الشمس فى الغرب مثل ثمرة من الذهب المحترم ، وأحسوا جميعاً بمقدم المساء فجأة لدى تلاشى الضوء والدفء .

وأخذ « روجز » المحارة ونظر فيما حوله نحوهم فى تشاؤم واكتئاب :

– لقد ظللت أرقب البحر لفترة طويلة ، ولكنى لم أشاهد أي أثر لسفينة عابرة ، وربما لا يتم إنقاذنا على الإطلاق .

وتصاعدت همهمة بين الحاضرين ، ثم تلاشت تدريجياً . وأخذ «رالف» المحارة .

- لقد سَبق أن قلت إننا سننقذ فى وقت ما . علينا فقط أن نتذرع بالانتظار ، وهذا هو كل فى الأمر .

وفى شىء من السخط والجرأة أخذ « بيجى » المحارة :

- ذلك هو ما سبق أن قلته . . لقد تحدثت عن اجتماعاتنا وأمورنا وبعدئذ قلتم لى : « اخرس » .

وتردى صوته إلى حالة من التباكى الناجمة عن رد الاتهام عن شخص فاضل ملتزم .

فتململ الحاضرون وبدءوا يصيحون فى وجهه لكى يكف عن الكلام .

فصاح « بيجى » فى نغمة واقعية مملوءة بالمرارة :

« لقد قلتم إنكم تريدون إشعال نيران صغيرة ، ولكنكم كومتم كومة كبيرة . وإذا قلت لكم أى شىء تقولون لى « اخرس . ولكن إذا كان المتحدث هو « جاك » أو « موريس » أو سيمون » . .

وتوقف عن الكلام بسبب تصاعد موجات الضوضاء والاضطراب ، ووقف على قدميه وراح إلى ما وراءهم وإلى أسفل نحو الجانب غير المريح من الجبل ، حيث توجد تلك الرقعة الهائلة التى وجدوا بها الأخشاب الجافة . ثم انفجر فى ضحكات عصبية غريبة للغاية ، مما جعلهم يلتزمون الصمت المطبق . . وينظرون إلى الوميض المنعكس على نظارته فى دهشة ، وتابعوا حملقته ليدركوا النكتة المرة .

- لقد أشعلتم نيراناً صغيرة على خير وجه .

وكان الدخان يتصاعد هنا وهناك بين النباتات المتسلقة التى كانت تزين الأشجار الميتة أو الأشجار التى هى بصدد الانجراف إلى الموت ، وكانوا يرقبون ظهور وميض النيران عند جذور كتلة خشبية صغيرة ، وبعدئذ تصاعد الدخان فى كثافة .

وتحركت ألسنة صغيرة من النيران عند جذع شجرة وزحفت لأعلى بين الأوراق والأغصان فى انقسام وتزايد وتعاظم . ولمست قطعة صغيرة جذع شجرة وتسلقت لأعلى فى تدافع مثل حيوان السنجاب البارع المتألق . وتزايد الدخان وقفز سنجاب فوق أجنحة الرياح وأمسك بشجرة أخرى منتصبة القامة وراح يأكل فيها متجهاً لأسفل . وتحت تعريشة الأوراق الداكنة والدخان أمسكت النيران بالغابة وبدأت عملية القضم والنحر والقرض وتدحرجت فدادين من « السواد » والدخان نحو البحر بانتظام . وعندما شاهد الأولاد ألسنة اللهيب وسريان النيران فى إصرار لا يمكن مقاومته انفجروا فى هتاف جاد مملوء بالإثارة ، وبرغم أن ألسنة اللهب كانت نوعاً من الحياة المتوحشة فإنها كانت تزحف مثل فهد أمريكى يزحف على بطنه نحو خط من الشجيرات الصغيرة التى تشبه أشجار البقولا ، والتى أنبتت طبقة بارزة من الصخر القرمزى . وراحت تثير الهياج أولا بين الأشجار الأولى وأنبتت الأغصان أوراقاً قصيرة من النيران ، وقفز اللهيب فى رشاقة عبر الفجوة ما بين الأشجار ثم بدأ يتأرجح ويحتدم على طول صف الأشجار وتحت الأولاد المتقافزين . وكانت هناك مساحة ربع ميل مربع من الغابة محتدمة بالدخان واللهيب . واندمجت أصوات النيران المميزة فى قرع للطبول بدا وكأنه يهز الجبل .

- لقد نفذتم نيرانكم الصغيرة على ما يرام .

وجفل « رالف » وأدرك على الفور أن الأولاد كانوا ملتزمين بالسكون والصمت ، حيث كانوا يشعرون ببدايات الرعب والخوف من القوى التى أطلقت فى حرية تحتهم . وما إنْ أدرك حقيقة الموقف وأحس بتفشى الرعب بين الموجودين حتى تحول إلى إنسان شرس .

- أوه . اخرس .

فقال « بيجى » فى صوت مملوء بالاستياء :

- لقد أمسكت بالمحارة وأصبح لى الحق فى التكلم .

فنظروا إليه بعيون لا تشعر بأى شغف بما شاهدوه وراحوا يرهفون آذانهم ليسمعوا قرع طبول النيران . وحملق « بيجى » فى عصبية فى نار جهنم واحتضن المحارة .

- لقد تسببنا فى إحراق الغابة ، وتلك هى النيران الصغيرة التى أردنا إشعالها .

ولعق شفتيه :

- ليس هناك أمامنا ما نفعله . ينبغى لينا أن نكون أكثر حرصاً وحذراً .

إننى فى غاية الفزع !

فأبعد « جاك » عينيه فى تثاقل عن النيران :

- أنت دائما يا « فاتى » فى حالة من الفزع !

فقال « بيجى » فى برود شديد :

- إننى أمسك بالمحارة .

واستدار نحو « رالف » وقال :

- إننى أمسك بالمحارة . يا « رالف » أليس كذلك ؟

وأدار « رالف » وجهه على الرغم منه عن المنظر الرائع المخيف :

- ماذا فى الأمر ؟

- المحارة . إن لى الحق فى التكلم .

وانفجر التوءمان فى الضحك معاً :

لقد كنا نريد دخانا .

- والآن انظروا . . !

لقد كانت هناك سحب من الدخان الكثيف الممتدة لأميال بعيداً عن الجزيرة ، وبدأ جميع الأولاد إلا « بيجى » يضحكون ثم انفجروا جميعاً فى ضحكات عالية هستيرية مدوية .

فتصاعدت موجات الغضب فى داخل « بيجى » :

- المحارة معى . . عليكم بالإنصات والاستماع لى . . إن أول شىء كان ينبغى علينا إنجازه هو بناء أكواخ لنا هنالك بالقرب من « البلاج » ، ففى ذلك المكان لم يكن الجو شديد البرودة ليلا ، ولكن ما إن قال لكم « رالف » « النيران » حتى انطلقتم فى صراخ وعواء ، وصعدتم إلى هذا المكان فوق الجبل . تماماً مثل مجموعة الأطفال الصغار .

وفى تلك اللحظات كانوا ينصتون إلى الخطبة المسهبة العنيفة .

- كيف يمكنكم أن تتوقعوا أن يتم إنقاذ حياتكم إذا لم تضعوا أولويات للأمور التى تقومون بها وتسيرون فى الاتجاه الصحيح ؟

ثم خلع نظارته ، وبدا وكأنه سيترك المحارة ويضعها جانباً ، إلا أن

الحركة الفجائية التى قام بها معظم الأولاد لالتقاط المحارة جعلته يغير رأيه ، فوضع المحارة تحت ذراعه ، واستند إلى إحدى الصخور وقال :

– وبعد أن وصلتم إلى هنا أشعلتم نيراناً فى الهواء الطلق لا فائدة منها على الإطلاق ، والآن لقد أشعلتم الجزيرة كلها بالنيران ، أليس من السخف والعبث أن نشعلها كلها بالنيران ؟ إننا سنضطر لتناول الفاكهة المطبوخة كطعام لنا ، ونتناول لحوم الخنازير المشوية على النار ، وليس فى هذا ما يثير الضحك ولقد انتخبتم « رالف » رئيساً على الجميع ، ولكنكم لا تعطونه الوقت الكافى للتفكير من أجلكم ، فهو ما إن يقول شيئاً حتى تندفعوا بدون تَرَوٍّ مثل ، مثل . . .

وتوقف عن الكلام ليلتقط أنفاسه . .

وراحت النيران تهدر ، وتمتم فى وجوههم :

– وليس هذا هو كل ما فى الأمر ، فهؤلاء الأطفال الصغار ، هؤلاء الأطفال الصغار ، هؤلاء الأطفال الصغيرو الأجسام . من ذا الذى اهتم بشئونهم ؟ ومن منا يعرف عددهم على وجه التحديد ؟

واتخذ « رالف » خطوة فجائية للأمام .

– لقد سبق أن طلبت منك أن تعد لى قائمة بالأسماء ؟ .

فصاح « بيجى » فى استياء :

– كيف يمكننى القيام بهذا العمل بمفردى ؟ لقد انتظروا لمدة دقيقتين ثم ألقوا بأنفسهم فى مياه البحر ، ثم توغلوا فى الغابة وتبعثروا فى كل مكان . فكيف يتسنى لى أن أحصرهم ؟ . .

فلعق « رالف » شفتيه الشاحبتين وقال :

- إذن أنت لا تعرف عدد الأطفال ؟

- كيف لى أن أعرف والأطفال الصغار يهرولون هنا وهناك كالحشرات ؟ وعندما عدتم أنتم الثلاثة ، وبمجرد أن أصدرت أوامرك بإشعال النيران انطلقوا جميعاً ، وبالتالى لم تتح لى أى فرصة لإحصائهم .

فقال « رالف » فى حدة :

- كفى !

وأخذ منه المحارة فى عنف واستطرد :

- إذا كنت قد تقاعست عن إنجاز هذا العمل فأنت لم تقم به .

- وبعدئذ تجيئون إلى هنا وتسرقون نظارتى .

فالتفت « جاك » نحوه وقال :

- اخرس !

- وأولئك الأطفال الصغار كانوا يتجولون فى الأماكن السفلية هنالك حيث توجد النيران ، فكيف لكم أن تعرفوا أنهم ليسوا هنالك حتى الآن ؟

ووقف « بيجى » وأشار بيده إلى الدخان وألسنة اللهيب . . وتصاعدت الهمهمة بين الأولاد ثم تلاشت تدريجياً . وكان هناك شىء عجيب يعتمل فى داخل « بيجى » لأنه كان يشهق ويلهث وقد تقطعت أنفاسه .

وشهق « بيجى » وهو يقول :

- فذلك الولد الصغير الذى له علامة على وجهه لم أعد أراه . ترى أين هو الآن ؟

فهبط صمت على جمهور الحاضرين مثل صمت القبور :

- وذلك الولد الصغير الذى تحدث عن الثعابين كان أسفل هنالك . .

وانفجرت شجرة فى النيران مثل القنبلة ، وارتفع صف من النباتات المتسلقة الطويلة للحظات لأعلى أمام أنظار الجميع ، ثم هبطت لأسفل مرة أخرى ، فصرخ الأولاد الصغار في هلع لدى مشاهدة هذا المنظر .

- الثعابين ! الثعابين ! انظروا إلى الثعابين !

وفى الغرب كانت الشمس تستلقى على مسافة بوصة وإحدة أو اثنتين فقط فوق سطح البحر بدون أن يلتفت إليها أحد ؛ إذ كانت وجوههم مضاءة باللون الأحمر من أسفل ، ووقع « بيجى » على صخرة فتشبث بها بكلتا يديه .

- ذلك الولد الصغير الذى كان يوجد على وجهه تلك العلامة . .

أين هو الآن ؟ إننى أقول لكم : إننى لا أعرف مكانه الآن . .

فنظر الأولاد إلى بعضهم البعض فى ذعر وهلع وهم لا يصدقون ما يسمعونه .

- أين هو الآن ؟

فتمتم « رالف » بالإجابة على نحو يوحى بأنه يعانى من الخجل والخزى .

- ربما عاد إلى الـــ . . . الـــ . . .

وتحتهم على الجانب غير الوردى من الجبل كان قرع الطبول ما زال مستمراً .


الفصل الثالث

أكــواخ علــى « البــلاج »

وكان « جاك » منحنياً انحناءً مزدوجا . كان مستلقياً على الأرض مثل العداء وقد أصبح أنفه على مسافة بوصات قليلة من الأرض المشبعة بالرطوبة ، وكانت جذوع الأشجار والنباتات المتسلقة التى تزينها قد ضاعت معالمها بين غياهب غسق أخضر يمتد لمسافة ثلاثين قدماً فوقه ، ففيما حوله كانت الشجيرات الصغيرة منتشرة فى كل مكان . ولم يكن هناك سوى دليل واهن للغاية على وجود ممر هنا ، غصن متحطم وما قد يكون انطباعاً لجانب واحد لحافر ، فأخفض ذقنه وراح يحملق فى آثار الأقدام كما لو كان يرغمها على التحدث معه ، ثم بدأ ينسل للأمام لمسافة خمس ياردات مثل الكلب ، ولم يكن يشعر بالراحة وهو يتحرك على يديه ورجليه ، غير أنه لم يبالِ بذلك ، وبعدئذ توقف ، فهناك كانت توجد حلقة من النباتات المتسلقة بها جزء لولبى رفيع متدل من الشجرة . وكان الجزء اللولبى مصقولاً ولامعاً من الجانب السفلى ؛ لأن الخنازير التى تمر من خلال الحلقة كانت تمسها برفق بجلدها المملوء بالشعر الخشن .

وجثم « جاك » بوجهه على مسافة قليلة من هذه الحلقة بين الشجيرات الصغيرة . وأصبح شعره الرملى اللون فاتح اللون عن ذى قبل ، كما أصبح

أطول مما كان عليه عندما هبطوا على هذه الجزيرة ، أما ظهره العارى فقد كان كتلة من النمش والبقع السوداء ، وسفعات الشمس المملوءة بالقشور الجلدية .

وانطلقت عصا مدببة طولها حوالى خمس باردات من يده اليمنى ، وكان عارياً ولا يرتدى سوى « الشورت » الممزق المثبت فى وسطه بواسطة الحزام الذى يضع فيه السكين ، وأغلق عينيه ورفع رأسه وراح يتنفس فى اعتدال من فتحتى أنفه الذى يتسع للخارج ، مع تردد الأنفاس ، محاولاً تقييم تيار الهواء الدافىء بهدف الحصول على معلومات ، وكان هو والغابة فى صمت مطبق .

وأخيراً سمح لأنفاسه بالخروج فى شكل تنهيدة طويلة ، وفتح عينيه . كانت عيناه زرقاوين صافيتين ، وبدت عيناه فى هذا الإحباط كأنهما تتقدان شررًا وجنوناً ، ومر بلسانه عبر شفتيه الجافتين ، وراح يتفحص بدقة الغابة المتحفظة التـي لا تبوح بأسرارها .

وبعدئذ انسل متقدماً للأمام ، وأخذ يمعن النظر فى هذا الاتجاه أو ذاك على الأرض .

وكان صمت الغابة المطبق مثيراً للضيق ، ومقبضاً للصدر ، بل ويفوق حرارة الجو فى هذا الشأن ، وفى مثل هذه الساعة من النهار لم يكن هناك أية أصوات ، ولا حتى طنين الحشرات ، ولكن الصمت لم يتحطم إلا عندما تسبب « جاك » فى إيقاظ طائر مبهرج الألوان من عشه البدائى المكون من الأعواد ، حيث دوت الأصداء الناجمة عن صرخة خشنة وكأنها صادرة عن أعماق عصور التاريخ القديمة . فجفل « جاك » نفسه لدى سماعه تلك الصيحة ، وانسحبت أنفاسه للداخل بصوت يشبه صوت الأفعى ، وزالت

عنه لبضع لحظات صفات الصياد ، وأصبح مثل قرد بين الأشجار المتشابكة . وبعدئذ جذبه الإحباط والآثار المنطبعة على الأرض مرة أخرى ، فراح يستكشف الأرض فى حماس شديد . . وتوقف عند جذع شجرة ضخمة لها أزهار شاحبة فوق سيقانها الرمادية . . وأخذ نفساً من الهواء الساخن . وفى هذه المرة جاء نفسه قصيراً ، بل كان هناك شحوب غير طبيعى وامتقاع فى وجهه وبعدئذ ظهر تدفق الدماء فى وجهه مرة أخرى ، ومر كالطيف تحت ظلام الشجرة ، وانحنى فى خوف وهو ينظر لأسفل عند قدميه إلى الأرض التى ظهرت عليها آثار أقدام سابقة على مجيئه .

وكان الروث دافئا ، كان ملقى فى تكوم وسط التربة المقلوبة ، وكان لونه أخضر زيتونيا وناعماً ، وكان يتصاعد منه ضئيل من البخار . فرفع « جاك » رأسه وراح يحملق فى الكتل الغامضة من النباتات المتسلقة التى توجد عبر الممر ، ثم رفع رمحه وتسلل متقدماً للأمام . وإلى ما وراء النباتات المتسلقة لاحظ أن الممر متصل بطريق للخنازير متسع بما فيه الكفاية ، ومطروق بالأقدام ، بحيث يمكن القول إنه ممر هو الآخر . وكانت التربة فى طريق الخنازير ثابتة متماسكة بسبب اعتياد الأقدام على السير عليها ، وعندما انتصب « جاك » بقامته ووصل إلى ارتفاعه الطبيعى سمع شيئاً ما يتحرك على طريق الخنازير ، فألقى بيده اليمنى إلى الخلف ، وقذف بالحربة بكل قوته . وترامى إلى سمعه صوتُ الحوافر السريعة الصلبة المنبعثة من فوق طريق الخنازير ، وكان صوتاً مثل صوت الصنجات مغرياً ومثيراً للشجون ، ومبشراً بتناول اللحوم . . فاندفع خارجاً من بين الشجيرات الصغيرة ، وانتزع الحربة ، وتلاشت طقطقة وأصوات أقدام الخنزير تدريجياً مع الهروب إلى مسافة بعيدة .

ووقف « جاك » هنالك والعرق يتصبب منه ، وكان جسده مخططاً بخطوط من التراب البنى اللون ، وكان ملوثاً بكل التغييرات الخاصة بأيام الصيد ، وراح يسب ويلعن ، وانحرف مبتعداً عن الممر ، وأخذ يشق طريقة إلى أن تكشفت الغابة بعض الشيء ، وبدلاً من جذوع الأشجار الصلعاء التى تساند سقفاً مظلماً كانت هناك جذوع رمادية فاتحة ، وإكليل من سعف النخيل الخفيف ، ووراء هذه كان هناك تألق مياه البحر ، وأصبح بإمكانه سماع أصوات الأولاد . وكان « رالف » واقفاً بجوار جذوع وأشجار نخيل وأوراق غريبة الشكل ، بمثابة مأوى بدائى يواجه «اللاجون»، ويبدو وكأنه على وشك التداعى والسقوط ، ولم يكن « رالف منتبهاً » عندما تحدث « جاك » :

– ألديك أى قدر من الماء ؟

فنظر « رالف » لأعلى من بين الأوراق فى تجهم ، فهو لم يلحظ « جاك » حتى عندما شاهده .

– أقول لك : هل لديك أى مياه للشرب ، فأنا أشعر بالعطش ؟

فأبعد « رالف » ناظريه عن المأوى ، وجفل لدى مشاهدة«جاك » أمامه .

– أوه . مرحباً ! تريد مياهاً ؟ المياه هنالك عند الشجرة . من المتوقع أن تكون هناك كمية متبقية .

فالتقط « جاك » قشرة ثمرة جوز الهند ممتلئة تماماً بالماء الطازج من بين مجموعة كانت موضوعة بترتيب ونظام فى الظل ، وراح يشرب منها ، وتناثرت المياه على ذقنه ورقبته وصدره ، وما إن انتهى من شرب الماء حتى أخذ يتنفس بصوت مرتفع .

- لقد كنت أعانى من العطش الشديد .

فتحدث « سيمون » من داخل المأوى :

- تناول كمية أخرى ضئيلة .

واستدار « رالف » نحو المأوى ورفع غصناً مملوءاً بأوراق مغطاة بالقرميد وشبيهة بالقبعات .

واهتزت الأوراق متباعدة عن بعضها البعض وارتعدت متجهة لأسفل ، وبدا وجه « سيمون » كأنه يغالب النوم فى مدخل المأوى .

- آسف .

وألقى « رالف » نظرة على التلفيات فى استياء :

- لم أنجز هذا العمل على الإطلاق .

وألقى بنفسه عند قدمى « جاك » وظل « سيمون » ناظراً من مدخل المأوى حتى قال « رالف » موضحاً الأمور :

- لقد ظللت أعمل لأيام عديدة وأنظر ما حدث .

لقد كان هناك مأويان ملائمان ، ولكنهما كانا ضعيفين وغير متماسكين ، أما هذا المأوى فكان حطاماً :

- وهم يداومون على الجرى هنا وهناك . . أتذكر الاجتماع ، وكيف أنه تقرر أن يعمل كل فرد بجد واجتهاد إلى أن يتم الانتهاء من إعداد جميع المخابىء والمآوى ؟

- باستثنائى أنا والصيادين التابعين لى .

- باستثناء الصيادين . حسنا ، إن الأطفال الصغار . . .

وأشار بيديه فى حركة تعبيرية ، وراح يبحث عن كلمات يعبر بها .

– لا أمل يرجى من ورائهم ، والأولاد الأكبر سناً ليسوا أفضل كثيراً من الصغار . هل لاحظت ذلك ؟ لقد ظللت أعمل طوال اليوم مع « سيمون » ولا أحد سوانا يعمل فى إعداد المخابىء ، فهم جميعاً منتشرون هنا وهناك يستحمون أو يأكلون أو يلعبون .

ودفع « سيمون » برأسه ليطل بها فى حرص :

– أنت رئيس عليهم ، يمكنك أن تكلفهم إنجاز الأعمال .

واستلقى « رالف » منبطحاً ، ونظر لأعلى نحو أشجار النخيل والسماء .

– اجتماعات ، اجتماعات ، ألسنا نعشق الاجتماعات ؟ فى كل يوم اجتماعات ، مرتين يومياً ، إننا نحب الكلام ، واستند على أحد مرفقيه واستطرد :

أؤكد كذلك أننى إذا نفخت فى المحارة فى هذه اللحظة فإنهم سيهرعون إلى هنا على الفور ، وبعدئذ سنصبح – كما تعرف – غاية فى الوقار والاتزان . وقد يقترح أحدهم بأنه ينبغى لينا أن نصنع طائرة نفاثة أو غواصه أو جهاز تليفزيون . . وعقب انتهاء الاجتماع فإنهم قد يشتغلون لمدة خمس دقائق ، وبعدئذ ينطلقون متجولين هنا وهناك ، أو يذهبون للصيد . . واحمر وجه «جاك » واحتقن بالدماء :

– إننا نريد لحوماً .

– حسناً ، إننا لم نحصل على أية لحوم حتى الآن ، ولكننا نريد بناء مأوى ومخابىء لنا . وعلاوة على ذلك فإن باقى الصيادين التابعين لك قد رجعوا منذ ساعات ، ولكنهم راحوا يسبحون فى مياه البحر .

وقال « جاك » :

– لقد داومت على الكفاح المستمر وسمحت لهم بالذهاب ، وكان على أن أستمر ، وأنا . .

وأراد أن يعمل على اقتفاء الأثر ، وقَتْلِ ذلك الذى كان يتوارى بعيداً عنه :

– لقد عكفت على الاستمرار واعتقدت أننى بمفردى .

وأطل الجنون من عينيه مرة أخرى :

– أعتقد أننى قد أنجح فى القتل .

– ولكنك لم تقتل .

وتذبذبت رغبات شغوف مستترة فى صوت « رالف » :

– ولكنك لم تقتل حتى الآن .

وكان مطلبه سيمر كالمعتاد لو لم يتمتم بصوت منخفض :

– أعتقد أنك لن تهتم بالمساعدة فى إنشاء أماكن الإيواء ؟

– نحن نحتاج إلى اللحوم .

– ولكننا لا نحصل عليها .

وأصبح بالإمكان سماع التباغض والتنافر فى تلك اللحظات :

– ولكننى سأحصل على اللحوم فى المرة القادمة ! ولقد كان ينبغى أن يكون لدى شوكة أو صنارة فى هذا الرمح ، فلقد أصبنا بالفعل خنزيراً بجراح ، ولكن الرمح سقط على الأرض ، فإذا ما تمكنا من صنع أشواك أو صنارات فسننجح .

- إننا بحاجة إلى مخابئ أو أماكن للإيواء .

فصاح « جاك » فجأة فى غضب :

أأنت تتهمنى ؟

- كل ما أقوله هو أننا قد اشتغلنا بكل جد واجتهاد إلى أقصى حد . وهذا هو كل ما فى الأمر . .

وكانت الدماء قد تصاعدت إلى وجهيهما ، ووجدا من الصعب النظر إلى بعضهما البعض ، وتدحرج « رالف » على بطنه وراح يعبث بالعشب .

- لو أن الدنيا أمطرت مثلما أمطرت فى اليوم الذى أُسقطنا فيه فإننا سنكون فى مسيس الحاجة إلى أماكن للإيواء نحتمى فيها ، وهناك شىء آخر، وهو أننا نحتاج إلى أماكن للإيواء بسبب الـــ . .

وتوقف عن الكلام للحظات ، وتخلص كل منهما من الغضب فى آن واحد . وبعدئذ استطرد متطرقاً إلى الموضوع الآمن الذى غير مجرى الحديث .

- هل لاحظت ذلك الشىء ؟

فوضع « جاك » رمحه ، وجلس القرفصاء :

- لاحظت ماذا ؟

وتقلب وحملق فى وجه « جاك » المتسخ المفعم بالوحشية :

- أقصد تلك الأمور التى تحدث ، إنهم يحلمون وباستطاعتك سماعهم ، هل سبق لك أن استيقظت بالليل ؟

فهز « جاك » رأسه :

- إنهم يتحدثون ويحلمون ، أولئك الأولاد الصغار ، بل ويحدث نفس الشيء مع عدد من الكبار أيضاً كما لو كانوا . . .

- كما لو كانت هذه الجزيرة غير لطيفة .

ودهشا لدى قطع حديثهما . ونظرا لأعلى نحو وجه « سيمون » الصارم المتسم بالجد والحزم . . وقال « سيمون » :

- كما لو كان الوحش . . الوحش أو ذلك الشىء الذى يشبه الثعبان شيئاً حقيقياً . أتذكرون ذلك ؟ .

وجفل الولدان الكبيران : « جاك » و « رالف » لدى سماعهما كلمة الثعبان . فالثعابين لم تكن تذكر آنئذ . . لم تكن من الأمور التى يمكن التنويه بها أو الإشارة إليها .

فقال « رالف » فى بطء :

- كما لو كانت هذه الجزيرة ليست جزيرة ممتازة .

- نعم . . هذا صحيح .

وجلس « جاك » معتدلاً ومد ساقيه للأمام .

- إنهم معتوهون .

- إنهم كذابون وأفاقون ، أتذكر عندما ذهبنا لاستكشاف الجزيرة؟ وابتسم كل منهما لصاحبه وهما يتذكران جمال وسحر اليوم الأول ، واستطرد «رالف » :

- لذلك فنحن بحاجة إلى أكواخ نأوى إليها كنوع من الـ . . .

وسحب « جاك » ساقيه واحتضن ركبتيه وتجهم فى محالة للوصول إلى الوضوح الذهنى .

– ومع ذلك ففى الغابة ، أقصد عندما تقوم بأعمال الصيد فى الغابة ، وليس عندما تقوم بجمع الفاكهة بالطبع ، ولكن عندما تقوم بالصيد بمفردك وبدون أى مساعدة من أحد . . .

وتوقف عن الكلام للحظات ، حيث لم يكن واثقاً من أن « رالف » سيأخذ كلامه مأخذ الجد :

– استمر فى كلامك .

– إذا كنت تقوم بأعمال الصيد فإنك أحياناً تضبط نفسك متلبساً بالشعور بأنك كما لو كنت . .

وتوقف عن الكلام فجأة . . واستطرد :

– ولا يوجد شىء غريب فى هذا الأمر بالطبع ، فهو مجرد شعور أو إحساس ، ولكنك يمكنك أن تشعر كما لو كنت لا تقوم أنت بأعمال الصيد، وإنما تشعر كأنما أنت نفسك الذى يتم اصطيادك ، تشعر كأنما يوجد هناك شىء ما وراءك باستمرار فى الأدغال .

وهبط عليهما الصمت مرة أخرى : كان « سيمون » مصمماً على رأيه ، وكان « رالف » ميالاً إلى الشك فى هذا الأمر ، كما كان يشعر ببعض الاستياء والسخط . فاعتدل فى جلسته وراح يحك إحدى كتفيه بيد متسخة .

– حسناً . . لا أعرف ذلك .

فقفز « جاك » واقفاً على قدميه وأخذ يتحدث بسرعة كبيرة للغاية .

– ذلك هو ما تشعر به وأنت فى الغابة . ولا شىء فى هذا الأمر بالطبع . مجرد . . مجرد . .

وسار خطوات قليلة سريعة نحو « البلاج » ثم عاد مرة أخرى .

- كل ما هنالك أننى أعرف كيف يشعر الناس وهم فى الغابة . أتفهمنى؟

وذلك هو كل ما فى الأمر .

- إن أفضل شىء يمكننا أن نفعله هو العمل على إنقاذ أنفسنا . .

وكان على « جاك » أن يفكر للحظات ليعرف ما المقصود بكلمة «إنقاذ» .

- الإنقاذ ؟ نعم . بالطبع . ومع كل ذلك فأنا أود أولا أن أصطاد خنزيراً .

واختطف رمحه بسرعة وضرب الأرض فى عنف فتناثرت أجزاء من التربة . . وأطلت من عينيه مرة أخرى النظرة المجنونة التى لا ينفذ منها الضوء ، فنظر إليه « رالف » نظرة انتقادية من خلال شعره الأشقر المتشابك . .

- طالما أن الصيادين التابعين لك يتذكرون النيران .

- أنت ونيرانك !

وراح الولدان يهرولان فى مشيتهما نحو « البلاج » وعند حافة المياه ، ونظرا وارءهما نحو الجبل الوردى اللون ، وكان مجرى النيران يرسم تخطيطاً كروكيا لخط طباشيرى فوق الزرقة الشديدة للسماء ، ثم يتمايل متهدجاً لأعلى ، وبعدئذ يتلاشى . . وتجهم « رالف » .

- ترى على أية مسافة يمكن مشاهدة ذلك الدخان ؟

- إننا لا نطلق كمية كافية من الدخان .

وكان الجزء السفلى من مجرى الدخان - كما لو كان مدركاً لما يقومان به من حملقة وتفرس - يتجمع فى شكل دخان كثيف ، وعلى شكل ظلمة قشدية اللون تزحف فوق العَمُود الخافت .

فتمتم «رالف» قائلاً :

- لقد وضعوا أغصاناً خضراء .

واستطرد :

يا للعجب !

وأغمض عينيه قليلاً ، ودار حول نفسه باحثاً عن خط الأفق :

- ها هو ذا !

وصاح « جاك » فجأة بصوت مرتفع ، مما جعل « رالف » يجفل قافزاً لأعلى :

- ما هذا ؟ أين ؟ أهى سفينة ؟

ولكن « جاك » كان يشير إلى الانحدارات التى تنحدر من الجبل نحو الجزء المستوى من الجزيرة .

- بالطبع ! إنها سوف ترقد هنالك ، لابد أنها ترقد هنالك عندما تكون الشمس ساخنة للغاية .

وحملق « رالف » مشدوهاً فى وجهه المستغرق فى التفكير .

- إنها تصعد إلى هناك فى الأماكن العلوية ، هنالك بالأماكن العلوية وتحت الظلال ، وتستريح هنالك أثناء الحرارة الشديدة مثلما تفعل الأبقار فى المنازل .

- لقد اعتقدت أنك شاهدت سفينة .

- باستطاعتنا أن نتسلل خفية لأعلى نحو أحد الأماكن العلوية - ونطلى وجوهنا لكيلا ترانا - وربما نتمكن من تطويقها وعندئذ .

وشعر « رالف » بالضيق والخنق ، مما جعله يفقد السيطرة على نفسه :

- لقد كنت أتحدث عن الدخان . هل ترغب فى أن يتم إنقاذك ؟ ولكن كلامك يدور دائماً حول الخنازير ، ولا شىء سوى الخنازير الخنازير .

- ولكننا نريد أن نتناول لحوماً .

-وأنا أعمل طوال اليوم ومعى « سيمون » فقط ، وأنت تعود ولا تلحظ الأكواخ التى قمنا بتشييدها !

- وأنا كنت أعمل أيضاً .

فصاح « رالف » :

- ولكن تفكيرك ينصب على الصيد ، ولا يوجد فى ذهنك أى شىء سوى الصيد ! فى حين أنى . . .

وواجه كُل منهما الآخر فوق البلاج الساطع ، وقد أدهشهما تضارب المشاعر بينهما . وبادر « رالف » إلى الإشاحة بوجهه أولا متظاهراً بأنه مهتم بمجموعة من الأولاد الصغار الموجودين فوق الرمال ، ومن وراء الرصيف جاء صياح الصيادين فى بركة السباحة ، وعند حافة الرصيف كان « بيجى » يرقد منبطحاً ناظراً لأسفل إلى المياه المتألقة .

- الناس لا يقدمون قدراً كبيراً من المساعدة . .

وكان يريد أن يقول إن الناس ليسوا تماماً على النحو الذى نظنهم عليه . .

وأشار إلى الأكواخ :

- أما « سيمون » فهو يقدم العون والمساعدة . .

- وجميع الباقين اندفعوا فى العمل ، و « سيمون » لم يبذل جهداً أكثر مما فعلت . كل ما هنالك . .

- إن « سيمون » موجود دائماً ويزاول عمله باهتمام . .

وبدأ « رالف » يشق طريقه عائداً نحو الأكواخ وبجواره « جاك » وتمتم «جاك » قائلاً :

- إننى على استعداد لأن أنجز لك أى قدر من العمل قبل أن أذهب للاستحمام .

- لا تتعب نفسك ؟

ولكنهما عندما وصلا إلى الأكواخ لم يكن « سيمون » موجوداً هناك ، فوضع « رالف » رأسه فى الفتحة وسحبها واستدار نحو « جاك » :

- لقد ذهب من هذا المكان .

فقال « جاك » :

- لابد أنه شعر بالضجر والملل فذهب ليستحم .

وتجهم « رالف » :

- إنه شخص غريب الأطوار وهو شخص مضحك ومُسَلٍّ .

فأومأ « جاك » برأسه موافقاً على هذا الرأى لمجرد الموافقة . . وفى رضا وتوافق صامت غادرا الكوخ ، واتجها نحو حمام السباحة .

وقال « جاك » :

- وبعد أن أستحم وأتناول شيئاً من الطعام سأشق طريقى صاعداً إلى الجانب الآخر من الجبل للبحث عن أية آثار أقدام . هل ستأتى معى ؟

– ولكن الشمس على وشك الغروب .

– وقد يسعفنى الوقت على تحقيق ذلك .

وسارا معاً ، وكانا بمثابة قارتين من الخبرة والمشاعر غير قادرتين على الاتصال مع بعضهما البعض .

– إن كل ما أريده هو النجاح فى اصطياد خنزير !

– سأعود لاستئناف عملى فى الكوخ .

ونظر كل منهما إلى صاحبه وهما يتأرجحان فى حيرة بين الحب والكراهية وكانت المياه الدافئة فى حمام السابحة ، والصياح ، والطرطشة فى المياه ، والضحك سبباً كافياً للتقريب بينهما مرة أخرى .

ولم يكن « سيمون » موجوداً فى حمام السباحة كما توقعا ، فعندما هرول الاثنان الآخران على « البلاج ليكفا عن التقدم نحو الجبل سار هو وراءهما لمسافة ياردات قليلة توقف بعدئذ ، وراح ينظر فى تجهم إلى كومة من الرمال فوق « البلاج » حيث كان شخص يحاول بناء منزل صغير أو كوخ . ثم أدار ظهره نحو هذه الكومة وسار فى الغابة وفى ذهنه هدف معين . وكان «سيمون» ولداً ضئيل الحجم ، نحيفاً ، مدبب الذقن . وكانت عيناه لامعتين للغاية ، مما جعل « رالف » يعتقد بطريق الخطأ أنه ولد خليع وشرير، وكانت كتلة الشعر الأسود الكثيفة الخشنة طويلة ومتدلية لأسفل ، وتكاد تحجب وراءها جبهة عريضة منخفضة . وكان يرتدى بقايا « بنطلون » قصير، وكانت قدماه عاريتين مثل قدمى « جاك » . وكانت بشرة « سيمون» تميل دائماً إلى اللون الداكن ، حيث كانت محترقة بسبب أشعة الشمس ، ومتحولة إلى لون شديد السمرة ضارب إلى الصفرة ، يلمع مع تصبب العرق .

وشق طريقه نحو الصخرة المنخفضة المغمورة بمياه البحر ، وتخطى الصخرة الهائلة التى كان « رالف » قد تسلقها فى صباح اليوم الأول ، ثم انحرف نحو اليمين متوغلاً بين الأشجار ، وسار بخطوات معتادة بين أشجار الفاكهة ، حيث يستطيع أقل الأشخاص نشاطاً أن يجد وجبة يسيرة سهلة - وإنْ كانت غير مشبعة . وكانت الأزهار والفواكه تنمو مع بعضها البعض فوق الشجرة الواحدة ، وفى كل مكان كان عبق الثمار اليانعة موجوداً ، كما كان طنين الآلاف المؤلفة من النحل منتشراً بين المراعى .

وفى هذا المكان لحق به الأطفال الصغار الذين كانوا قد جروا وراءه منذ البداية ، وكانوا يتكلمون ويصيحون بكلام غير مفهوم ويسحبونه نحو الأشجار . وبين زئير النحل وتحت ضوء شمس ما بعد الظهر أحضر لهم «سيمون » الفواكه التى لم يتمكنوا من الوصول إليها ، إذ كان يختار الثمار ويلقى بها للأيدى العديدة الممتدة نحوه .

وبعد أن ناولهم كفايتهم من الثمار توقف عن القطف ونظر فيما حوله ، وراح الأولاد يرقبونه فى حيرة وقد ملأ كل واحد منهم يديه بثمار الفواكه الناضجة .

واستدار « سيمون » منطلقاً بعيداً عنهم ، وذهب إلى حيث قاده الممر الظاهر بوضوح أمامه ، وسرعان ما أطبقت عليه غابة كثيفة عالية ، إذ ظهرت جذوع أشجار طويلة تحمل أزهاراً شاحبة على طول المسافة لأعلى حتى العروض المظلمة حيث تستمر الحياة هناكَ فى ضجيج وصخب. وكانت النباتات المتسلقة تلقى بحبالها مثل أشرعة السفن المرهقة . وتركت أقدامه انطاعبات على التربة اللينة ، وكانت النباتات المتسلقة ترتعش فى كل جزء من أذيالها الممتدة عندما كان يرتطم بها .

ووصل أخيراً إلى مكان يسقط عليه المزيد من ضوء الشمس ، ونظراً لأن النباتات المتسلقة فى هذه البقعة لم تكن مضطرة للصعود لأعلى لمسافات بعيدة جرياً وراء ضوء الشمس - فإنها قد نسجت حصيرة هائلة تعلقت عند أحد جوانب مساحة مكشوفة بالغابة ، حيث اقتربت هنا رقعة من الصخور من سطح الأرض ، بحيث لم تسمح إلا لنباتات قليلة وبعض نباتات السرخس بالنمو . وكان المكان الشاغر بأكمله مسورًا بشجيرات داكنة عطرية الرائحة ، وكان بمثابة إناء مملوء بالحرارة والضوء . وكانت هناك شجرة هائلة ساقطة عبر أحد الأركان ، ومستندة على الأشجار التى ظلت واقفة .

وكان هناك نبات متسلق ممتد فى تباهٍ بألوانه الحمراء والصفراء حتى القمة .

وتوقف « سيمون » ونظر عبر كتفه مثلما فعل « جاك » من قبل إلى الطرق المتقاربة خلفه ، وحملق بسرعة فيما حوله ليتأكد أنه أصبح بمفرده تماماً ، وكانت حركاته تكاد تتسم بالتلصص والاستتار للحظات قليلة . . وبعدئذ انحنى لأسفل وتسلل نحو وسط الحصيرة ، وكانت النباتات الزاحفة والشجيرات الصغيرة متقاربة للغاية ، حتى إنه كان يترك عرقه المتصبب عليها ، وكانت الشجيرات والنباتات ينجذب بعضها إلى بعض وراءه . وعندما أصبح آمناً فى وسط هذا المكان فإنه وجد نفسه فى عشة صغيرة محتجبة عن الفضاء المكشوف عن طريق أوراق قليلة ، وهنا قبع « سيمون » جالساً القرفصاء ، وباعد ما بين الأوراق ، ونظر للخارج إلى الأرض الفضاء الخالية من الأشجار ، ولم يكن هناك أى شىء يتحرك ، إلا فراشتين صارختى الألوان ، حيث كانتا ترقصان وتدور كل واحدة منها حول

الأخرى فى الهواء الساخن . وحبس « سيمون » أنفاسه وراح يصغى فى انتباه شديد إلى أصوات الجزيرة . وكان المساء آخذاً فى الزحف على الجزيرة ، وكانت أصوات الطيور الجميلة المتألقة ، وأصوات النحل - بل حتى صياح طيور النورس التى كانت فى طريق العودة إلى الأغصان التى تبيت عليها بين الصخور المربعة الشكل - أكثر خفوتاً وضعفاً . وكان هدير البحر على مسافة أميال عند الشعب المرجانية يصدر فى شكل صوت منخفض للغاية ، حتى إنه كان أقل من صوت همس الدماء .

وأعاد « سيمون » حاجز الأوراق إلى مكانه ، وتناقص انحدار قضبان ضوء الشمس ذات الألوان الشبيهة بعسل النحل ، وانزلق على الشجيرات الصغيرة ، ومر على البراعم الخضراء التى تشبه الشموع ، وتحرك لأعلى نحو الأجزاء العلوية من الغابة ، فتزايد تكاثف الظلام تحت الأشجار ، ومع تضاؤل الضوء تدريجياً ماتت الألوان الصارخة ، وهدأت الحرارة ، وفتر الإلحاح ، وتحركت البراعم الشبيهة بالشموع ، وتراجعت سبلاتها الخضراء قليلاً للوراء ، ونهضت الرءوس البيضاء للأزهار فى رقة وضعف لملاقاة الهواء الطلق . وكانت أشعة الشمس فى تلك الآونة قد تركت الفضاء المكشوف وانسحبت من آفاق السماء . . وبدأت حجب الظلام تتدفق وتغمر الطرق التى تتخلل الأشجار إلى أن أصبحت قاتمة وغامضة مثل قاع البحر ، أما البراعم الشبيهة بالشموع فقد فتحت أزهارها البيضاء العريضة اللامعة تحت الضوء الخافت الذى كان يخترق حجب الظلام بصعوبة قادماً من النجوم الأولى التى ظهرت فى السماء .

الفصل الرابع



الوجوه المطلية والشعر الطويل

كان أول إيقاع اعتادوا عليه هو التأرجح البطىء من الفجر إلى الغسق السريع ، وكانوا يتقبلون فى ارتياح مباهج الصباح ، والشمس الساطعة ، ومياه البحر الطاغية ، والهواء المنعش عندما يكون اللعب ممتعاً ، وعندما تكون الحياة حافلة للغاية ، بحيث يصبح الأمر غير ضرورى ، وبالتالى يتوارى إلى ظل النسيان ، ومع اقتراب فترة الظهيرة ولدى سقوط فيضانات الضوء بشكل عمودى تقريباً كانت ألوان الصباح المتخشبة تتحول فى نعومة إلى لآلىء وألوان براقة . وكانت الحرارة - كما لو أن ارتفاع الشمس الوشيك الحدوث قد أعطاها قوة دافعة - تتحول إلى لطمة قوية ، فكانوا يتفادونها باللجوء بسرعة إلى الظلال والاستلقاء تحتها ، بل وربما بالاستسلام للنوم .

وكانت هناك أشياء غريبة تحدث فى وقت الظهيرة ، إذ كان البحر المتلألىء يرتفع ويموج لأعلى ، ويتحرك متفككاً إلى مستويات مسطحة صاخبة . أما الشعاب المرجانية وأشجار النخيل القليلة المتشبثة بالأجزاء المرتفعة فإنها كانت تطفو لأعلى فى السماء ، وبالتالى كانت ترتعد وتتجاذب وتتفكك ، وتجرى مثل قطرات المطر فوق السلك المعدنى ، أو تتكرر كأنها

فى تتابع من المرايا الغريبة الشكل ، وأحياناً كانت الأرض تبدو كشىء مرعب أكثر ضخامة فى الأماكن التى لا توجد فيها أراضٍ ، كما كانت تخفق مثل الفقاعات لدى مراقبة الأولاد لها . وكان « بيجى » يقلل من أهمية كل هذا من الناحية العلمية ، على أساس أنها مجرد « سراب وهمى » ونظراً لأنه لم يكن بمقدور أحد من الأولاد مجرد الوصول إلى الشعب المرجانية الموجودة فوق سطح المياه حيث تتواجد أسماك القرش المتوحشة ، فإنهم أصبحوا معتادين على هذه الأمور الغامضة وتجاهلوها تماماً ، مثلما تجاهلوا النجوم الرائعة . وفى الظهر كانت الصور الخادعة تندمج فى السماء ، وهنالك كانت الشمس تحملق لأسفل بعين غاضبة ، وبعدئذ عند نهاية ما بعد الظهر كان السراب يخمد ويصبح الأفق مستوياً وأزرق اللون ، ومطوقاً لدى ميل الشمس نحو الغروب . وكان هذا الوقت الذى تميل فيه الشمس نحو الغروب يتميز بالبرودة النسبية ، غير أنه كان ينذر بقدوم الظلام ، وعندما كانت الشمس تهبط وراء الأفق كان الظلام يجثم فوق الجزيرة ، وسرعان ما تمتلىء الأكواخ بالملل والسأم والقلق تحت النجوم النائية .

إن تقاليد أوربا الغربية فيما يتعلق بالعمل والتسلية والطعام خلال اليوم جعلت من المتعذر على هؤلاء الأولاد أن يوافقوا أنفسهم تماماً مع هذا الإيقاع الجديد ، فالولد الصغير الذى يسمى « بارسيفال » كان قد زحف إلى كوخ فى وقت مبكر ، وأقام هنالك لمدة يومين قضاهما فى التكلم والغناء والصياح إلى أن أعتقدوا أنه معتوه ، وشعروا بالتسلية بعض الشىء ، وهو قد أصبح منذ ذلك الحين هزيلاً ومحتقن العينين ، وبائساً ؛ حيث أصبح يقضى وقتاً طويلاً فى البكاء ، ووقتاً قليلاً فى اللعب .

وأصبح الأطفال الأصغرون سنا يعرفون باسم « الصغار » وكان التناقص

فى الحجم ابتداء من « رالف » يسير فى خط تنازلى ، وبرغم أنه كانت هناك منطقة ملتبسة يسكنها « سيمون » و « روبرت » و « موريس » فإن أحداً لم يجد صعوبة فى التعرف على الأولاد الكبار عند أحد الأطراف والتعرف على الأولاد الصغار عند الطرف الآخر . . والأولاد الصغار بشكل أكيد ، أى أولئك الذين يبلغون سن السادسة تقريباً ، كانت لهم حياتهم الخاصة بهم ، وهى حياة تتسم بالوضوح التام والانفعال العاطفى فى نفس الوقت ، إذ كانوا يأكلون فى معظم أوقات اليوم ، حيث كانوا يلتقطون الفواكه من الأماكن التى يمكنهم الوصول إليها ، بغض النظر عن النضج والنوعية ، وأصبحوا معتادين على آلام المعدة والإسهال الحاد المزمن ، وكانوا يعانون من حالات من الرعب لا حصر لها فى الظلام ؛ لذلك كانوا يحتشدون فى تقارب مع بعضهم البعض بهدف تحقيق الشجاعة والراحة النفسية ، وبصرف النظر عن الطعام والنوم ، فإنهم كانوا يجدون الوقت للعب بدون هدف وبشكل تافه مبتذل على الرمل الأبيض بجوار المياه الصافية الجميلة ، وكانوا يبكون فى حنين لمشاهدة أمهاتهم إلا أن بكاءهم كان أقل بكثير مما كان متوقعاً منهم ، وكانت بشرتهم قد اكتسبت اللون البنى الغامق ، وأصبحت أجسامهم قذرة للغاية ، وكانوا يلبون الاستدعاء عن طريق المحارة ؛ لأن « رالف » هو الذى كان ينفخ فى المحارة ، ولقد كان « رالف » كبيراً على نحو جعله حلقة الوصل مع سلطة عالم الكبار . وأيضاً لأنهم كانوا يستمتعون لدى حضور الاجتماعات ، وبخلاف ذلك فإنهم نادراً ما كانوا يهتمون بالأولاد الكبار ، حيث كانوا يعتقدون أن حياتهم العاطفية والتعاون المشترك بينهم هى أمور خاصة بهم .

وكانوا قد شيدوا قلاعاً فى الرمال عند الحاجز الخاص بالنهر الصغير ،

وكانت القلاع تصل إلى ارتفاع قدم تقريباً ، كما كانت مزدانة بالأصداف والمحارات والأزهار الذابلة ، والأحجار الجميلة ، وحول القلاع كانت توجد مجموعة متكاملة من العلامات والممرات والمسالك والحوائط وخطوط السكك الحديدية التى لها أهميتها ودلالتها إذا ما تم فحصها بالعين على مستوى « البلاج » ، وكان الأولاد الصغار يلهون ويلعبون فى استغراق شديد، إن لم يكن فى شىء من السعادة ، وغالباً ما كان يشترك فى نفس هذه اللعبة ثلاثة من الأولاد .

وكان ثلاثة من الأولاد يلعبون فى ذلك المكان فى تلك الآونة ، وكان «هنرى » أكبرهم حجماً ، وكان يمت بصلة القربى من بعيد إلى ذلك الولد الذى يوجد بوجهه علامة تشبه ثمرة التوت ، والذى لم يشاهده أحد منذ مساء يوم النيران الهائلة ، ولكنه لم يكن كبيراً فى السن على النحو الذى يجعله يفهم معنى هذا الاختفاء ، ولو قيل له إن الولد الآخر قد عاد إلى وطنه فى طائرة لكان قد تقبل هذا الكلام بدون أى ضجة أو تكذيب .

وكان « هنرى » يقوم بدور القائد بعض الشىء فى هذه الفترة من بعد الظهر ، ذلك لأن الشخصين الآخرين كانا « برسيفال » و « جونى » ، وهما أصغر ولدين فى الجزيرة . وكان « برسيفال » له لون الفئران ، ولم يكن جميلاً أو جذاباً حتى فى عينى والدته . أما « جونى » فكان قوى البنيان ، وله شعر أشقر ، وكان محارباً وعدوانياً بطبيعته ، إلا أنه فى تلك اللحظات كان مطيعاً وسلساً ؛ لأنه كان يشعر بالمتعة والتسلية .

وكان الأولاد الثلاثة فى حالة من الوئام والسلام وهم راكعون على الرمال . وخرج « روجر » و « موريس » من الغابة ، وكانا قد شعرا بالارتياح للانتهاء

من ذرات السواد والتراب التى عند النيران ، وخرجا من أجل الذهاب للاستحمام ، وكان « روجر » هو الذى يسير فى المقدمة عبر القلاع ، فراح يركل القلاع بقدميه ويهدمها ويدفن فيها الأزهار ، ويبعثر الأحجار الجميلة المختارة ، ووراءه كان « موريس » يسير ضاحكاً ومحدثاً المزيد من التدمير ، وعندئذ توقف الأولاد الصغار الثلاثة عن اللعب ونظروا لأعلى . وبرغم حدوث التدمير فإن العلامات الخاصة التى كانوا مهتمين بها لم تمس بأية أضرار ؛ ولذلك لم يحتجوا على هذا التدمير . ولكن « برسيفال » هو فقط الذى انخرط فى نشيج بعين مملوءة بالرمال . وسارع « موريس » إلى الابتعاد والهرولة بعيداً ، وبرغم أنه لم يكن هناك والد لينزل بيده الثقيلة فإن «موريس» كان لا يزال يشعر بالقلق الناجم عن الإتيان بفعل خاطىء . وفى مؤخرة ذهنه راح يكون الخطوط الرئيسية غير الأكيدة التى تتعلق بتقديم الاعتذار ، ثم تمتم ببضع كلمات عن السياحة فى الماء ، وانطلق مهرولاً .

وبقى « روجر » فى مكانه وراح يراقب الأطفال الصغار ، ولم تكن بشرته أكثر سواداً مما كانت عليه وقت إسقاطه على هذه الجزيرة ، ولكن شعره الأشعث الأسود أسفل ذقنه وعنقه وفوق مساحة منخفضة من جبهته كان – على ما يبدو – متلائماً مع وجهه الكئيب ، وخلق ما يمكن أن يُسمى لأول وهلة بالبعد غير الاجتماعى فى أعماق شىء منفر . وانتهى « برسيفال » من نشيجه ، واستأنف اللعب ؛ لأن الدموع قد غسلت عينيه وأزاحت منها الرمال ، وراح « جونى » يرقبه بعينين زرقاوين خزفيتين ، ثم بدأ يهيل وابلاً من الرمال ، وعندئذ انخرط « برسيفال » فى البكاء مرة أخرى .

وعندما سئم « هنرى » من لعبه وراح يتجول على البلاج تبعه « روجر » مع الالتزام بالسير تحت أشجار النخيل ، والانسياق بدون أن يدرى إلى

نفس الاتجاه ، وكان « هنرى » يسير مبتعداً قليلاً عن أشجار النخيل والظلال ؛ لأنه كان صغيراً للغاية ، بحيث لا يدرك أنه ينبغى له تفادى أشعة الشمس . . ونزل إلى « البلاج » وراح يسلى نفسه عند حافة الماء . . وكان المد والجزر الهائل فى الباسفيك قادماً ، فأصبحت مياه « اللاجون » الهادئة نسبياً تعلو وتتقدم للأمام بوصة واحدة كل بضع ثوانٍ قليلة ، وكانت هناك كائنات حية تعيش فى هذا الجزء الأخير من البحر ، وهى بمثابة كائنات دقيقة شفافة جاءت باحثة عن الرمال الجافة الدافئة ، وراحت تتفحص هذا الحقل الجديد بقرون استشعار دقيقة للغاية ، فلربما يكون الطعام قد ظهر فى الأماكن التى لم يوجد بها طعام خلال الرحلة الأخيرة : روث الطيور ، وربما حشرات ، وأى قدر منثور من فتات الصخور الأرضية . وجاءت هذه الكائنات الدقيقة الشفافة باحثة عن الطعام فوق « البلاج » وكانت مثل المنشار الذى به عشرات الآلاف من الأسنان الدقيقة .

وكان هذا المنظر جذاباً للغاية فى ناظرى « هنرى » فراح يضرب فيما حوله بقطعة من العصا ، وكانت العصا نفسها متآكلة بسبب الأمواج ، ومكتسية باللون الأبيض ، ومتشردة ، وحاول السيطرة على حركات الكائنات الباحثة عن الطعام .

وحفر قنوات صغيرة لكى تمتلىء بمياه المد والجزر ، وحاول ملأها عن آخرها بتلك الكائنات الدقيقة . . وأصبح منهمكاً للغاية فى هذا العمل وقد اعترته نشوة عظمى ، حيث أدرك أنه يقوم بنفسه بالسيطرة على الكائنات الحية ، فراح يتحدث معها ويحثها ويصدر لها الأوامر . وبعد أن دفع للخلف بسبب المد والجزر أصبحت آثار أقدامه بمثابة خلجان وقعت فى شراكها تلك الكائنات ، مما جعله يشعر بالسيادة عليها . وجلس القرفصاء

على فخذيه عند حافة الماء ، وانحنى فسقطت كتلة كثيفة من شعر جبهته وتخطت عينيه ، وصبت شمس ما بعد الظهر سهاماً غير مرئية .

وانتظر « روجر » أيضاً ، وكان فى بادىء الأمر قد اختفى وراء شجرة نخيل ضخمة ، ولكن انهماك « هنرى » مع الكائنات الدقيقة كان أمراً واضحاً للغاية ، حتى إنه وقف أخيراً ظاهراً للعيان تماماً ، ونظر على طول البلاج ، لقد غادر « برسيفال » المكان باكياً ، وترك « جونى » فى امتلاك مظفر للقلاع . فجلس هنالك وراح يغنى ويدندن لنفسه ويلقى بالرمال على « برسيفال » وهمى ، وإلى ما وراءه . كان بمقدور « روجر » مشاهدة الرصيف وومضات الرذاذ حيث كان « رالف » و « سيمون » و « بيجى » و«موريس » يغطسون فى البركة . فراح يصغى بانتباه شديد ، ولكنه لم يسمع سوى أصواتهم .

وهز نسيم فجائى حواف أشجار النخيل ، مما جعل سعف النخيل يهتز ويرتعد ويرفرف . وعلى مسافة ستين قدماً فوق « روجر » ، كان العديد من ثمار الجوز ، وهى كتل ليفية فى نفس ضخامة كرة القدم الركبية تتفكك من فروعها وتتساقط فيما حوله محدثة أصواتاً مكتومة عنيفة بدون أن تمسه إحداها ، ولم يفكر « روجر » فى الهرب من هذا المكان ، ولكنه رفع عينيه عن الثمار لينظر إلى هنرى ، ثم عاد بنظره إلى الثمار مرة أخرى .

وكانت التربة التحتية فى منطقة أشجار النخيل بمثابة شاطىء ساحلى مرفوع لأعلى ، وكانت أجيال متعاقبة من أشجار النخيل قد فككت الحجارة التى ألقيت على رمال شاطىء آخر ، وانحنى « روجر » والتقط حجراً وقذفه نحو « هنرى » بحيث لا يصيبه الحجر . والحجر – وهو ذلك الرمز الخاص

بالوقت المتنافى مع الطبيعة أو العقل – وثب خمس ياردات على يمين «هنرى» وسقط فى الماء ، فملأ « روجر » يديه بالحجارة وراح يقذف بها الواحد تلو الآخر ، ومع ذلك كانت هناك مساحة حول « هنرى » يبلغ قطرها ست ياردات تقريباً لم يجرؤ على قذف الحجارة فيها ، فهنا كان يوجد «التابو» Taboo الخاص بالحياة القديمة ، وهو « تابو » غير مرئى ، ولكنه قوى ، فحول الولد الجالس القرفصاء على فخذيه كانت توجد حماية الوالدين والمدرسة ورجال الشرطة والقانون ، فذراع « روجر » كانت تتحكم فيها حضارة لا تعرف عنه شيئاً ، وكانت فى حالة من الدمار .

ودهش « هنرى » لدى سماعه أصواتاً فى الماء تشبه أصوات الأشياء التى تلقى بقوة فى الماء ، فترك الكائنات الدقيقة الشفافة العديمة الصوت ، وأشار إلى وسط الحلقات المنتشرة فى الماء ، والتى تشبه كلب الصيد ، وكانت الحجارة تسقط على هذا الجانب وذاك الجانب ، وكان « هنرى » يلتفت فى إذعان ، ولكنه كان يتأخر دائماً فى التفاتته ، بحيث لا يتمكن من رؤية الحجارة وهى فى الهواء ، وأخيراً تمكن من مشاهدة أحد الأحجار ، وضحك وهو يبحث عن الصديق الذى كان يناوشه ويضايقه ، غير أن « روجر » كان قد انعطف بسرعة مختفياً وراء شجرة النخيل ، وراح يلهث ويتنفس بسرعة ، فى حين كان جفناه يرفان ، وبعدئذ تلاشى اهتمام « هنرى » بالحجارة وانطلق متجولاً فى مكان آخر .

وكان « جاك » واقفاً تحت شجرة على مسافة عشر ياردات ، وعندما فتح « روجر » عينيه وشاهده زحف ظل داكن للغاية تحت لون بشرته الداكن ، غير أن « جاك » لم يلحظ أى شىء من هذا القبيل ، فقد كان متلهفاً وقلقاً وراح يومىء ويشير له لكى يحضر إليه ، فذهب « روجر » إليه .

وكانت هناك بركة صغيرة عند نهاية النهر ، وكانت مسدودة بالرمال ومملوءة بزنبق الماء الأبيض اللون وبأعشاب تشبه الربرة . وهنا كان «إيريك» و « سام » منتظرين ، وكذلك كان « بيل » ، وركع « جاك » المتوارى عن أشعة الشمس عند البركة ، وفتح ورقتين كبيرتين كان يحملهما ، وكانت إحدى الورقتين تحتوى على صلصال أبيض ، والأخرى تحتوى على صلصال أحمر . وبجوارهما كانت توجد عصا من الفحم النباتى من مكان النيران .

وراح « جاك » يشرح لـ « روجر » أثناء قيامه بالعمل :

- إنهم لا يسمعوننى وأعتقد أنهم يروننى . شىء ما وردى اللون تحت الأشجار .

وغطى الصلصال بمادة لزجة .

- لو كان لدى فقط شىء من اللون الأخضر .

واستدار بوجهه قليلاً لأعلى نحو « روجر » وأجاب على حملقته التى تدل على عدم الفهم :

-لأن أعمال الصيد تشبه الحرب ، وأنه تعرف ما هو الطلاء المبهر الذى يحير البصر من شدة الضياء . . مثل الأشياء التى تبدو وكأنها شىء آخر مختلف . وتلوى وهو يستحث نفسه على توضيح الأمور :

- مثل الفراشات الموجودة على جذع شجرة .

ففهم « روجر » وأومأ برأسه فى وقار . . وتحرك التوءمان نحو « جاك » ، وأبديا احتجاجهما فى جبن وخوف على شىء ما . فلوح لهما « جاك » بيده للانصراف بعيداً وقال :

- اخرسوا .

وحك عصا الفحم النباتى بين المساحات الحمراء والبيضاء على وجهه .

- لا . أنتما الاثنان ، تعاليا معى .

وأنعم النظر فى تفكيره وشعر أنه غير راضٍ عنه . . فانحنى لأسفل وملأ يده مرتين بمياه فاترة ، وراح يحك ويمسح « اللخبطة » الموجودة على وجهه . . فظهرت البقع والنمش على وجهه ، وظهرت الرمال المنتشرة بين حاجبى عينيه .

فابتسم « روجر » على الرغم منه ، وبدون أن يهدف إلى ذلك .

- لا يبدو وجهك ملخبطاً تماماً .

فوضع « جاك » تصميماً جديداً لوجهه ، إذ جعل خدا واحداً ومحجر عين واحدة أبيض اللون ، وبعدئذ راح يدعك باللون الأحمر الجزء الآخر من وجهه وشق خطا أسود بقضيب من الفحم النباتى عبر وجهه ، ابتداء من الأُذُن اليمنى حتى الفك الأيسر ، ونظر في البركة ليرى صورة وجهه على صفحة الماء .

- سامنيرك samneric . أحضر إلى ثمرة جوز الهند . ثمرة فارغة .

وانحنى ممسكاً قوقعة الماء ، وسقطت على وجهه مساحة مستديرة من ضوء الشمس ، فظهر لمعان فى أعماق المياه ، وعندئذ نظر فى دهشة ولم تعد نظراته تنصب على نفسه ، وإنما على ذلك الشخص الغريب المرعب المنعكس على صفحة الماء ، ثم بعثر الماء وقفز واقفاً على قدميه وهو يضحك فى إثارة بالغة . وبجوار البركة كان جسده القوى يعلوه قناع جذب عيونهم

وأدخل الرعب فى قلوبهم . فبدأ يرقص وأصبحت ضحكاته بمثابة زمجرة غاضبة متعطشة للدماء ، ووثب مرحاً نحو « بيل » وكان القناع شيئاً له كيانه المستقبل الذى يختفى وراءه « جاك » متحرراً من الخجل والوعى بالذات . وتأرجح الوجه الزاخر باللون الأحمر والأبيض والأسود عبر الهواء ، وتراقص بسرعة نحو « بيل » فقفز « بيل » فجأة ضاحكاً ، ثم التزم بالصمت فجأة ، وسار فى ارتباك مبتعداً عبر الشجيرات .

واندفع « جاك » نحو التوءمين . .

- الباقون يشكلون صفا . هيا .

- ولكن . .

- نحن . .

هيا ! سوف أتسلل وأزحف ، ثم أقوم بالاقتحام والطعن ، وأخضعهم بالقوة .

وتسلق « رالف » صاعداً من بركة الاستحمام ، وجرى مهرولاً على البلاج ، ثم جلس تحت الظلال أسفل أشجار النخيل ، وكان شعره الأشقر ملتصقاً على حاجبى عينيه فأزاحه إلى الخلف . وكان « سيمون » طافياً فوق الماء ، وكان يركل ويرفص بقدميه ، أما « موريس » فكان يمارس هواية الغطس فى الماء . وكان « بيجى » يقضى وقته فى تكاسل هنا وهناك بدون هدف ، حيث كان يلتقط الأشياء ثم يلقى بها ثانية . وكانت البرك الصخرية التى تعجبه كثيراً مغطاة بالمياه بسبب المد والجزر ؛ لذلك ظل بدون أى شىء يجذب انتباهه وشغفه إلى أن انحسر المد والجزر ، وفى هذه

اللحظات شاهد « رالف » تحت أشجار النخيل فسار نحوه وجلس إلى جوارِه .

وكان « بيجى » يرتدى بقايا « بنطلون » قصير ، وكان جسده السمين الممتلىء مكتسيا باللون البنى الذهبى ، وكانت نظارته مازالت تتلألأ عندما ينظر إلى أى شىء ، وكان هو الولد الوحيد بالجزيرة الذى لم ينم شعره على ما يبدو ، أما الباقون فكان شعرهم كثيفاً فوق رءوسهم ، ولكن شعر « بيجى » كان لا يزال يرقد على شكل خصلات هزيلة فوق رأسه ، كما لو كان الصلع هو حالته الطبيعية ، وكما لو كان هذا الغطاء الخفيف من الشعر سيتلاشى قريباً ، شأنه شأن الشعر الناعم الموجود على قرن غزال ذكر .

– لقد كنت أفكر فى عمل ساعة ، حيث باستطاعتنا أن نصنع مزولة أو ساعة شمسية ، وهذا أمر سهل ، إذ يمكننا أن نثبت عصاً فى الرمال وبعدئذ . . . وبذل مجهوداً كبيراً للغاية لكى يعبر عن العمليات الرياضية التى ينطوى عليها هذا الموضوع ، ثم تخلى عن ذلك ، وراح يعبر بحركات من يديه .

فقال « رالف » فى مرارة :

– ونصنع طائرة وجهاز تليفزيون وقاطرة بخارية .

فهز « بيجى » رأسه ، وقال :

– تلك الأشياء تتطلب وجودَ قَدْرٍ من المعادن ، ولكننا لا نمتلك أية معادن، ولكن توجد لدينا عصا . .

فالتفت « رالف » وابتسم بدون أن يكون راغباً فى الابتسام ، فقد كان

«بيجى »-شخصاً ثقيل الظل ، ومثيراً للضيق والضجر ، إذ كانت شحومه وبدانته وآراؤه وأفكاره الواقعية من الأمور السخيفة ، ولكن كان هناك دائماً قدر قليل من المتعة التى يتم الحصول عليها من وراء جذب ساقه ، حتى ولو فعل ذلك أحد بطريق المصادفة .

وشاهد « بيجى » الابتسامة ، واعتقد بطريق الخطأ أنها ابتسامة تدل على روح الصداقة ، وكان من المتعارف عليه بين الأولاد الكبار أن « بيجى » دخيل على الجماعة وغير منتم إليهم ، ليس فقط بسبب لهجته وطريقة نطقه للكلام ، ولكن أيضاً بسبب بدانته وآرائه ونظارته وعدم ميله إلى العمل اليدوى . وعندما اكتشف « بيجى » فى تلك اللحظات أنه قد قال شيئاً دفع « رالف » إلى الابتسام ، فإنه شعر بالبهجة وانتهز الفرصة ليشرح وجهة نظره .

- نحن لدينا كميات من العصى ، ويمكننا أن نحول كل عصاً إلى مزولة أو ساعة شمسية ، وبهذه الطريقة يمكننا أن نعرف الوقت .

- سيعود هذا علينا بالخير الوفير .

- ولقد سبق لك أن قلت إنك تريد إنجاز الأمور ، وذلك حتى تتاح الفرصة لإنقاذنا . .

أوه . . إخرس .

وقفز واقفاً على قدميه ، وهرول عائداً إلى البركة فى الوقت الذى قام فيه «موريس » بغطسة بسيطة بعض الشىء . وكان « رالف » مسروراً ؛ لأنه وجد الفرصة لتغيير الموضوع ، فصاح منادياً على « موريس » لدى صعوده

إلى سطح الماء .

- بطنك يرتفع وينخفض !

فابتسم « موريس » لـ « رالف » إبتسامة خاطفة وانزلق فى سهولة إلى الماء ، وكان « موريس » هو أكثر الأولاد شعوراً بالارتياح هناك ، وكأنه فى بيته الخاص به ، ولكنه فى هذا اليوم كان يشعر بالضيق والضجر لدى التطرق إلى موضوع الإنقاذ ، وهو موضوع تافه الجدوى ، حتى إن الأعماق الخضراء للمياه وأشعة الشمس الذهبية المتكسرة لم تخفف من شعوره بالضيق، وبدلا من البقاء واللعب فى الماء فإنه أخذ يسبح فى حركة منتظمة تحت « سيمون » وزحف خارجاً من الجانب الآخر للبركة ، واستلقى هنالك وهو يتفجر بالصحة ويقطر ماءً مثل عجل البحر ، ووقف « بيجى » الذى يبدو دائماً كشخص أخرق تنقصه البراعة والرشاقة وذهب ليقف إلى جواره حتى إن «رالف » انقلب على بطنه وتظاهر بأنه لا يرى ، وكان السراب قد تلاشى تماماً، فأخذ يمر بعينه فى شىء من الاكتئاب على طوال الخط الأزرق المشدود للأفق .

وفى اللحظة التالية نهض على قدميه وأخذ يصيح .

- الدخان ! الدخان !

وحاول « سيمون » الجلوس فى الماء فامتلأ فمه بكمية ضئيلة من الماء ، و«موريس» الذى كان قد وقف مستعداً للغوص فى الماء ترنح للخلف على عقبيه ، وجرى عائداً بسرعة إلى الرصيف ، ثم انحرف للخلف نحو العشب الموجود تحت أشجار النخيل ، وهنالك بدأ يرتدى بنطلونه القصير الممزق لكى يكون على استعداد لمواجهة أى شىء .

ووقف « رالف » وقد إمسك بإحدى يديه شعره ليجذبه إلى الوراء ، وأطلق أصابع يده الأخرى فى إحكام . وبدأ « سيمون » فى الصعود خارجاً من الماء . . وأخذ « بيجى » يمسح نظارته على بنطلونه القصير ، وراح ينظر ويحدق النظر فى اتجاه البحر ، وكان « موريس » قد وضع ساقيه فى فردة واحدة من بنطلونه القصير ، وكان « رالف » هو الوحيد من بين جميع الأولاد الذى التزم بالهدوء والسكينة .

وقال « بيجى » فى شىء من الشك :

– إننى لا أرى دخاناً ، إننى لا أشاهد دخاناً ، يا « رالف » أين ذلك الدخان ؟

ولم يتكلم « رالف » ، وكانت كلتا يديه آنئذ مطبقتين بقوة على جبهته لكى يبعد شعره الأشقر عن عينيه . وكان منحنياً للأمام ، وكان الملح قد بدأ يضفى على جسده اللون الأبيض .

– يا « رالف » أين هى السفينة ؟

ووقف « سيمون » بجوار « رالف » وراح ينتقل ببصره ما بين « رالف » والأفق . وتمزق بنطلون « موريس » فى تنهد ، فخلعه وألقى به حيث لم يعد يصلح لشىء ، واندفع مسرعاً نحو الغابة ، ثم عاد مرة أخرى .

وكان الدخان على شكل عقدة صغيرة مكثفة للغاية فوق الأفق ، ثم أخذت تتفكك فى بطء ، وتحت الدخان كانت توجد نقطة ، وربما كانت هذه النقطة بمثابة مدخنة . وكان وجه « رالف » شاحباً عندما تحدث موجهاً الكلام لنفسه .

- إنهم سيشاهدون دخاننا .

وكان بيجى ينظر فى الاتجاه الصحيح آنئذ .

- إنها لا تبدو واضحة .

واستدار وراح يحملق لأعلى نحو الجبل . واستمر « رالف » فى مراقبته للسفينة فى عصبية ، وبدأت الدماء تعود إلى وجهه.، ووقف « سيمون » إلى جواره صامتاً .

وقال « بيجى » :

- إننى أدرك أن نظرى ضعيف .

واستطرد :

- ولكن أما زال أى قدر من الدخان ينبعث من عندنا ؟

يتحرك « رالف » فى عصبية وهو لا يزال يرقب السفينة .

- الدخان موجود فوق الجبل .

وجاء « موريس » مهرولاً وراح يحملق فى اتجاه البحر ، وراح كل من «سيمون » و « بيجى » ينظران لأعلى إلى الجبل ، وقطب « بيجى » ما بين حاجبيه ، ولكن « سيمون » صرخ بأعلى صوته كما لو كان قد أصاب نفسه بجرح عميق .

- « رالف » ! « رالف » !

فاستدار « رالف » ملتوياً على الرمال بسبب نوعية الصراخ . وتساءل «بيجى » فى قلق :

- أرجوك أن توضح لى الأمور . هل هناك إشارة أطلقت من سفينة ؟
فعاد « رالف » ينظر إلى الدخان المتشتت فوق الأفق ، ثم نظر لأعلى نحو الجبل .

- أرجوك يا « رالف » . . هل هناك إشارة ؟

ومد « سيمون » يده فى شىء من الخوف ليلمس بها « رالف » إلا أن «رالف » بدأ يجرى ويشق طريقه عبر الطرف الضحل من بركة الاستحمام ، فتناثرت المياه فى طرطشة ، ثم عبر الرمال الساخنة البيضاء إلى أن وصل إلى المكان الواقع تحت أشجار النخيل ، وبعد لحظات كان يكافح النباتات العشبية المتشابكة التى كانت تغمر المنحدر الصخرى الشاهق عند الشاطىء فجرى «سيمون » وراءه ، وبعدئذ جرى « موريس وراءهما . . فصاح «بيجى » :

- « رالف » ! . . لو سمحت يا « رالف » .

ثم بدأ هو الآخر يجرى ويهرول ويتعثر فى « البنطلون » القديم الذى سبق أن تخلص منه « موريس » وذلك قبل أن يصل إلى الأرض المستوية المحاذية للبحر ، وخلف الأولاد الأربعة كان الدخان يتحرك برفق على طول الأفق وعلى « البلاج » كان « هنرى » و « جونى » يلقيان بالرمال على « برسيفال » الذى كان يبكى فى هدوء مرة أخرى ، وكان هؤلاء الأولاد الثلاثة الصغار يجهلون تماماً ما يدور حولهم من أحداث مثيرة .

وما إن وصل « رالف » إلى طرف المنحدر الصخرى الشاهق المتجه نحو الباب حتى بدأ يسب ويلعن فى أنفاس لاهثة . . فقد تسبب فى إحداث جروح شديدة فى جسده العارى أثناء زحفه بين النباتات المتسلقة الشوكية ،

حتى إن الدماء كانت تنزلق على جسده . وتوقف عند الجزء الصاعد لأعلى في انحدار شديد من الجبل . وكان « موريس » على مسافة ياردات قليلة خلفه .

وصاح « رالف » :

– نظارة بيجى ! إذا كانت النيران قد خمدت فسنحتاج إلى نظارة «بيجى» .

وتوقف عن الصياح وأخذ يتمايل ويتأرجح على قدميه . وكان « بيجى » قد ظهر على مسافة بعيدة قادماً من ناحية « البلاج » وكان يسير فى اضطراب . ونظر « رالف » إلى الأفق ، ثم نظر لأعلى نحو الجبل . هل ينبغى له الذهاب لإحضار نظارة « بيجى » أو أن الوقت غير كافٍ لأن السفينة ستكون قد ابتعدت لمسافة كبيرة ؟ وهل إذا واصلوا التسلق لأعلى على أساس أن النيران قد انطفأت كلها فهل ينبغى لهم أن يرقبوا « بيجى » وهو يزحف مقترباً منهم ويرقبوا السفينة وهى تزداد غوصاً تحط ـ الأفق ؟ . واجتاحته موجات عارمة من القلق النفسى . . وشعر بالعذاب الشديد ؛ لأنه لم يستطع اتخاذ أي قرار ، فصرخ قائلاً :

– يا إلهى ! . . يا إلهى !

وحبس « سيمون» أنفاسه وهو يكافح مع الشجيرات . . وكان وجهه ملتوياً . . وسار « رالف » فى تثاقل واضطراب وهو يهاجم نفسه فى وحشية لدى تحرك وتباعد كتلة الدخان الصغيرة .

وكانت النيران منطفئة تماماً ، إذ أدركوا ذلك بعد لحظات قليلة . .

شاهدوا ما سبق أن أدركوه بالفعل وهم فى المناطق السفلية على « البلاج » وعندما دعاهم دخان الوطن ولوح لهم . . كانت النيران منطفئة بدون دخان وميتة ؛ لأن الساهرين عليها والمراقبين لها قد انصرفوا . وكانت هناك كومة من الوقود غير المستخدم ملقاة بالفعل بالقرب من النار المنطفئة .

واستدار « رالف » نحو البحر ، وامتد الأفق مرة أخرى نحو غياهب المجهول قاحلاً وخاليا من كل شىء ، إلا آثارًا ضعيفة للغاية من الدخان .

فجرى « رالف » متعثراً بين الصخور ، وأنقذ نفسه فوق حافة المنحدر الصخرى الشاهق الوردى اللون ، وراح يصرخ بأعلى صوته مناديا السفينة :

- ارجعى ! ارجعى ! عودى إلينا !

وأخذ يجرى إلى الأمام وإلى الخلف على طوال المنحدر الصخرى الشاهق ، وقد جعل وجهه فى اتجاه البحر باستمرار . وازداد صوته ارتفاعاً فى نوع من الجنون :

- ارجعى ! ارجعى ! عودى إلينا !

ووصل « سيمون » « وموريس » فنظر إليهما « رالف » بعينين ثابتتين لا تطرفان ، فاستدار « سيمون » منصرفاً وهو يزيل الماء عن خديه .

وبحث « رالف » فى أعماق نفسه عن أسوأ كلمة يعرفها .

- لقد تركوا النيران الوحشية إلى أن خمدت .

ولم يبالِ « رالف » بالجانب المحاذى من الجبل . ووصل « بيجى » متقطع

الأنفاس ، وكان يئن فى نشيج مثل الأولاد الصغار ، فأطبق « رالف » جماع يده وتصاعدت الدماء إلى وجهه بقوة شديدة . وكانت نظراته مركزة كما كان صوته مملوءاً بالمرارة .

– ها هم موجودون هناك .

وكان موكب قد ظهر على مسافة بعيدة بالأماكن السفلية بين الحجارة الوردية اللون التى كانت بالقرب من حافة المياه . وكان بعض الأولاد يرتدون قبعات سوداء ، ولكنهم كانوا شبه عرايا . وكانوا يرفعون عصاً فى الهواء مع بعضهم البعض كلما وصلوا إلى مساحة سهلة من الأرض ، وكانوا ينشدون شيئاً له علاقة بالصرة التى يحملها التوءمان المخطئان فى عناية شديدة . وتمكن « رالف » من مشاهدة « جاك » بسهولة من بين المنضمين للموكب ، برغم وجود تلك المسافة الطويلة ؛ لأن « جاك » كان طويلا وأحمر الشعر ، ولأنه كان يقود الموكب .

وهنا بدأ « سيمون » ينتقل بنظره من « رالف » إلى « جاك » مثلما كان ينتقل ببصره من « رالف » إلى الأفق ، ويبدو أن ماشاهده قد جعله يشعر بالخوف . ولم يقل « رالف » كلاماً آخر، وإنما ظل منتظراً، فى حين كان الموكب يزداد اقترابه ، وكانت الأنشودة مسموعة إلا أن كلماتها كانت غير واضحة بسبب بعد المسافة ، وخلف « جاك » كان التوءمان يسيران وهما يحملان وتداً هائلاً على كتفيهما . وكان جسد خنزير ذبيح خالٍ من الأمعاء يتدلى فى تأرجح من الوتد الكبير ويهتز فى ثقل عندما يكافح التوءمان فوق الأرض غير المستوية ، وكان رأس الخنزير يتدلى لأسفل برقبة مشقوقة ، وبدا وكأنه يبحث عن شىء ما على الأرض . . وأخيراً بدأت كلمات الأغنية تطفو

لأعلى نحوهم عبر تجويف مملوء بالأخشاب المتفتحة بالسواد ، وزاخر بالرماد والهباء .

- اقتل الخنزير واقطع حلقه وأرق دماءه .

وما إن أصبحت الكلمات واضحة حتى وصل الموكب إلى أكثر الأجزاء انحداراً فى الجبل ، ولكن بعد مرور دقيقة أو دقيقتين تلاشت الأغنية . وسال أنف « بيجى » بالمخاط وتمخط بصوت مرتفع ، فأسكته « سيمون » بسرعة كما لو كان قد تحدث بصوت مرتفع للغاية فى إحدى الكنائس .

ووصل « جاك » الذى كان وجهه ملطخاً بالصلصال إلى القمة قبل غيره« ، وحيا « رالف » فى إثارة بالغة بأن رفع الحربة فى وجهه .

- انظرا ! لقد قتلنا خنزيراً - فقد تسللنا وأطبقنا على الخنزير فى شكل دائرة .

وقاطعته أصوات صادرة عن الصيادين .

- لقد انتظمنا على شكل دائرة . .

- ثم زحفنا فى تسلسل . .

- وأطلق الخنزير صرخة طويلة حادة . .

ووقف التوءمان وكان الخنزير يتأرجح بينهما ويقطر دماءً سوداء فوق الصخر . . وابتسما ابتسامة واحدة عريضة مملوءة بالنشوة البالغة . وكان لدى « جاك » أشياء كثيرة يريد أن يقولها لـ « رالف » على الفور ، ولكنه بدلا من ذلك راح يرقص خطوة أو خطوتين ، وبعدئذ تذكر وقاره واتزانه ووقف

ساكناً ومبتسماً . ولاحظ وجود دماء على يديه فشعر بالاشمئزاز الشديد ، وأخذ يبحث عن شيء يمسح فيه يديه ، وأخيراً مسحهما فى « بنطلونه » وضحك .

وتحدث « رالف » :

- لقد تركتم النيران إلى أن خمدت وانطفأت . .

فعاين « جاك » النيران المنطفئة ، وتوتر بسبب عدم وجود علاقة بين موضوع اصطياد الخنزير وموضوع خمود النيران ، ولكنه كان سعيداً للغاية بحيث لم يتضايق كثيراً من انطفاء النيران .

- يمكننا أن نشعل النيران مرة أخرى ، لقد كنت أتمنى أن تكون معنا يا «رالف » لتشهد بنفسك ما حدث ، لقد قضينا وقتاً مفعماً بالهجوم الساحق ، واصطدم التوءمان ووقع أحدهما على الآخر .

- وضربنا الخنزير . .

- وسقط على القمة . .

وقال « جاك » فى فخر - وإنْ كان فى شيء من الرعشة والانتفاض :

- وقطعت حلق الخنزير .

واستطرد :

أيمكنني أن أستعير سكينتك يا « رالف » لكى أعمل شقاً فى المقبض ؟ وتبعثر الأولاد وراحوا يرقصون . واستمر « التوءمان » فى الابتسام .

وقال « جاك » وهو يضحك فى ارتعاد :

- وكانت هناك تدفقات من الدماء ، كان ينبغى لك أن تشاهد كل ذلك !

- ستذهب للصيد فى كل يوم .

وتحدث « رالف » مرة أخرى بصوت خشن ، وكان قد ظل واقفاً فى جمود مكانه .

- لقد تركتم النيران وتسببتم فى انطفائها ..

وأحس « جاك » بالقلق لدى سماعه هذا الكلام يتكرر مرة أخرى . فنظر إلى التوءمين وانتقل ببصره إلى « رالف » مرة أخرى .

وقال :

- لقد اضطررنا إلى الاستعانة بهما فى عملية الصيد ؛ لأن عددنا لم يكن كافياً لتنظيم حلقة دائرية .

وتصاعدت الدماء إلى وجهه بعد أن شعر بغلطته .

- لقد انطفأت النيران منذ ساعة واحدة أو ساعتين ، ويمكننا أن نشعلها مرة أخرى .

ولاحظ أن جسد « رالف » العارى مملوء بالجروح والقروح والندبات الغائرة ، كما لاحظ أن الصمت المطبق الكئيب مخيم على الأشخاص الأربعة جميعاً ، فسعى - بدافع من روح الخير عنده - إلى إشراكهم فى ذلك الشىء الذى حدث وعاد بالسعادة عليه . وكان ذهنه زاخراً بالذكريات ، ذكريات عن الدراية والمعرفة التى هبطت عليهم عندما أطبقوا على الخنزير الذى أخذ يقاوم فى استماتة ، ذكريات تتعلق بإدراكهم أنهم تفوقوا على ذلك الشىء

الحى فى المكر والدهاء ، وفرضوا إرادتهم عليه وسلبوا منه حياته مثل جرعة طويلة مشبعة من شراب مسكر ، وباعد ما بين يديه تماماً .

- وكان ينبغى لك أن تشاهد الدماء !

وكان الصيادون أكثر صمتاً فى تلك اللحظات . ولكنهم راحوا يتهامسون ويغمغمون مرة أخرى فى هذا الأمر ، وألقى « رالف » بشعره للخلف ، وأشار بيد واحدة نحو الأفق الخالى ، وكان صوته مرتفعاً ومتوحشاً مما جعلهم يلوذون بالصمت .

- كانت هناك سفينة .

وما إن واجه « جاك » فجأة تورطات مريعة للغاية حتى لجأ للتخلص منها ، فوضع إحدى يديه على الخنزير وسحب سكينته . . وهبط « رالف » بذراعه لأسفل وقد أطبق فى إحكام على جماع يده وارتعد صوته وهو يقول :

- كانت هناك سفينة . . هنالك بعيداً عن الشاطىء . ولقد قلتم لى إنكم ستحرصون على استمرار اشتعال النيران ، ولكنكم تركتم النيران تخمد وتنطفىء . . وسار خطوة فى اتجاه « جاك » الذى استدار لمواجهته :

- لو كانت النيران مشتعلة لكان هناك احتمال أن يشاهدونا . . وبالتالى كان هناك احتمال بأن نعود إلى وطننا .

وشعر « بيجى » بالضيق والمرارة الشديدة لدى سماعه هذا القول ، فنسى جبنه وخوفه لدى إحساسه بالكرب الشديد والحزن على الخسارة الفادحة التى ألمت به ، فراح يصرخ فى تذمر بحدة بالغة :

- أنت والدماء التى سفكتها يا « جاك » ، وأنت والصيد الخاص بك

. . كانت لدينا الفرصة للعودة إلى وطننا .

فقام « رالف » بدفع « بيجى » على جانب :

– لقد اخترتمونى رئيساً ، وهذا معناه أنكم تنفذون ما أقوله ، وأنت تضيع الوقت فى الكلام والثرثرة ، ولا تستطيع أن تبنى أكواخاً ، وبعدئذ تنطلق فى أعمال الصيد وتترك النيران لتخمد .

واستدار مبتعداً فى صمت للحظات ، ثم جاء صوت مرة أخرى مشحوناً بذروة المشاعر .

– كانت هناك سفينة .

وبدأ أحد الصيادين الصغار ينخرط فى البكاء والنحيب . . وبدأت الحقيقة الموحشة الكئيبة تتغلغل فى كيان كل شخص ، وتصاعدت الدماء فى داخل « جاك » ، فاحتقن وجهه الأحمر أثناء قيامه بتقطيع الخنزير إرباً إرباً .

– لقد كانت عملية اصطياد الخنزير من المهام الكبيرة الصعبة ؛ ولذلك كنت بحاجة إلى الاستعانة بكل شخص .

فاستدار « رالف » :

– كان باستطاعتك الاستعانة بجميع الناس بعد الانتهاء من بناء الأكواخ ، ولكن ذهنك كان منصباً على الصيد .

– لأننا فى حاجة إلى اللحوم .

ونهض « جاك » واقفاً وهو يقول هذا الكلام وقد أمسك بيده السكينة

الملطخة بالدماء .

وواجه أحد الولدين الآخر وجهاً لوجه . وكان هناك عالم الصيد المثير بما فيه من حيل وابتهاج ، وانتعاش وحشى ، ومهارات . كما كان هناك عالم الإدراك السليم الجذاب والمثير للحيرة .

ونقل « جاك » السكينة إلى يده اليسرى ولطخ جبهته بالدماء وهو يدفع شعره إلى الوراء .

وبدأ « بيجى » مرة أخرى :

- ما كان ينبغى لك أن تدع النار تخمد . . فقد قلت إنك ستحرص على استمرار تدفق الدخان .

وهذا القول من جانب « بيجى » بالإضافة إلى صيحات الموافقة من جانب بعض الصيادين قد دفع « جاك » إلى أسلوب العنف ، فظهرت فى عينيه الزرقاوين نظرات نارية ، فاتخذ خطوة للأمام ، وأصبح على مسافة تسمح له بضرب أى شخص ، فضرب بطن « بيجى » بجماع يده . فتهاوى« بيجى » جالساً على الأرض ، وراح ينخر بصوت يشبه صوت الخنزير ، فوقف « جاك » فوق جسده ، وكان صوته ممتلئاً بالشر والوحشية بسبب الشعور بالخزى .

- كان باستطاعتك أنت يا « فاتى » أن تبقى على النيران مشتعلة . ألم يكن باستطاعتك ذلك ؟

فاتخذ « رالف » خطوة للأمام . وضرب « جاك » رأس « بيجى » بصفعة قوية ، فطارت نظارة « بيجى » ووقعت فى رنين على الصخور . . فصاح

«بيجى » فى رعب شديد :

– نظارتى ؟

وسار منحنياً وراح يبحث ويتحسس فوق الصخور ، ولكن « سيمون » الذى وصل إلى مكان النظارة قبله عثر عليها ، وحامت العواصف حول «سيمون » فوق قمة الجبل بأجنحة مروعة :

– لقد انكسرت عين واحدة من النظارة .

وأمسك « بيجى » بالنظارة ووضعها على عينيه . . ونظر فى حقد وغل إلى « جاك » .

– إننى معتمد تماماً على هذه النظارة . والآن لا يوجد بها سوى عين واحدة ، سوف أنتقم منك .

وقام « جاك » بحركة تجاه « بيجى » ، ولكن « بيجى » اندفع بعيداً فى ذعر ، ووقف وراء صخرة كبيرة تفصل بينهما ، ودفع برأسه فوق قمة الصخرة وحملق فى « جاك » من خلال نظارته اللامعة ذات العين الواحدة .

– ليس لدى الآن سوى عين واحدة ، سوف أنتقم منك .

وقلد « جاك » بطريقة ساخرة أنين « بيجى » وتدافعه للوراء :

– سأنتقم منك .

وكان « بيجى » وتقليد صوته وحركاته بشكل ساخر مثيراً للفكاهة تماماً ، كما جعل الصيادين ينفجرون فى بالضحك .

وشجع ذلك « جاك » فاستمر فى تقليد تدافع « بيجى » للوراء ، وعندئذ

وصل الضحك إلى عاصفة شديدة من الضحك الجنونى ، وأحس « رالف » بشفتيه تختلجان على الرغم منه ؛ إذ كان غاضباً من نفسه لنزوعه إلى الاستسلام .

فراح يتمتم ويغمغم :

– تلك كانت خدعة قذرة .

فتخلص « جاك » من الحركات الدائرية التى يقوم بها ، ووقف مواجهاً «رالف » وجاءت كلماته على شكل صياح :

– وهو كذلك ! وهو كذلك !

ونظر إلى « بيجى » ثم إلى « الصيادين » ثم إلى « رالف » :

– آسف ، أعنى أننى أبدى أسفى بشأن ما حدث للنيران هنالك ، وأنا . .

وتمالك نفسه واستجمع قواه :

– وأنا أقدم اعتذارى . .

فصدر طنين من جانب الصيادين ، حيث أعربوا عن إعجابهم بهذا السلوك الحسن . . وكان من الواضح أنهم يعتقدون أن « جاك » قد سلك السلوك الراقى ووضع نفسه فى الاتجاه الصحيح عندما أبدى اعتذاره وحُسن نواياه ، وكان من الواضح أيضاً أنهم يعتقدون فى شىء من الغموض أن «رالف » كان مخطئاً ، وانتظروا أن يرد « رالف » بإجابة لائقة مناسبة .

غير أن خُلُق « رالف » رفض السماح بالنطق بإحدى الإجابات اللائقة

. . إذ كان يشعر بالاستياء من هذه الخدعة ، وبسبب سوء سلوك « جاك »
. . وكانت النيران ميتة ، وكانت السفينة قد ولت واختفت . . أليس بمقدورهم أن يدركوا كل هذا ؟ وتصاعد الغضب إلى حلقه بدلاً من كلمات المجاملة الرقيقة :

- تلك كانت خدعة قذرة . .

وخيم الصمت عليهم فوق قمة الجبل ، فى حين ظهرت النظرة غير الشفافة فى عينى « جاك » ثم تلاشت .

وكانت كلمات « رالف » الأخيرة بمثابة همهمة غير لطيفة :

- وهو كذلك . أشْعِلوا النيران .

ومع ظهور عمل إيجابى أمامهم تلاشى قدر ضئيل من التوتر . ولم يقل «رالف » كلاماً أكثر من ذلك ، ولم يقم بأى عمل ، واكتفى بالوقوف والنظر إلى أسفل نحو الرماد المحدق بقدميه .

ودب النشاط « فى « جاك » وأصبح صوته عالياً ، فراح يصدر الأوامر ويغنى ويصفر ويبدى الملاحظات بشأن « رالف » الصامت . . وهى ملاحظات وتعليقات لم تكن بحاجة إلى الرد عليها بإجابات معينة ، وبالتالى لم تكن تفتح الباب أمام رد جاف ، ولذلك ظل « رالف » صامتاً . ولم يجرؤ أحد - ولا « جاك » نفسه - على أن يطلب منه التحرك من مكانه ، وفى نهاية الأمر اضطروا لبناء كومة من الأخشاب الخاصة بالنيران على بُعد ثلاث ياردات ، وفى مكان غير ملائم تماماً مثل المكان الأول ، وبهذه الطريقة أصر « رالف » على زعامته ، وأكدها تماماً ، وما كان له أن يعثر على طريقة أفضل

يؤكد بها زعامته ، حتى ولو فكر فى ذلك لأيام عديدة ، وإزاء هذا السلاح الذى استخدمه « رالف » - وهو سلاح فعال وغامض - أصبح « جاك » عاجزاً ، ودب الغضب فى أعماقه بدون أن يعرف السبب فى ذلك ، وما إن تم تكوين كومة الأخشاب العالية حتى أصبحا يقفان عند جانبين مختلفين لحاجز عالٍ .

وما إن انتهى إعداد الكومة العالية حتى ظهرت مشكلة أخرى ؛ إذ لم يكن لدى « جاك » وسيلة لإشعال النيران . . ثم دهش « جاك » عندما شاهد « رالف » يتجه نحو « بيجى » ليأخذ منه نظارته ، بل إن « رالف » لم يكن يدرك كيف أن الرابطة بينه وبين « جاك » قد أغفلت ، ثم تثبتت فى مكان آخر :

- سأعيد النظارة إليك .

- سأجىء أيضاً .

ووقف « بيجى » وراءه معزولا فى حين ركع « رالف » وأخذ يركز النقطة اللامعة فى البؤرة ، وما إن اشتعلت النيران حتى مد « بيجى » يديه واختطف نظارته بسرعة .

وأمام هذه الأزهار الرائعة الجذابة التى تضم اللون البنفسجى والأحمر والأصفر تلاشت القسوة والخشونة ، أصبحوا بمثابة دائرة من الأولاد الملتفين حول نيران معسكر ، بل انجذب قليلاً إلى الدائرة من « رالف » و « بيجى » وسرعان ما اندفع بعض الأولاد مهرولين نحو الأماكن السفلية من المنحدر لإحضار المزيد من الأخشاب ، فى حين كان « جاك » يقطع لحم الخنزير . .

وحاولوا الإمساك بجسد الخنزير بأكمله على خازوق فوق النيران، غير أن الخازوق احترق بسرعة كبيرة قبل أن يتم شواء لحوم الخنزير ، وفى النهاية استخدموا بعض الأغصان كأسياخ ووضعوا عليها قطعاً من اللحم ، وأمسكوا بالأغصان أمام اللهيب ، وعندئذ كاد الأولاد يتعرضون للشواء مثل لحم الخنزير .

وسال اللعاب من فم « رالف » ، وكان يهدف إلى رفض تناول اللحوم إلا أن طعامه فى الأيام الماضية المكون من الفاكهة وجوز الهند بالإضافة إلى تفاح برى أو سمك غريب الطعم - قد أعطاه مقاومة ضئيلة للغاية ، فقبل قطعة من اللحم غير مشوية تماماً وراح يقضمها مثل الذئب .

وتكلم « بيجى » ، وكان لعابه يسيل هو الآخر :

- ألن أحصل أنا على أية لحوم ؟

وكان « جاك » قد تعمد أن يتركه نهباً للشكوك ، كنوع من التأكيد على نفوذه وسلطته ، ولكن « بيجى » بإعلانه عن إغفاله جعل المزيد من القسوة أمراً ضرورياً .

- أنت لم تشترك فى أعمال الصيد .

فقال « بيجى » واللعاب يسيل من فمه :

- وكذلك « رالف » لم يشترك فى أعمال الصيد ، ولا « سيمون » ثم استطرد فى شىء من المبالغة :

- لم يتبق سوى كمية محدودة من اللحوم .

وتحرك « رالف » فى شىء من القلق ، أما « سيمون » الجالس ما بين التوءمين و « بيجى » فإنه مسح فمه ودفع بقطعة اللحم الخاصة به عبر الصخور إلى « بيجى » فأمسك بها « بيجى » . . وضحك التوءمان فى قهقهة عالية ، وأخفض « سيمون » وجهه فى خجل .

وعندئذ قفز « جاك » ناهضاً على قدميه ، وقطع قطعة ضخمة من اللحم وألقى بها عند قدمى « سيمون » .

- تناول هذا اللحم . . لعنة الله عليك !

ونظر محملقاً فى « سيمون » .

- خذ هذا اللحم .

واستدار على عقبيه وسط دائرة من الأولاد المذهولين :

- لقد نجحت فى إحضار اللحم لكم .

وكانت الإحباطات العديدة ، والتى لا يمكن التعبير عنها ، هى التى جعلت غضبه شديداً ومثيراً للخوف .

- لقد وضعت الطلاء على وجهى ، وتسللت ، وهما أنتم الآن جميعاً تأكلون . . أنتم جميعاً مثلى تماما . وأنا . .

وساد الصمت تدريجياً فوق قمة الجبل إلى أن أصبح بالإمكان سماع الهمهمة الخفيفة المنبعثة عن شواء اللحوم بكل وضوح . ونظر « جاك » فيما حوله باحثاً عن التعاطف ، ولكنه لم يجد سوى الاحترام . وكان « رالف » يقف صامتاً بين رماد نيران الإشارة وقد امتلأت يداه بشرائح اللحم .

وبعدئذ حطم « موريس » السكون أخيراً إذْ حول دفة الكلام إلى الموضوع الوحيد الذى يمكنه التقريب ما بين الغالبية العظمى من الحاضرين :

– أين وجدتم الخنزير ؟

فأشار « روجر » لأسفل نحو الجانب الشديد الانحدار وقال :

– لقد كانوا هنالك – بالقرب من البحر .

وأفاق « جاك » عندئذ ، ولم يتحمل رؤية أحد وهو يقص على الأولاد قصته هو ، فتدخل فى الكلام بسرعة قائلا :

– لقد انتشرنا على شكل دائرة ، وأنا زحفت على يدى ورجلى . . وسقطت الرماح ؛ لأنها غير مزودة بشوكات ، وكان الخنزير يجرى دائماً ويحدث صوتاً مريعاً .

– واستدار عائداً وجرى إلى داخل الدائرة فى حين كانت الدماء تنزف منه ، وأصبح الأولاد جميعاً يتكلمون فى وقت واحد فى شىء من الإثارة والشعور بالارتياح :

– وأطبقنا عليه . .

– وكانت الضربة الأولى قد أصابت أجزاءه الخلفية بالشلل ؛ ولذلك فقد تمكنت الدائرة من الإطباق عليه ، وانهال الضرب عليه مرات عديدة .

– وأنا قمت بقطع حلق الخنزير .

وكان « التوءمان » ما زالا يبتسمان ابتسامتهما المتماثلة وهما يقفزان لأعلى ويجرى كُل منهما وراء الآخر على هيئة دائرية ، ثم انضم الباقون إليهما ، وأحدثوا جميعاً أصواتاً تشبه أصوات استغاثة الخنازير لدى ذبحها ،

وانخرطوا جميعاً فى الصياح .

اضربه . . ضربة على رأسه !

- أعطه ضربة بأربعة بنسات !

وعندئذ مثل « موريس » دور الخنزير وجرى وهو يصرخ صرخات حادة طويلة إلى وسط الدائرة ، فتظاهر جميع الصيادين الذين كانوا لا يزالون يدورون بأنهم يضربونه . وكانوا يغنون أثناء الرقص وينشدون .

- اقتل الخنزير . اقطع حلق الخنزير . . اضرب الخنزير واسحقه فى عنف .

وراح « رالف » يرقبهم فى حقد واستياء ، وتكلم قبل أن يهدأ ضجيجهم ورقصهم وغناؤهم :

- إننى أدعو إلى عقد اجتماع .

فتوقفوا الواحد تلو الآخر ، ووقفوا يرقبونه :

- سأدعوكم - مستخدماً المحارة - إلى حضور اجتماع حتى ولو اضطررنا إلى الاستمرار فى الاجتماع تحت جنح الظلام . . سيعقد الاجتماع فى الأماكن السفلية هنالك على الرصيف عندما أنفخ فى المحارة . . الآن .

واستدار مبتعداً وسار هابطاً من فوق الجبل .



الفصل الخامس

الوجوه المطلية والشعر الطويل

كان المد والجزر قادماً ، ولم يكن هناك سوى شريط ضيق من رمال البلاج الثابتة يقع ما بين المياه ، والمواد البيضاء التى تتعثر فيها الأقدام ، والتى كانت قريبة من الأرض المرتفعة قليلاً المليئة بأشجار النخيل . واختار «رالف» أن يسير على رمال « البلاج» الثابتة ؛ لأنه كان يحتاج إلى التفكير الهادىء بدون إزعاج ، وكان هذا الممر من الرمال الثابتة هو المكان الوحيد الذى يسمح لقدميه بالتحرك بدون أن يضطر لمراقبتهما ، وفجأة ، وبينما كان يمشى الهوينى بجوار الماء إذ تغلبت عليه مشاعر الدهشة ، واكتشف فى نفسه أنه قد بدأ يفهم متاعب هذه الحياة ، حيث كانت كل سبلها مرتجلة ، وحيث كان قدر كبير من فترة استيقاظ الإنسان ينقضى فى مراقبة الإنسان لقدميه . .

وتوقف عن المشى ، وواجه شريط الرمال الضيق ، وتذكر ذلك الاستكشاف الحماسى الأول كما لو كان جزءاً من حياة الطفولة المشرقة ، فابتسم فى سخرية ، ثم استدار وسار عائداً تجاه الرصيف ، فسقط ضوء الشمس على وجهه ، لقد حان الوقت لعقد الاجتماع ، وبينما كان يسير تحت روعة وبهاء ضوء الشمس الآخذ فى التوارى والاحتجاب بدأ يستعرض فى ذهنه بكل دقة النقاط التى سيتناولها فى خطابه ؛ إذ ينبغى ألا تكون هناك

غلطة تتعلق بهذا الاجتماع ، ويجب أن يكون الاجتماع خالياً من تصيد الأوهام الزائفة .

وفقد ذاته فى متاهات الأفكار التى تعرضت للغموض والإبهام بسبب نقص المفردات اللغوية لديه ؛ لأن الكلمات هى التى تعينه على التعبير عن تلك الأفكار . وحاول فى تجهم تنظيم أفكاره مرة أخرى .

ينبغى ألا يكون الاجتماع تسلية ولهواً ، ويجب أن يكون عملاً جدياً يتناول المسائل الهامة . . وهنا زاد من سرعته فى السير بعد أن أدرك فجأة أن الأمر عاجل ، وأن الشمس آخذة فى الانحدار نحو المغيب ، وبعد أن أحس ببعض النسيم الناجم عن سرعته فى المشى يداعب وجهه . . ودفعت لفحات النسيم قميصه الرمادى اللون على صدره بشدة ، حتى إنه لاحظ - وهو فى هذه الحالة الجديدة من الفهم والإدراك - أن ثنايا قميصه كانت ناشفة مثل الورق المقوى ، ولاحظ أيضاً أن حواف « بنطلونه » البالية كانت تخلق مساحة وردية غير مريحة فوق الأجزاء الأمامية من فخذيه . ومع اختلاج الذهن اكتشف « رالف » وجود القذارة والتعفن ، وأدرك أنه كان يكره كثيراً إزاحة الشعر المتشابك عن عينيه باستمرار ، وكان يكره أيضاً منظر الشمس وهى تختفى وتنحدر فى صمت لتستريح بين الأوراق الجافة . وهنا بدأ يهرول مسرعاً .

وكان « البلاج » بالأماكن القريبة من بركة السباحة منقطاً بمجموعات من الأولاد الذين ينتظرون بدء عقد الاجتماع ، وكانوا يشقون طريقهم نحوه فى صمت ، حيث كانوا مدركين لحالته النفسية المتجهمة ، وللخطأ الذى ارتكب فى موقع النيران .

وكان مكان الاجتماع الذى وقف عندة « رالف » مثلث الشكل تقريبا ،

ولكنه مثلث غير منتظم وناقص ، شأنه فى ذلك شأن أى شىء يفعلونه ، وكانت هناك أولاً الكتلة الخشبية التى جلس عليها ، وهى بمثابة شجرة ناشقة ، ومن المؤكد أنها كانت شجرة كبيرة للغاية بالنسبة للرصيف ، وربما ألقت بها إلى هذا المكان إحدى العواصف الأسطورية التى يشتهر بها الباسفيك . وكان جذع النخيل هذا مُلْقى فى اتجاه متوازٍ مع « البلاج » حتى إن « رالف » عندما جلس عليه كان وجهه فى اتجاه الجزيرة ، ولكنه بالنسبة للأولاد كان بمثابة هيكل أسود فى مواجهة وميض « اللاجون » أما جانبا المثلث الذى تعد الكتلة الخشبية هى قاعدته فكانا أقل تحديداً من حيث التساوى . فعلى اليمين كانت هناك كتلة خشبية بها لمعان على طول قمتها ناجم عن الجلوس عليها فى قلق ، ولكنها كتلة ليست كبيرة للغاية مثل تلك التى يجلس عليها الزعيم ، وليست مريحة مثلها . وعلى اليسار كان هناك أربع كتل خشبية صغيرة - وكانت إحداها - وهى أكثرها بعداً - بها مرونة مثل الزمبرك ، وفى حالة يُرْثَى لها . وكان كل اجتماع من هده الاجتماعات ينتهى بانفجار شديد فى الضحك عندما كان يستند شخص ما للوراء أكثر من اللازم ؛ لأنِ الكتلة الخشبية كانت عندئذ « تلب » كالخيزران ، وتلقى بنصف دستة من الأولاد إلى الخلف على الأرض العشبية ، ومع ذلك فهو لم يشاهد فى هذه المرة أحداً يتسم بالفطنة والذكاء - لا هو نفسه ولا « جاك » ولا « بيجى » - بحيث يحضر حجراً ليثبت به هذه الكتلة ، وهذا معناه أنهم سيستمرون فى تحمل متاعب هذه الكتلة الخشبية غير المتوازنة ؛ لأنهم . . ومرة أخرى فقد نفسه فى مياه عميقه .

وكان العشب بالياً أمام كل جذع ، ولكنه كان ينمو طويلاً فى وسط المثلث بعيداً عن طأة الأقدام ، وبعدئذ كان كثيفاً مرة أخرى عند رأس

المثلث ؛ لأن أحداً لم يكن يجلس هناك . وحول مكان الاجتماع من جميع الجهات كانت توجد جذوع الأشجار الرمادية منتصبة القامة أو منحنية ، وكانت تساند السطح المنخفض للأوراق ، وعلى كلا الجانبين كان يوجد «البلاج » وإلى الخلف يوجد « اللاجون » وإلى الأمام كان يوجد ظلام الجزيرة .

واستدار « رالف » نحو مقعد الرئاسة ، ولم يسبق لهم من قبل أن حضروا اجتماعاً فى مثل هذا الوقت المتأخر ، وهذا هو السبب فى أن المكان كان يبدو مختلفاً ومغايراً للغاية . وفى الأوقات العادية كان الجانب السفلى للسقف الأخضر يضاء بواسطة كتلة متشابكة من الانعكاسات الذهبية ، وكانت وجوههم تُضاء بطريقة معكوسة مثلما – وهو ما اعتقده « رالف » – يمسك الإنسان فى يديه بمشعل كهربائى ، ولكن فى هذه المرة كانت الشمس آخذة فى الانحدار نحو جانب واحد ، مما جعل الظلال توجد فى المكان الذى ينبغى أن توجد فيه .

ومرة أخرى تعرض « رالف » لحالة التأمل الغريبة التى كانت غير مألوفة له للغاية . إذ كانت الوجوه تختلف فى شكلها إذا أُضيئت من أعلى أو من أسفل – فما هو الوجه ؟ وما هى ماهية أى شىء ؟

وتحرك « رالف » فى قلق ، وكانت المشكلة تتركز فى الآتى : إذا قدر لك أن تكون زعيماً فإنه ينبغى لك أن تفكر ، ويجب عليك أن تكون حكيماً ، ويجب عليك أن تتخذ القرار فى الوقت المناسب قبل ضياع الفرصة ، وهذا يجعل المرء يفكر فى عمق ؛ لأن التفكير من الأمور البالغة الأهمية حيث يفضى إلى النتائج الهامة . .

وكان على « رالف » أن يعدل من قميصه مرة أخرى فى ذلك المساء ، لقد

كان بمقدور « بيجى » أن يفكر ، إذا كان باستطاعته الانتقال خطوة وراء خطوة فى داخل رأسه السمين ، كل ما هنالك أن « بيجى » لم يكن زعيماً ولكنه - برغم جسده المثير للضحك - كان يتميز بالذكاء والمقدرة العقلية . وكان « رالف » متخصصاً فى الفكر آنئذ ، وكان بمقدوره إدراك الفكر الذى يعتمل فى شخص آخر .

وذُكرته الشمس المنعكسة على عينيه بأن الوقت يمر بسرعة ؛ لذلك بادر إلى إنزال المحارة من فوق الشجرة وراح يفحصها ، لقد أدى تعرضها المستمر للهواء إلى تبييضها فأصبح اللون الأصفر الوردى قريباً من اللون الأبيض ومن الشفافية . وشعر « رالف » بنوع من الاحترام والتبجيل العاطفى نحو المحارة، برغم أنه هو الذى استخرجها من « اللاجون » بنفسه . . وواجه مكان الاجتماع ووضع المحارة على شفتيه .

وكان الآخرون فى انتظار هذا الإجراء فحضروا على الفور . فأولئك الذين كانوا يدركون أن سفينة قد مرت بالقرب من الجزيرة والنيران منطفئة - كانوا يشعرون بالقهر أو الخوف من غضب « رالف » أما أولئك الذين لم يدركوا ذلك الأمر - بما فيهم الأولاد الصغار - فكانوا متأثرين بجو الوقار والهيبة .

وامتلأ مكان الاجتماع على وجه السرعة . وكان « جاك » و « سيمون » و«موريس » ومعظم الصيادين على يمين « رالف » والباقى على يساره تحت الشمس ، وجاء « بيجى » ووقف خارج نطاق المثلث ، ودل هذا على أنه كان يرغب فى الاستماع بدون الاشتراك فى الكلام والمناقشة ، وقد تعمد «بيجى» تلك الحركة ؛ ليعبر عن عدم موافقته على الاجتماع .

- والمسألة هى : أننا فى حاجة إلى عقد اجتماع .

ولم يعلق أحد بأى كلام ، ولكن الوجوه التى التفتت نحو « رالف »

كانت تنظر فى اهتمام وتركيز شديدين ، ولوح « رالف » بالمحارة ، وكان قد أدرك من خلال الممارسة العملية أن العبارات الجوهرية التى تشبه تلك العبارة ينبغى أن تُقال مرتين على الأقل لكى يفهمها تماماً كل فرد من الحاضرين .

وينبغى للمرء أن يجلس جاذباً جميع الأنظار إلى المحارة ، ويلقى بالكلمات مثل الحجارة المستديرة الثقيلة بين المجموعات الصغيرة التى ربضت أو جلست القرفصاء . وراح يبحث فى ذهنه عن الكلمات البسيطة المبسطة لكى يتمكن الأولاد الصغار من فهم الأفكار التى يتناولها الاجتماع ، وقد يستخدم فيما بعد بعض المتمرسين فى الجدول والمناقشة من أمثال «جاك» و « موريس » و « بيجى » فنونهم وألاعيبهم لتشويه الاجتماع ، ولكن ينبغى من الآن ومن البداية جعل موضوع المناقشة واضحاً كل الوضوح .

– نحن بحاجة إلى عقد اجتماع ، ليس من أجل اللهو والتسلية ، وليس من أجل الانفجار فى الضحك والسقوط من فوق الكتلة الخشبية .

وعندئذ ضحك الأطفال الصغار الموجودون فوق الكتلة الخشبية التى «تلب » كالخيزران ، ونظربعضهم إلى بعض .

– اجتماع ليس من أجل القاء النكات المثيرة للضحك ، وليس من أجل . .

ثم رفع المحارة محاولاً العثور على الكلمة المقنعة المعبرة . . . ليس من أجل استعراض المهارة والذكاء ، وليس من أجل كل هذه الأمور ، ولكن من أجل أن نضع الأمور فى نصابها .

وتوقف للحظات .

– لقد كنت أفكر فى بعض الأمور بمفردى ، وأنا أعرف الأمور التى نحتاج إليها ، فنحن بحاجة إلى اجتماع لكى نضع الأمور فى نصابها ، وننظر إلى الأمور على حقيقتها تفادياً لسوء الفهم ، وهأنذا أتحدث إليكم أولاً وقبل كل شىء .

وتوقف عن الكلام لحظات قليلة ، ثم دفع بشعره للخلف بطريقة آلية وسار « بيجى » على أطراف أصابع قدميه نحو المثلث بعد أن انتهى احتجاجه غير الفعال ، وانضم للآخرين .

واستأنف « رالف » كلامه :

– ونحن نعقد اجتماعات كثيرة . . فكل شخص يسعد بالتحدث والوجود مع الآخرين ، ونحن نتخذ قرارات بشأن الأمور المختلفة ، ولكن القرارات لا تنفذ ؛ إذ سبق أن اتخذنا قراراً بإحضار المياه العذبة من الجدول المائى ووضعها فى قرعات جوز الهند المفرغة تحت الأوراق الخضراء ، وتم ذلك بالفعل على مدى أيام قليلة ، ولكن لا توجد الآن مياه فى قرعات جوز الهند ، وبدأ الناس يشربون من مياه النهر مباشرة .

فظهرت تمتمة مؤيدة لهذا الكلام .

– ولا أعنى بكلامى هذا أنه من الخطأ شرب الماء من النهر مباشرة ، فباستطاعة المرء الحصول بسرعة على الماء من ذلك المكان – كما تعرفون – من البركة التى يوجد عندها المسقط المائى ، وهذا أسرع من الحصول على الماء من قرعات جوز الهند القديمة ، كل ما هنالك أننا أصدرنا قراراً بضرورة إحضار الماء من النهر ووضعه فى القرعات ، ومع ذلك لا يوجد الآن ماء فى قرعات جوز الهند ؛ حيث لا يوجد هناك سوى قرعتين مملوءتين بالماء بعد

ظهر اليوم .

ولعق شفتيه واستطرد قائلا :

- ثم توجد هنالك الأكواخ ، وهى الأماكن التى تأوينا ونلوذ بها .

فظهرت التمتمة مرة أخرى ثم تلاشت .

- ومعظم الأولاد ينامون فى أكواخ ، وأنتم جميعاً سوف تنامون فى الأكواخ فى هذه الليلة إلا التوءمين : « سام » و « إريك » الموجودين هنالك عند النيران . فمن الذى شيد الأكواخ ؟

فتصاعد الصخب والضجيج على الفور ، فقد سبق أن شارك كل شخص فى بناء الأكواخ ، واضطر « رالف » إلى التلويح بسرعة بالمحارة .

- انتظروا قليلاً . . أنا أقصد : من الذى قام ببناء الأكواخ الثلاثة ؟ لقد اشتركنا جميعاً فى بناء الكوخ الأول ، واشترك أربعة منا فى بناء الكوخ الثانى ، وأنا و « سيمون » فقط قمنا ببناء الكوخ الثالث والأخير الموجود هنالك . وهذا هو السبب فى أن هذا الكوخ الثالث مترنح وآيل للسقوط للغاية لا . . لا تنخرطوا فى الضحك ، فذاك الكوخ قد ينهدم إذا انهمرت الأمطار مرة أخرى ، ونحن سنكون فى أشد الحاجة إلى هذه الأكواخ فى حالة الأمطار مرة أخرى .

وتوقف عن الكلام وسلك صوته :

- وهنالك شىء آخر : لقد اخترنا تلك الصخور الواقعة هناك وراء بركة الاستحمام كمرحاض ، وكان هذا الاختيار سليماً ؛ لأن المد والجزر يقوم بمهمة تنظيف هذا المكان ، وأنتم أيها الأطفال الصغار تعرفون ذلك جيداً .

فظهرت ضحكات مكتومة هنا وهناك كما ظهرت النظرات السريعة :

وأقول لكم إننى لاحظت أن الناس ـ على ما يبدو ـ يتبولون ويتبرزون فى أى مكان ، بل وبالقرب من الأكواخ والرصيف ، فأنتم أيها الأطفال الصغار تقضون حاجتكم على الفور إذا شعرتم بالرغبة الفجائية فى ذلك ، ويكون هذا أثناء حصولكم على الفواكه .

فانفجر الحاضرون فى ضحك كالزئير :

– وأنا أقول لكم إذا شعرتم فجأة بالرغبة فى التبول أو التبرز فعليكم بالابتعاد من مكان أشجار الفواكه ؛ لأن هذا الذى تفعلونه ينشر القاذورات .

فضج الحاضرون بالضحك مرة أخرى .

فأمسك بقميصه المتيبس الرمادى اللون وقال :

– فذلك حقا من الأمور القذرة ، إذا شعرتم بالرغبة فى قضاء الحاجة فسيروا على طول « البلاج » إلى أن تصلوا إلى الصخور . أتفهمون ؟

ورفع « بيجى » يديه للحصول على المحارة لكى يتكلم . . ولكن «رالف» هز رأسه رافضاً ، فهذه الخطبة كانت تسير وفق خطة ، وتتناول نقطة وراء نقطة .

– وينبغى لنا استخدام الصخور فى هذا الغرض مرة أخرى ؛ لأن المكان الذى نعيش فيه بدأت تظهر فيه القاذورات .

وتوقف عن الكلام ، وأحس الحاضرون بقرب ظهور الأزمة ، فراح الجميع يرقبون الموقف فى توتر شديد :

- وبعد هذا نصل إلى موضوع النيران .

وترك « رالف » أنفاسه تخرج لاهثة ، فقلده المستمعون وصدرت عنهم أنفاس لاهثة ، وبدأ « جاك » يقطع ويكسر قطعة صغيرة من الخشب بسكينته ، ثم همس ببعض الكلام فى أذن « روبيرت » الذى أشاح بوجهه بعيداً :

- النيران هى أهم شىء بالجزيرة على الإطلاق . . فكيف يمكننا أن ننقذ حياتنا إذا لم نحرص على استمرار النيران فى الاشتعال ؟ بالطبع هناك احتمال فى أن يتم إنقاذنا بدون أن نشعل النيران ، وذلك عن طريق المصادفة البحتة أو الحظ ، ولكن لا ينبغى أن نعتمد على المصادفات ، فهل النيران عبء ثقيل علينا للغاية بحيث لا نشعلها ؟

ونشر ذراعيه قائلا :

- انظروا إلى عددنا الكبير ! كم عددنا ! ومع ذلك فنحن لا نحرص على دوام اشتعال النيران من أجل الحصول على الدخان ، ألا تفهمون ؟ ألا تدركون أننا كنا فى عداد الأموات قبل أن نشعل النيران ؟ .

وتعالت قهقهة عالية خجولة بين الصيادين ، فهاجمهم « رالف » فى غضب وانفعال .

- أنتم أيها الصيادون يمكنكم أن تضحكوا !

ولكنى أقول لكم إن الدخان أكثر أهمية من الخنزير مهما قمتم بقتل خنزير من وقت لآخر ، هل تفهمون جميعاً ؟

ونشر يديه فى اتساع كبير والتفت نحو المثلث بأكمله :

- إما أن نحرص على إطلاق الدخان هنالك فوق الجبل ، وإما أن نموت .

وتوقف عن الكلام باحثاً فى ذهنه عن النقطة التالية :

- وهناك شىء آخر .

فصاح شخص ما :

- هناك أشياء كثيرة للغاية .

وظهرت تمتمات من الحاضرين بالموافقة ، فتجاهل « رالف » هذه التمتمات :

- وهنا شىء آخر . . نحن نكاد نشعل الجزيرة كلها بالنيران . . فنحن نضيع الوقت وندحرج الصخور ، ونصنع مواقد صغيرة للطهى . . والآن أقول لكم بصفتى زعيماً ورئيساً : لن نشعل النيران فى أى مكان ، وإنما فوق الجبل فقط ، ونشغلها فوق الجبل باستمرار .

فظهر على الفور التوبيخ والشجار ، ونهض بعض الأولاد واقفين وصاحوا ، وصاح « رالف » رداً عليهم .

- لأنكم إذا كنتم تريدون إشعال نيران لكى تطهوا عليها أسماكاً أو سراطين يمكنكم الصعود فى ابتهاج إلى الجبل . ومن المؤكد أننا سنتفق على هذا الأسلوب .

وكانت الأيدى تمتد للحصول على المحارة تحت ضوء الشمس الهابطة وراء الأفق ، ولكنه استمر ممسكاً بالمحارة ، وقفز فوق جذع الشجرة .

- كل هذه النقاط أردت تناولها ، ولقد قبلتها الآن ، وأنتم قد

انتخبتمونى رئيساً ، وعليكم الالتزام الآن بتنفيذ ما أقوله لكم .

فسرى الهدوء بينهم تدريجياً ، وجلسوا أخيراً مرة أخرى . وهدأ « رالف » وتحدث بصوته العادى :

- لذلك تذكروا دائماً استخدام منطقة الصخور كمرحاض ، وإشعال النيران باستمرار حتى ينطلق الدخان كإشارة تدل على وجودنا هنا ، ولا تأخذوا النيران من الجبل ، وخذوا طعامكم إلى هناك فوق الجبل .

ووقف « جاك » مغطياً وجهه فى هذا المكان المعتم ورفع يديه قائلاً .

- أنا لم أنته من كلامى .

- ولكنك قد تحدثت وتحدثت طويلا !

- أنا مازلت ممسكاً بالمحارة .

فاضطر « جاك » إلى الجلوس مزمجراً .

- وآخر موضوع أتطرق إليه هو الموضوع الذى يمكن أن يتناوله الناس وانتظر إلى أن أصبح الرصيف صامتاً تماماً .

- إن الأمور آخذة فى التدهور ، ولست أدرى السبب فى ذلك ، فلقد بدأنا بداية طيبة ، وكنا سعداء ، ولكن بعدئذ . .

وحرك المحارة فى رفق وهو ينظر إلى الظلام الممتد وراءهم متذكراً الوحش والثعبان والنيران والحديث عن الخوف .

- وبعدئذ بدأ الأولاد يشعرون بالخوف .

فتصاعدت موجات من التمتمة التى تصل إلى حد الأنين والنواح ثم

تلاشت . وكان « جاك » قد توقف عن الانضواء بالهم والقلق . واستطرد «رالف » فجأة :

- ولكن ذلك الكلام الذى يردده الأولاد الصغار . . سوف ندخل فى هذا الموضوع بصراحة وبدون مواربة ؛ ولذلك فإن النقطة الأخيرة - وهى الموضوع الذى يشغل بالنا جميعاً - تتعلق بالقضاء على الخوف .

وكان الشعر آخذاً فى الزحف على عينيه مرة أخرى .

- لذلك ينبغى لنا أن نتناول موضوع الخوف ، وأقول لكم إن هذا الخوف يرتكز على أسس واهية ، أنا شخصياً أشعر بالخوف أحياناً ، ولكن هذا كله هراء وحماقة تافهة ! مثل الغول والبعبع ، وإذا كان الخوف من الخيالات الكاذبة فإنه ينبغى أن نبدأ صفحة جديدة ونركز على الأمور الهامة ، مثل إشعال النيران .

ورفرفت فى داخل ذهنه صورة لثلاثة أولاد كانوا يسيرون على « البلاج » المشرق . فأضاف :

- ونشعر بالسعادة . .

وبطريقة رسمية وشعارية وضع « رالف » المحارة على جذع الشجرة بجواره - كدليل على أن كلامه قد انتهى . وكان أى ضوء للشمس يصل إليهم فى تلك الآونة يتخذ شكلاً مستوياً مسطحاً .

ووقف « جاك » وأمسك بالمحارة :

- إذا كان هذا الاجتماع من أجل الكشف عن بواطن الأمور فأنا سأتحدث إليكم بكل صراحة : أنتم أيها الأطفال الصغار الذين بدأتم فى التحدث عن كل هذا وقلتم كلاماً يتعلق بالخوف ، والوحش ! من أين

تجيء الوحوش ؟ بالطبع نحن نشعر بالخوف فى بعض الأحيان ، ولكننا نتحمل هذه المخاوف ونصبر عليها ، ولكن « رالف » يقول : إنكم تصرخون فى الليل ، وهذا معناه أنكم تتعرضون للكابوس لا أكثر ولا أقل ، وعلى كل حال فأنتم لا تقومون بالصيد أو البناء أو المساعدة فى أى شىء ، فأنتم بمثابة مجموعة من الأطفال الرضع المنخرطين فى البكاء دائماً ، أما بالنسبة للخوف الذى يجتاحكم فإنه ينبغى أن تتحملوه وتصبروا عليه مثل باقى الأولاد الآخرين .

ونظر« رالف » إلى « جاك » فاغراً فاه ، ولكن « جاك » لم يلحظ ذلك .

– والمسألة هى أن الخوف لن يؤذيكم على نحو يفوق الأذى الناجم عن الأحلام ، إذ لا توجد وحوش مخيفة على هذه الجزيرة .

ونظر إلى صف الأطفال المتهامسين :

– وأنتم أيها الأطفال الصغار إذا وقعتم فريسة لأى وحش فأنتم تستحقون ذلك ؛ لأنكم أطفال عديمو الفائدة ، ودائمو البكاء ، ولكن لا يوجد فى هذه الجزيرة أية حيوانات ..

فقاطعه « رالف » فى مشاكسة :

– ما هذا كله ؟ ومن الذى قال أى كلام عن وجود حيوان ؟

– أنت قلت هذا الكلام منذ أيام قليلة ، وقلت إنهم يحلمون ويبكون بصوت مرتفع ، والآن فهم يتحدثون عن هذا الموضوع ، بل ويتحدث الكبار أيضاً عن ذلك ، ولكن الصيادين التابعين لى يتحدثون أحيانا عن شىء ما . . شئ أسود قاتم . . عن وحش . . عن نوع ما من الحيوان ، ولقد سمعت ذلك القول ، وأنت تعتقد أنك لم تسمع عن ذلك ، ألم تسمع عن

ذلك ؟ والآن استمعوا إلى : لا توجد حيوانات كبيرة تعيش فى الجزر الصغيرة . . لا يوجد سوى الخنازير ، أما الأسود والنمور فتوجد فى البلاد الكبيرة الشاسعة مثل إفريقيا والهند ، وفى حديقة الحيوان .

– إننى ممسك بالمحارة . . وأنا لا أتحدث عن الخوف ، وإنما أتحدث عن الوحش . يمكنكم أن تشعروا بالخوف كما يحلو لكم . . أما بالنسبة للوحش . . وتوقف « جاك » عن الكلام محتضناً المحارة ، والتفت إلى الصيادين التابعين له ، المرتدين الطاقيات القذرة السوداء اللون .

– أأنا صياد أم لا ؟

فأومئوا برءوسهم بكل بساطة ، فقد كان صياداً حقا . . ولم يشك أحد فى ذلك .

– حسناً لقد تجولت فى جميع أرجاء هذه الجزيرة ، وبمفردى ، فلو كان هناك وحش لكنت قد شاهدته ، إنكم تشعرون بالخوف لأنكم تحبون ذلك . . ولكن الغابة لا توجد بها أية وحوش .

ثم أعاد « جاك » المحارة إلى « رالف » وجلس ، وصفق له جميع الحاضرين فى ارتياح . . ثم رفع « بيجى » يده .

– لا أوافق على كل ما قاله « جاك » وإنما أوافق على بعض النقاط فقط ، بالطبع لا يوجد وحش فى الغابة . . فكيف يمكن أن يكون هناك وحش بالغابة ؟ وما هى الأشياء الموجودة فى الغابة ، والتى يمكن أن يأكلها الوحش ؟

– يمكنه أن يأكل الخنازير .

- نحن الذين نأكل الخنازير .

- يا « بيجى » !

فقال « بيجى » فى استياء :

- إننى ممسك بالمحارة .

واستطرد :

- يا « رالف » . . ينبغى أن يكفوا عن الكلام ويخرسوا . أليس كذلك ؟ اخرسوا أيها الأطفال الصغار ! إن ما أقصد إليه هو أننى لا أوافق على هذا الخوف الموجود هنا . بالطبع لا يوجد شىء فى الغابة مخيف ، فأنا بنفسى قد ذهبت إلى الغابة ولم أشاهد شيئاً ، وأنتم بعد ذلك قد تتحدثون عن الأشباح وأشياء من هذا القبيل ، ونحن نعرف ما يحدث فى هذه الجزيرة ، وإذا ظهر هناك خطأ فإنه يتصدى شخص ما ويصحح الأمور .

وخلع نظارته وبدأ يرمش وهو ينظر إليهم ، وكانت الشمس قد ولت ، وكأنما قام شخص ما بإطفاء الأنوار .

واستطرد شارحاً وجهة نظرة :

- إذا حدثت لكم آلام فى البطن - سواء أكان البطن صغيراً أم كبيراً . .

- إن بطنك كبير .

- من المؤكد أن اللجوء للضحك يعطل الاجتماع ويعرقله ، وإذا صعد الأطفال الصغار مرة أخرى كتلة الخشب اللولبية فإنهم سيقعون على الأرض مرة ثانية ؛ لذلك ينبغى لهم الجلوس على الأرض والإصغاء . . لا، وأنتم لديكم العلاج لكل شىء ، بل العلاج لما يدور فى داخل عقولكم . وأنتم لا

تهدفون حقاً إلى أن نشعر بالخوف طوال الوقت من شيء لا وجود له ؛ فالحياة . واستطرد « بيجى » يقول فى شيء من التوسع :

- فالحياة لها الطابع العلمى الآن ، وهذه حقيقة واقعة ، ففى خلال عام أو عامين عندما تنتهى الحرب سيسافر الناس إلى كوكب المريخ ويعودون منه فى رحلات مستمرة ، وأنا أدرك جيداً أنه لا توجد أية وحوش . . لا توجد وحوش لها مخالب وأشياء من هذا القبيل . . كما أدرك أيضاً أنه لا توجد أية مخاوف .

وتوقف « بيجى » عن الكلام .

- إلا إذا . .

فتحرك « رالف » فى قلق ؟

- باستثناء ماذا ؟

- إلا إذا كنا نخاف من الناس .

فتصاعدت أصوات تجمع ما بين الضحك والسخرية بين الأولاد ، فأحنى « بيجى » رأسه ، واستطرد على وجه السرعة :

- لذلك هيا بنا نستمع إلى ذلك الطفل الصغير الذى سبق أن تحدث عن وجود وحش ، وربما يكون بمقدورنا أن نوضح له كيف أنه ساذج وأبله . .

وهنا بدأ الأطفال الصغار يثرثرون بكلام غير واضح فيما بينهم . . وبعدئذ تقدم أحدهم للأمام . .

- ما اسمك ؟

- فيل .

وبرغم أنه كان طفلاً صغيراً فإنه كان يتميز بالثقة فى نفسه وهو يمد يديه

ويحتضن المحارة مثلما يفعل « رالف » ، وينظر فيما حوله وإليهم ليجذب انتباههم قبل التحدث إليهم . .

- فى الليلة الماضية رأيت حلماً . . حلماً مخيفاً ، حيث كنت أقاتل وأتصارع مع بعض الأشياء ، وكنت موجودًا خارج الكوخ بمفردى وأتصارع مع الأشياء . . مع تلك الأشياء الملتوية التى توجد على الأشجار .

وتوقف عن الكلام وضحك الأطفال الصغار الآخرون فى تعاطف مملوء بالخوف .

- وبعدئذ تملكنى الرعب ثم استيقظت ، وبعدئذ خرجت من الكوخ بمفردى إلى الظلام ، واكتشفت أن الأشياء الملتوية قد انصرفت .

وهبط الصمت المطبق عليهم جميعاً بسبب الرعب الشديد الذى يكتنف هذا المشهد ؛ لأنه مشهد محتمل الحدوث للغاية ومثير للخوف العميق ، واستمر صوت الطفل الصغير فى نغمة حادة رفيعة منطلقة خلف المحارة البيضاء :

- وتملكنى الرعب ، وبدأت أنادى « رالف » ، وبعدئذ شاهدت شيئاً ما يتحرك بين الأشجار ، وكان شيئاً ضخماً ومريعاً .

وتوقف عن الكلام بعد أن تملكه شىء من الرعب وهو يستعيد ما حدث ، إلا أنه كان فخوراً بالأحاسيس التى كان يخلقها .

فقال « رالف » :

- لقد كان ذلك كابوساً ، فقد كان يسير أثناء نومه .

وتمتم الحاضرون موافقين فى نوع من القهر ، وهز الطفل الصغير رأسه فى عناد .

– لقد كنت نائماً عندما كانت الأشياء الملتوية تقاتل ، وعندما ذهبت واختفت كنت مستيقظاً . . وأثناء يقظتى شاهدت شيئاً ضخماً ومريعاً يتحرك بين الأشجار . .

ورفع « رالف » يديه طلباً للمحارة ، فجلس الطفل الصغير :

– لقد كنت أنت نائماً ولم يكن يوجد هنالك أى شخص ، فكيف يستطيع أى شخص أن يتجول فى الغابة ليلاً ؟ أكان هناك أحد يتجول ليلاً؟ هل خرج أى شخص أثناء الليل ؟

وكانت هناك فترة صمت طويلة ، فى حين ابتسم الحاضرون عندما تخيلوا خروج شخص ما فى الظلام . . وبعدئذ وقف « سيمون » فنظر إليه «رالف » فى دهشة .

– أنت ؟! ولأى شىء كنت تتجول فى الظلام ؟

فأمسك « سيمون » بالمحارة بشىء من التشنج .

– لقد كنت أريد الذهاب إلى مكان ما . . مكان أعرفه .

– وما هو ذلك المكان ؟

– مجرد مكان أعرفه . . وهو مكان موجود فى الغابة .

وأصابه التردد .

وحسم « جاك » المسألة بالنسبة لذلك الازدراء الذى ظهر فى صوته متخذا طابع الفكاهة الشديدة والحسم القاطع .

– لقد كان يرغب فى التبرز .

وشعر « رالف » بالخزى نيابة عن « سيمون » وأخذ من « سيمون » المحارة

وهو ينظر إليه فى قسوة صارمة .

– حسناً لا تعد إلى هذا الفعل مرة أخرى . . أتفهمنى ؟ ليس بالليل ، فهناك قدر كبير من الكلام السخيف عن الوحوش بدون أن يراك الأطفال الصغار وأنت تنسل مثل . .

وتصاعد ضحك ساخر ممزوج بالخوف والإدانة . . وفتح « سيمون » فمه لكى يتكلم ، ولكن « رالف » كان ممسكاً بالمحارة ؛ ولذلك رجع عائداً إلى مقعده . وعندما خيم الصمت مرة أخرى على الاجتماع التفت « رالف » نحو « بيجى » .

– حسناً . . « بيجى » ؟

– كان هناك شخص آخر .

ودفع الأطفال الصغار « برسيفال » للأمام ثم تركوه بمفرده ، فوقف غاطساً فى العشب الموجود فى الوسط إلى ركبتيه ، وراح ينظر إلى قدميه المختفيتين تحت العشب ، محاولاً التظاهر بأنه موجود فى خيمة . وتذكر «رالف » ولداً صغيراً آخر كان قد وقف بنفس هذه الطريقة ، وجفل هارباً من الذكرى ، وكان قد دفع بالفكرة بحيث تكون بمنأى عنه ، وبحيث لا يخرجها إلى السطح سوى مذكر إيجابى مثلا هذا . ولم تتم إحصاءات أخرى للأطفال الصغار ؛ لأنه لم تكن هناك وسيلة تضمن الاهتمام بهم جميعاً ، ولأن « رالف » كان يعرف الإجابة عن سؤال واحد على الأقل كان قد وجهه «بيجى » فوق الجبل . لقد كان هناك أطفال صغار شقر ووجوههم مكفهرة ومملوءة بالنمش ، وكلهم أقذار ، إلا أن وجوههم جميعاً كانت خالية من التشوهات الكبيرة ، ولم يكن أحد قد شاهد الولد الصغير الذى توجد فى

بشرته علامة فى لون ثمرة التوت ، وأومأ « رالف » لـ « بيجى » وهو يعترف فى صمت أنه يتذكر مالا يصح ذكره :

- تقدم ، واسأله .

وركع « بيجى » ممسكاً بالمحارة .

- والآن ، قل لنا ، ما اسمك ؟

وتلوى الولد الصغير فى داخل خيمته . . فاستدار « بيجى » فى يأس نحو « رالف » . . فتساءل « رالف » فى حدة :

- ما اسمك ؟

وتضايق المجتمعون من الصمت والرفض فانفجروا ينشدون أغنية :

ما اسمك ؟ ما اسمك ؟ ما اسمك ؟

- الزموا الهدوء !

وحملق « رالف » فى الطفل تحت ضوء الشفق الأحمر :

- والآن ، قل لنا ما اسمك ؟

- اسمى برسيفال ويمز ماديسون . الفيكارج ، شارع هاركوت ، أنتونى، هانتى ، تليفون .

وبكى الطفل الصغير كما لو أن هذه المعلومات كانت ممتدة الجذور لمسافات بعيدة كما لو أن هذه المعلومات كانت ممتدة الجذور لمسافات بعيدة فى ينابيع الحزن والأسى . وتغضن وجهه وقفزت الدموع من عينيه ، وانفتح فمه تدريجياً إلى أن أصبح بمقدورهم مشاهدة فتحة سوداء مربعة الشكل

تقريباً .

وكان فى بادىء الأمر بمثابة تمثال صامت من الأسى والحزن ، ولكن بعدئذ تصاعد العويل والبكاء من جوفه عالياً ومتواصلاً مثل المحارة .

- اخرس أيها الولد ! اخرس !

ولم يتوقف برسيفال ويمز ماديسون عن البكاء ، فقد تفجر ينبوع بعيد تماماً عن متناول السلطات ، بل وبعيد عن التخويف المادى الجسمانى ، وتواصل الصراخ نفساً وراء نَفَس وبدا الأمر وكأن البكاء يسانده ويثبت أقدامه ، وكأنما هو قد أصبح مستمراً فى البكاء .

- اخرس ! اخرس !

ولم يعد الأولاد الصغار ملتزمين بالصمت بعد أن تذكروا آلامهم وأحزانهم الشخصية ، وربما وجدوا أنفسهم يشاركون فى حزن له طابع العمومية والشمول ، فبدءوا يبكون فى تعاطف ، وكان اثنان منهما يبكيان بنفس الحدة التى يبكى بها برسيفال . .

وأنقذهم « موريس » مما هم فيه ، إذ صاح فى وجوههم :

- انظروا إلى . . ؟

وتظاهر بأنه يتعرض للسقوط والوقع على الأرض . ودعك ردفه وجلس على القرمة اللبلابة ، بحيث وقع على العشب ، ومثل دور المهرج بشكل غير متقن ، ولكن « برسيفال » والآخرين أخذوا يرقبونه ، وبدءوا يشنون ويضحكون ، وسرعان ما انخرط جميع الأطفال الصغار فى ضحك هستيرى ، مما جعل الأولاد الكبار يشتركون معهم فى الضحك .

وكان « جاك » هو أول من تمكن من توصيل صوته للآخرين ، ولم يكن قد حصل على المحارة ، وبذلك فقد تكلم بدون مراعاة للقواعد والقوانين ، ولكن أحداً لم يهتم بخروجه على القانون .

– ما هى حكاية ذلك الوحش ؟

وكان هناك شيء غريب يعتمل فى أعماق « برسيفال » فتثاءب وترنح ، مما جعل « جاك » يمسك به ويهزه :

– أين يعيش الوحش ؟

وارتخى « برسيفال » متدلياً من قبضة « جاك » .

وقال « بيجى » ساخراً :

– من المؤكد كان ذلك الوحش ماهراً وذكياً ؛ لأنه قد تمكن من التخفى فى الجزيرة .

– لقد تجول « جاك » فى كل مكان بالجزيرة .

– أين يمكن أن يعيش الوحش ؟

وتمتم « برسيفال » ببضع كلمات ، فضج الإجماع بالضحك مرة أخرى . وانحنى « رالف » للأمام .

– ماذا يقول ؟

وأنصت « جاك » لإجابة « برسيفال » ثم أطلق سراحه وتحرر « برسيفال » من قبضة « جاك » وأحاط به الآدميون ، فشعر بوجودهم المريح حوله . ثم سقط فوق العشب الطويل وذهب للنوم .

وسلك « جاك » صوته ، ثم قال بطريقة عرضية وفى غير اكتراث :

- إنه يقول إن الوحش يخرج من البحر .

وتلاشت الضحكة الأخيرة والتفت « رالف » لا إراديا . شبح أسود له سنام فى مواجهة « اللاجون » . ونظر الأولاد بدورهم وأمنعوا النظر فى الامتداد الشاسع للمياه ، ونحو البحر العالى وراءها ، سمعوا فى صمتٍ الحفيف والهمس المترامى من الشعاب المرجانية .

وتكلم « موريس » بصوت مرتفع للغاية ، حتى إنهم جفلوا جميعاً وقفزوا فى أماكنهم :

- لقد قال والدى : إنه لم يتم بعد اكتشاف ومعرفة جميع الحيوانات الموجودة فى البحر .

وبدأت المناقشات مرة أخرى . وقدم « رالف » المحارة اللامعة ، فأمسك بها « موريس » فى طاعة وامتثال ، وهدأ الاجتماع وساده الصمت :

- أقصد أنه عندما يقول « جاك » : إنه يمكنكم أن تخافوا لأن الناس يشعرون بالخوف على أية حال ، وبأى شكل من الأشكال ، فإن كلامه هذا سليم ولا غبار عليه ، ولكنه عندما يقول إنه لا يوجد بالجزيرة سوى الخنازير فقط ، فإننى أعتقد أنه من المحتمل أن يكون كلامه صحيحاً ، وهو قد يكون غير متأكد تماماً مما يقول . .

وأخذ « موريس » نَفَساً عُميقاً واستطرد :

- فوالدى يقول إن هناك أشياء مثل تلك التى تفرز الحبر ، وهى التى يسمونها ، وتسمونها الصبار أو « السبيدج » وهى حيوانات بحرية يبلغ

طولها مئات الياردات ، وتأكل الحيتان .

وتوقف عن الكلام مرة أخرى ، وضحك فى ابتهاج واستطرد :

- وأنا بالطبع لا أومن بوجود وحش . . وكما يقول « بيجى » فإن الحياة أصبح لها الطابع العلمى ، ولكننا لا ندرك ذلك ، أليس كذلك ؟ ليس بالتأكيد ، أقصد . .

وصاح شخص ما :

- ولكن حيوان « السبيدج » لا يستطيع الخروج من الماء .

- يستطيع !

- لا يستطيع !

وفى لحظات أصبح الرصيف يموج بالجدل والمناقشات وبالظلال الناجمة عن التلويح بالأيدى ، وكان « رالف » جالساً ، فبدا له هذا المنظر كأنه بداية لتصدع الاتزان وتدهور العقل السليم ، إذ ساد الخوف والكلام عن الوحوش ، بالإضافة إلى عدم وحجود اتفاق عام على أن اشتعال النيران هو أهم الأمور على الإطلاق ، فعندما حاول أحدهم النظر فى هذا الأمر على حقيقته تفادياً لسوء الفهم انحرفت المناقشة ، ونجمت عنها مسألة أخرى جديدة غير سارة .

واستطاع « رالف » مشاهدة لون أبيض فى العتمة القريبة منه ، فانتزعها فى عنف من يد « موريس » وراح ينفخ فيها بكل قوته . فخيم الصمت المطبق على الاجتماع ، وكان « سيمون » قريبا من « رالف » ، وكان يضع يده على المحارة وأحس « سيمون » برغبة ملحة محفوفة بالمخاطر فى التكلم ، غير

أن التحدث فى أى اتجاه اجتماعى كان أمراً مخيفاً بالنسبة له .

فقال فى تردد :

- ربما . . ربما يكون هناك وحش .

فصاح المجتمعون فى همجية وفوضى ، فوقف « رالف » وقد اعترته الدهشة :

- أنت يا « سيمون » ؟ أتعتقد فى هذا ؟

فقال « سيمون » :

- لا أدرى . .

وكانت ضربات قلبه تدق بعنف . . واستطرد :

- ولكن . .

هبت العاصفة :

- اجلس !

- اخرس !

- خذ المحارة ؟

- أنت منحرف

- اخرس !

فصاح « رالف » :

استمعوا له ، فالمحارة معه ؟

- إننى أعنى بكلامى أن الوحش قد يكون مجرد فرد منا .

- إنسان مخبول !

وكان ذلك من « بيجى » الذى صدم بسبب اللباقة والذوق . . واستمر «سيمون » قائلا :

- فنحن يمكن أن نكون نوعاً من . .

وأصبحت مخارج الألفاظ لدى « سيمون » غير واضحة أثناء بذل الجهد للتعبير عن المرض الرئيسى للجنس البشرى .

وجاءه الإلهام :

- ما هو أقذر شئ موجود ؟

وكإجابة أُلقى « جاك » فى السكون غير الشامل الذى أعقب التساؤل الجاف المعبر ، وكان عدم الالتزام هائلاً ، فأولئك الأطفال الصغار الذين كانوا قد صعدوا إلى القرمة الخشبية اللبلابة سقطوا عنها مرة أخرى دون أى اكتراث ، وكان الصيادون يصرخون فى ابتهاج .

وسقطت جهود « سيمون » حوله فى إحكام ، وطعنته الضحكات فى قسوة ، فارتد إلى مقعده بدون حماية .

وأخيراً ساد الصمت الاجتماع مرة أخرى ، وتكلم شخص ما بدون الالتزام بالترتيب الصحيح :

- ربما هو يقصد أن الشىء الذى شاهده هو نوع من الأشباح .

فرفع « رالف » المحارة وحملق فى الظلام . . وكان « البلاج» الشاحب هو

أقل الأماكن ظلمة ، ومن المؤكد أن الأطفال الصغار كانوا أكثر قرباً . نعم .. لم يكن هناك شك فى ذلك ، إذ كانوا محتشدين فى عقدة ضيقة من الأجسام موجودة فى وسط العشب ، وهبت ريح خفيفة ، مما جعل أشجار النخيل بدت وكأنها تتكلم ، وبدت الضجة عالية للغاية ؛ لأن الظلام والصمت جعلاها واضحة للغاية .

وكان جذعان رماديان يحتك أحدهما بالآخر ويحدثان صريراً حاداً ، وهو صوت لم يسبق لهم أن لاحظوه من قبل بالنهار .

وأخذ « بيجى » المحارة من يدى « رالف » ، وكان صوته مملوءاً بالسخط :

– وأنا لا أومن بوجود الأشباح على الإطلاق .

ووقف « جاك » على قدميه هو الآخر ، وكان غاضباً غضباً لا يمكن تفسيره أو تعليله .

– ومن الذى يهتم بما تعتقده يا « فاتى » ؟!

– المحارة معى .

وكان هناك صوت تصارع ومشادة خفيفة ، حيث كانت المحارة تتحرك جيئة وذهاباً .

– أعدْ إلى المحارة !

فاندفع « رالف » بينهما وحصل على ضربة مكتومة فوق صدرة ، وتصارع إلى أن انتزع المحارة من شخص ما ، ثم جلس لاهثاً .

– هناك كلام كثير للغاية عن الأشباح ، وينبغى أن نؤجل الكلام عن الأشباح لحين ظهور ضوء النهار .

فقال شخص ما بصوت هادئ :

– ربما كان هذا الوحش مجرد شبح ؟

واهتز الاجتماع كما لو كان قد هزته رياح .

وقال « رالف » :

– هناك أشخاص كثيرون يتكلمون بدون الالتزام بالترتيب الصحيح ، حيث لا يلتزمون بالدور فى التحدث . . ولا يمكننا أن نعتقد اجتماعات سليمة إذا لم يلتزم كل شخص بالقواعد والقوانين .

ثو توقف عن الكلام مرة أخرى ، لقد انهارت الخطة الدقيقة التى وضعها لهذا الاجتماع .

ماذا تريدون منى أن أقول لكم ؟ لقد وقعت فى الخطأ بالدعوة لهذا الاجتماع فى وقت متأخر للغاية ، ولسوف ندلى بأصواتنا بشأن الأشباح ثم نذهب بعدئذ إلى الأكواخ ؛ لأننا جميعاً نشعر يالتعب والإرهاق . لا يا «جاك » انتظر قليلاً ، إننى سأقول هنا ، والآن إننى لا أؤمن بوجود الأشباح ، أو لا أعتقد أننى أومن بالأشباح ، ولكنى لا أحب التفكير فى الأشباح أو الاهتمام بها ، وخاصة فى هذا الظلام ، لقد كنا بصدد الإدلاء بأصواتنا بشأن الأشباح .

ورفع المحارة للحظات .

– حسناً إذن ، أعتقد الآن أن التساؤل سيدور عما إذا كانت هناك أشباح

أم لا .

وفكر للحظات فى وضع صيغة السؤال :

- من منكم يعتقد بأنه قد توجد هناك أشباح ؟

فساد الصمت لفترة طويلة ، ولم تظهر أية حركات واضحة ، وبعدئذ حملق « رالف » فى الظلمة ، وتبين الأيدى ، ثم تكلم فى صراحة :

- أنا أدرك جوانب الموقف .

فالعالم ، ذلك العالم المطيع للقوانين الواضح الذى يمكن المرء أن يفهمه كان ينزلق بعيداً ، فى يوم ما كان هناك هذا وذاك ، والآن والسفينة قد ذهبت

وانْتُزِعتْ المحارة من يديه ودوى صوت « بيجى » حاداً وثابتاً .

- ولا تنسوا أنتم جميعا ذلك . .

وسمعوه وهو يدق بقدميه بقوة على الأرض :

- ما نحن ؟ آدميون ؟ أو حيوانات ؟ أو همجيون ؟ ما هى أفكار الأولاد الكبار بيننا ؟ أهى مجرد الانطلاق ، وصيد الخنازير ، وترك النيران حتى تخمد ، والآن !

- اخرس أيها الولد الكسلان السمين !

وكانت هناك لحظات من المقاومة وتراقصت المحارة اللامعة لأعلى ولأسفل . . فقفز « رالف » واقفاً على قدميه :

يا « جاك » ! جاك ! أنت لم تحصل على المحارة . . دعه يتكلم ؟

وسمع « جاك » بالقرب منه :

– واخرس أنت أيضاً . . فمن تكون أنت ؟ مجرد إنسان جالس هناك يخبر الناس بما ينبغى أن يفعلوه، بل إنك لا تستطيع القيام بأعمال الصيد ولا الغناء .

– أنا الرئيس . لقد تم اختيارى رئيساً .

– لا ينبغى أن يترتب على هذا الاختيار أية خوارق أو تميزات ؟ فأنت لا تفعل سوى إعطاء الأوامر التى ليس لها أى معنى . .

وحصل « بيجى » على المحارة :

– وهو كذلك . . أنت تجامل « بيجى » كما تفعل دائماً .

– وجاك !

فقال « جاك » فى محاكاة ساخرة مرة :

– « جاك » ! « جاك » !

فصرخ « رالف » الزم القواعد ! أنت تكسر القواعد والقوانين .

– ومن يهتم بذلك ؟

واستخدم « رالف » وذكاءه :

– لأن القوانين والقواعد هى الشئ الوحيد الذى نملكه !

غير أن « جاك » استمر فى الصياح والانفجار ضده :

– فلتسقط القوانين ! نحن أقوياء ! نحن نقوم بأعمال الصيد ! فإذا كان هناك وحش فسنقوم بأصطياده على الفور ! سنطبق عليه ونشبعه ضرباً

وضرباً وضرباً .

وهتف فى وحشية وقفز هابطاً فوق الرمل الشاحب .

وعلى الفور ضج الرصيف بالضوضاء والإثارة والتدافع فى ذعر وعلت الصرخات والضحكات ، وتمزق الاجتماع وأصبح الكلام ينتقل من موضوع لآخر ، وتبعثر الناس عشوائياً ما بين أشجار النخيل والمياه ، بل على طول الساحل بعيداً عن مقدرة الإبصار ليلاً ، وأدرك « رالف » أن خده يلامس المحارة ، فأخذها من « بيجى » .

وصاح « بيجى » مرة أخرى :

- ماذا سيقوم الأولاد الكبار ؟ انظر إليهم !

وكان صوت محاكاة الصيد والضحك الهستيرى والرعب الحقيقى يجىء من ناحية « البلاج » .

- انفخ فى المحارة يا « رالف » .

وكان «بيجى » قريباً للغاية ، حتى إن « رالف » استطاع مشاهدة وميض عدسة نظارته .

- هنالك توجد النيران . . ألا يبصرون ؟

- ينبغى أن تكون قاسياً وعنيفاً الآن . أرغمهم على تنفيذ ما تريد . فقال « رالف » بصوت يشبه صوت رجل حذر يكرر نظرية :

- إذا قمت بالنفخ فى المحارة ولم يعودوا فلن نتمكن من الإبقاء على النيران مشتعلة ، ونصبح مثل الحيوانات ، ولن تنقذ حياتنا على الإطلاق .

- ولكنك إذا لم تنفخ فى المحارة فإننا سرعان ما سنصبح حيوانات على

كل حال ، إننى لا أشاهد ما يفعلونه ، ولكننى أستطيع سماعهم .

وكانت المجموعات المتفرقة قد تقاربت مع بعضهما البعض فوق الرمال ، وأصبحت كتلة سوداء كثيفة تدور حول محور ، وكانوا ينشدون أغنية ما ، وكان الأولاد الصغار قد تشبعوا فراحوا يترنحون بعيداً ويعوون . . ورفع «رالف » المحارة إلى شفتيه ثم أنزلنا :

- المشكلة يا « بيجى » هى : هل توجد أشباح أو وحوش ؟

- بالطبع لا توجد أشباح ولا وحوش .

- ولم لا ؟

- لأن الأشياء لن يكون لها معنى ، فالمنازل والشوارع والتليفزيون كل هذه الأشياء سيتعذر استخدامها .

وكان الأولاد المنخرطون فى الرقص والغناء قد أرهقوا أنفسهم للغاية إلى أن أصبحت الأصوات الناجمة عنهم مجرد إيقاع خالٍ من الكلمات .

- ولكن لنفترض أن الأشياء لن يكون لها معنى ، أليس هنا على هذه الجزيرة ؟ ونفترض أن هناك كائنات تنظر إلينا وهى فى حال من الترقب والانتظار . .

وارتعد « رالف » فى عنف وتحرك مقترباً من بيجى » إلى أن ارتطما معاً فى رعب . .

- لا تتكلم هذا الكلام ! فنحن لدينا من المتاعب ما فيه الكفاية يا «رالف» ، وأنا لدى من المتاعب ما ينوء به كاهلى . . فإذا كانت هناك أشباح . .

- كان ينبغى على التخلى عن منصب الرئاسة . .

- يا إلهى ! أوه ! لا .

وتشبث « بيجى » بذراع « رالف » :

- لو أصبح « جاك » رئيساً فإنه سيركز اهتمامه على الصيد ويهمل النيران تماماً ، مما سيؤدى إلى بقائنا هنا إلى أن نموت .

وارتفع صوته إلى أن أصبح حاداً ورفيعاً كالصرير :

- من ذا الذى يجلس هنالك ؟

- إنه أنا . . « سيمون » .

فقال « رالف » :

- نحن مجموعة من الأولاد الطيبين ، نحن بمثابة ثلاثة فئران مصابة بالعمى . سأتخلى عن الرئاسة .

فقال « بيجى » فى همس مملوء بالرعب :

- ماذا سيحدث لى لو أنك تخليت عن الزعامة ؟

- لا شىء .

- إنه يكرهنى ، ولست أدرى السبب فى ذلك . . إذا كان باستطاعته أن يفعل ما يريد ستكون أنت على ما يرام ، فهو يحترمك ، وبالإضافة إلى ذلك يمكنك أن تضربه .

- لقد دخلت أنت معه فى شجار منذ لحظات .

فقال « بيجى » فى بساطة :

لقد كانت المحارة معى ، وكان لى الحق فى التكلم .

وتحرك « سيمون » فى الظلام :

- استمر يا « رالف » فى تولى مهمة الرئاسة .

- اخرس أنت يا « سيمون » يا صغير ! لماذا لم تقل إنه لم يكن هناك أى وحش ؟

وقال « بيجى » أنا خائف منه ، وهذا هو السبب فى أننى أعرفه جيدا . فأنت إذا كنت خائفاً من شخص ما فأنت تكرهه ، ولكنك لا يمكنك أن تتوقف عن التفكير فيه ، فأنت تخدع نفسك وتقول لنفسك إنه إنسان على ما يرام ، وبعدئذ عندما تشاهده مرة أخرى تشعر كأنك مصاب بالربو وغير قادر على التنفس ، وأنا أقول لك يا « رالف » إن هذا الشخص يكرهك أيضاً .

- يكرهنى أنا ؟ ولماذا يكرهنى أنا ؟

- لست أدرى السبب .. وربما لأنك أظهرت تقصيرًا فى موضوع النيران ، وقد يكون السبب هو أنك أصبحت رئيساً وهو ليس برئيس :

- ولكنه ، ولكنه « جاك » مريديو !

- لقد أمضيت وقتاً طويلاً فى الفراش مما أتاح لى فرصة للتفكير ، وأنا أعرف الكثير عن طبيعة الناس والكثير عن نفسى وعنه ، وهو لا يستطيع الإساءة إليك أو إلحاق الضرر بك ، ولكنك إذا أفسحت له الطريق فإنه سيؤذى أى شخص آخر ، بمعنى أنه سيؤذينى أنا .

« بيجى » على حق فيما يقول يا « رالف » فهناك أنت « وجاك » وعليك

بالتشبث بالزعامة والاستمرار فى الرئاسة .

- نحن جميعاً نسير على غير هدى وننجرف ، والفساد آخذ فى التفشى فى جميع الأمور ، ففى الوطن كان هناك دائماً الشخص الراشد الناضج . . من فضلك يا سيدى . . من فضلك يا آنسة وبعدئذ تحصل على إجابة . كم أتمنى !

- أتمنى لو كانت عمتى هنا .

- أتمنى لو كان والدى . . أوه ، ومالفائدة ؟

- الإبقاء على النيران مشتعلة . .

وانتهى الرقص ، وكان الراقصون عائدين إلى الأكواخ . وقال « بيجى » :

- اليافعون الراشدون يعرفون الأمور جيداً ؛ ولذلك فهم لا يخافون من الظلام . فهم قد يتقابلون ويتناولون الشاى ويتناقشون ، وبعدئذ تسير الأمور معهم على خير ما يرام .

- ولن يشعلوا الجزيرة بالنيران أو يفقدوا .

- ويعملون على بناء سفينة .

ووقف الأولاد الثلاثة فى الظلام يحاولون عبثاً نقل فخامة وعظمة الأشخاص الراشدين إليهم .

- فهم لا يدخلون فى مشاجرات ومشاحنات .

- او لا يكسرون نظارتى .


الفصل السادس

وحش قادم من الهواء

ولم تكن هناك أية أضواء بخلاف أضواء النجوم ،

وبعد أن عرفوا السبب فى صدور هذا الصوت الشبحى وأصبح « برسيفال » هادئاً مرة أخرى ، قام « رالف » و« سيمون » برفعه من على الأرض بطريقة غير سليمة وحملاه إلى كوخ . وتسكع « بيجى » على مقربة منه تأييداً لكل كلماته الشجاعة ، ثم انسحب الأولاد الثلاثة الكبار مع بعضهم البعض إلى الكوخ التالى ، واستلقوا فى قلق وصخب بين الأوراق الجافة ، وراحوا يرقبون رقعة النجوم التى كانت بمثابة فتحة مؤدية إلى « اللاجون » . وفى بعض الأحيان كان يصيح طفل صغير من الكوخين الآخرين ، وتحدث ولد كبير مرة واحدة فى الظلام ، وبعدئذ استغرقوا هم أيضاً فى النوم .

وارتفع جزء من القمر فوق الأفق ولم يكن كبيراً على نحو يسمح بإيجاد طريق للضوء ، ولكن كانت هناك أضواء أخرى فى السماء ، وكانت تلك الأضواء تتحرك بسرعة أو تتغامز فى وميض أو تنطفىء وتتلاشى ، وبرغم أنه لم تترام أية أصوات حتى ولو أصوات خافتة من المعركة التى يُخَاض غمارها على ارتفاع عشرة أميال ، فإن إشارة هبطت من عالم الكبار ، برغم أنه فى وقت هبوطها لم يكن هناك طفل واحد مستيقظ ليقرأها ، إذ كان هناك

فجار ناصع فجائى وذيل لولبى عبر السماء ، وبعدئذ ساد الظلام مرة
خرى ، وبدت النجوم ثانية ، وكانت هناك بقعة ضئيلة للغاية فوق الجزيرة
لى شكل هيكل بشرى يهبط بسرعة أسفل مظلة « باراشوت » . وكان هذا
لهيكل متشبثاً بأطراف متدلية . وأخذت الرياح المتغيرة للارتفاعات المختلفة
لهيكل إلى حيث تريد ، وبعدئذ هدأت الرياح عند ارتفاعات تصل إلى
ثلاثة أميال ، وحملت الهيكل فى منحنى هابط حول السماء ، ثم دفعته بقوة
فى ميل شديد عبر سلسلة الصخور القريبة من سطح الماء وعبر « اللاجون »
نحو الجبل ، ثم سقط الهيكل متجعداً بين الأزهار الزرقاء التى تكسو جانب
الجبل ، ولكن فى تلك اللحظة كان هناك أيضاً نسيم خفيف عند هذا
الارتفاع وسقطت المظلة « الباراشوت » فى تثاقل ، وأحدثت صوتاً عالياً
وجذاباً ؛ ولذلك انزلق الهيكل لأعلى نحو ارتفاعات الجبل مجرجراً وساحباً
قدميه خلفه . وسحب النسيم الهيكل ياردة وراء ياردة عبر الأزهار الزرقاء
وفوق الصخور المستديرة والحجارة الحمراء اللون إلى أن استلقى رابضاً بين
الصخور المتحطمة المبعثرة عند قمة الجبل ، وهنا كان النسيم متقطعاً ،
وسمح لخيوط المظلة بالتشابك والتزين مثل حبل من الزهور ، وجلس
الهيكل ووضع رأسه الموضوع عليها خوذة بين ركبتيه ، وكانت رأسه ممسوكة
بواسطة خيوط معقدة ومتشابكة ، وعندما هبت النسائم كانت الخيوط تشد
فى إحكام ، ورفعت إحدى هذه الشدات الفجائية الرأس والصدر فى
اعتدال ، حتى إن الهيكل بدا وكأنه يحدق النظر عبر حافة الجبل ، وبعدئذ
كانت الخيوط - فى كل مرة تتلاشى فيها الرياح - ترتخى وينحنى الهيكل
للأمام مرة أخرى وقد غاص برأسه بين ركبتيه ، ومثلما كانت النجوم تتحرك

عبر السماء كان الهيكل يجلس فوق قمة الجبل وينحنى ويغوص وينحنى مرة أخرى .

وتحت ظلام الصباح المبكر كانت هناك أصوات عند صخرة تقع على مسافة قصيرة على جانب الجبل ، إذ تدحرج ولدان وخرجا من كومة من الأغصان والأوراق الجافة : ظلان قاتمان يتحدث أحدهما مع الآخر بصوت ملىء بالنعاس . لقد كانا الولدين التوءمين ، وكانا يؤديان عملهما عند النيران، ومن الناحية النظرية كان ينبغى لأحدهما أن ينام ، ويقوم الآخر بالمراقبة والحراسة ، غير أنه لم يكن باستطاعتهما مطلقاً تأدية الأمور على الوجه الأكمل ، إذ انفصل أحدهما عن الآخر ، ونظراً لأن الاستيقاظ طوال الليل كان أمراً مستحيلاً فإنهما اضطرا للذهاب للنوم ، واقتربا فى تلك الآونة من النيران المدخنة المظلمة التى كانت بمثابة نيران الإشارة ، وكانا يتثاءبان ويدعكان عينيهما . ويمشيان على الأرض بأقدام مدربة ، وعندما وصلا إلى موقع النيران توقفا عن التثاؤب ، وجرى أحدهما بسرعة عائداً لإحضار أخشاب وأوراق شجر . . وانحنى الآخر لأسفل ، اعتقد أنها انطفأت تماماً، فراح يبعث بالأغصان التى دُفِعَتْ إلى يديه :

- لا .

واستلقى على الأرض ووضع شفتيه بالقرب من النار الدافئة وراح ينفخ فى رفق . وظهر وجهه مضاءً بالاحمرار ، فتوقف عن النفخ للحظات .

- « سام » أعطنا . .

- خشباً سريع الاشتعال .

وانحنى « إريك » لأسفل ، وراح ينفخ فى رفق مرة أخرى إلى أن أصبحت

الرقعة وضاءة . ودفع « سام » بقطعة الخشب سريعة الاشتعال فى المكان الساخن، ثم وضع غصناً ، فتزايد التوهج ، وأمسكت النيران فى الغصن ، فبدأ « سام » يدفع بالمزيد من الأغصان .

فقال « إريك » :

- لا تحرق كمية كبيرة ، فأنت تدفع بكمية كبيرة أكثر من اللازم إلى النيران .

- لكى نشعر بالدفء .

- ولكننا سنضطر للذهاب لإحضار المزيد من الأخشاب .

- أنا أشعر بالبرد .

- وأنا كذلك أشعر بالبرد مثلك .

- وإلى جانب ذلك . فالجو . .

- الجو مظلم ، حسناً . إذن .

وجلس « إريك » القرفصاء وراح يرقب « سام » وهو يزيد النيران اشتعالاً، وكوم خيمة صغيرة من الأخشاب الناشفة ، وكانت النيران مشتعلة فى أمان .

- لقد حدث الانطفاء منذ فترة قصيرة .

- لو شاهد هو ذلك لأصبح غاضباً .

- اسكت .

وظل التوءمان يرقبان النيران فى صمت للحظات قليلة ، ثم ضحك

«إريك » ضحكات مكبوتة .

– ألم يكن هو غاضباً ؟

– غاضباً بسبب . .

– بسبب النيران والخنزير .

– نحن سعداء الحظ ؛ لأنه انفجر فى « جاك » بدلاً منا .

– اسكت . أتذكر « واكى الغاضب » العجوز فى المدرسة ؟

– أيها الولد . . أنت تدفعنى ببطء نحو الجنون !

واستغرق التوءمان فى الضحك ، وبعدئذ تذكرا الظلام وأشياء أخرى ، وحملقا فيما حولهما فى قلق ، وجذبت ألسنة اللهيب النشطة بالقرب من خيمة الأخشاب أنظارهما مرة أخرى . وأخذ « إريك » يرقب قمل الأخشاب الذى كان ينطلق مسرعاً فى هياج شديد بسبب عدم تمكنه من تفادى ألسنة اللهيب، وراح يفكر فى النيران الأولى التى أشعلت فى مكان قريب على الجانب المنحدر من الجبل ، وهو المكان الذى يسوده آنئذ ظلام دامس ، ولم يرغب فى تذكرها ، ثم نظر بعيداً نحو قمة الجبل .

وبدأ الدفء يشع ويتسلل إليهما فى إمتاع ، وبدأ « سام » يسلى نفسه ، فراح يقرب الأغصان من النيران بقدر المستطاع ، ومد « إريك » ذراعيه بغية معرفة المسافة التى تكون عندها النيران محتملة وغير شديدة ، فى حين راح ينظر فى كسل إلى ما وراء النيران ، وبدأ يتبين الصخور المبعثرة من خلال الظلال المسطحة الناجمة عن ظهور خطوط تنير كضوء النهار . . فظهرت هنالك الصخرة الضخمة والأحجار الثلاثة التى شقت الصخر ، ووراء

ذلك كانت توجد الفجوة . . كل شىء فى مكانه هنالك .

- سام .

- اسكت .

- لا شيء .

وكانت ألسنة اللهب تقهر الأغصان وتتغلب عليها ، وكان لحاء الشجر يتجمد ويتهاوى ، وكانت الأخشاب تتفجر وتتطاير شظاياها . . وتهاوت خيمة الأغصان من الداخل ، وقذفت بدائرة هائلة متسعة من الضوء فوق قمة الجبل .

- سام .

- اسكت ؟

- سام ! سام !

ونظر « سام » إلى « إريك » فى شيء من الغضب والسخط والتوتر فحدّة نظرات « إريك » جعلت الاتجاه الذى كان ينظر إليه مريعاً ومخيفاً ؛ لأن «سام » كان معطياً ظهره لذلك الاتجاه ، فتدافع مذعوراً حول النيران ، وجلس القرفصاء بجوار « إريك » ونظر ليشهد ما يدور هناك ، وأصبحا بدون حركة تماماً . . وأمسك كل منهما بِذِرَاعَىْ الآخر : أربع عيون مسددة لا تتغامز، وفمان مفتوحان .

وتحتهما على مسافة بعيدة تنهدت أشجار الغابة ، وبعدئذ زأرت ، ورفرف الشعر على جبهتيهما ، وهبت ألسنة اللهيب فى اتجاهات جانبية منبعثة من النيران ، وعلى مسافة خمسين ياردة منهما ترامى إليهما الصوت

الذى يشبه صوت الغطس فى الماء ، وهو صوت الأقمشة التى تتفتح مع الامتلاء بالهواء .

ولم يصرخ الولدان ، إلا أن قبضة أيديهما ازدادت شدة ، ووصل فم كل منهما إلى ذروة الاتساع . . وجثما مدة وهما على هذا الحال ، على حين كانت النيران الطاحنة ترسل دخاناً وشرراً وموجات من الضوء المتقلب عبر قمة الجبل .

وبعدئذ تدافعا بالمناكب وهما يهرولان عبر الصخور ، وهربا كما لو كان لهما عقل واحد فقط مذعور .

وكان « رالف » يحلم ، وكان قد استغرق فى النوم عقب التقلب والتمرغ فى ضوضاء بين الأوراق الجافة لفترة بدت له كأنها ساعات ، ولم تعد أصوات الكابوس المترامية من الكوخين الآخرين تصل إليه ؛ لأنه عاد إلى المكان الذى جاء منه ، وراح يطعم الجياد بقطع من السكر يضعها فوق سور الحديقة ، وبعدئذ كان هناك شخص ما يهز ذراعه ويخبره بأن الوقت حان لتناول الشاى .

- يا « رالف » . . ! استيقظ يا « رالف » .

وكانت الأوراق تزأر مثل البحر :

- يا « رالف » استيقظ .

- ماذا فى الأمر ؟ ماذا حدث ؟

- لقد شاهدنا .

- الوحش . .

- بوضوح !

- من أنتما ؟ التوءمان .

- شاهدنا الوحش .

- الهدوء يا « بيجى » !

ومع ذلك الأوراق تزأر . وارتطم « بيجى » به وأمسك به التوءمان عندما اندفع خارجاً . .

- لا يمكن أن تذهب ، فهو مخيف للغاية !

- يا بيجى . . أين الرماح ؟

- يمكننى سماع الـ . .

- إذن فلنلتزم بالهدوء . . ونستلق فى صمت .

واستلقيا هنالك منصتين فى نوع من الشك فى بادىء الأمر ، وبعدئذ فى رعب للوصف الذى يهمس به التوءمان لهما بين فترات الصمت المطبق ، وسرعان ما امتلأ الظلام بالمخالب وبالمجهول المخيف والخطر المرعب . وأخيراً ظهرت تباشير الفجر فى الأفق اللانهائى ، مما أدى إلى تلاشى النجوم، وبعدئذ تسلل ضوء حزين رمادى بعد التصفية والترشيح إلى الكوخ ، فبدءوا يتحركون برغم أن العالم خارج الكوخ كان لا يزال خطيراً على نحو لا يطاق ، وكانت متاهات الظلام مقسمة إلى ظلام قريب وظلام بعيد، وعند النقطة العليا للسماء كانت قطع السحب الصغيرة المتناثرة مفعمة بدفء اللون ، ورفرف طائر يجرى وحيداً بجناحيه متجهاً لأعلى فى صرخة خشنة ظهر لها صدى للصوت على الفور ، وأطلق شىء ما صوتاً

عالياً حاداً فى الغابة ، ثم بدأت سلاسل متتابعة من السحب القريبة من الأفق فى التوهج بلون وردى، وأصبحت قمم أشجار النخيل المكسوة بالريش خضراء اللون .

وركع « رالف » فى مدخل الكوخ وحملق فى حذر فيما حوله ونادى :

– يا « سام » يا « سام » اذهبا ووجها الدعوة لهم لحضور اجتماع . إذهبا فى هدوء .

فأمسك « سام » و « إريك » أحدهما بالآخر فى ارتعاد ، وتحديا فى شجاعة وجرأة الباردات القليلة إلى أن وصلا إلى الكوخ التالى ، ونشرا الأخبار المخيفة. ووقف « رالف » وسار إلى الرصيف من أجل الوقار وهيبة المنصب، برغم أن ظهره كان مليئا بالوخز والآلام الشديدة . . وتبعه «بيجى» و « سيمون » وبعدهما جاء باقى الأولاد متسللين فى جُبن وخوف .

وأخذ « رالف » المحارة من المكان الذى توجد به فوق المقعد اللامع ، ورفعها إلى شفتيه ، غير أنه تردد ولم يقم بالنفخ ، ورفع المحارة لأعلى لكى يروها ، ففهموا الموقف .

وبعد أن كانت أشعة الشمس تنبعث من تحت الأفق متجهة لأعلى أصبحت تتجه لأسفل إلى مستوى العين ، ونظر « رالف » للحظات إلى شريحة الذهب التى تطل على الوجود والتى ألقت الضوء عليهم من جهة اليمين ، والتى بدت وكأنها ستجعل الخطبة أمراً ممكناً ، وكانت دائرة الأولاد أمامه مزودة برماح الصيد .

وناول المحارة لإريك الذى كان على مقربة منه :

– لقد شاهدنا الوحش شخصياً بعيوننا . . لا ، لم نكن مستغرقين فى النوم . .

وتولى « سام » مهمة سرد القصة ، وبحكم العادة كانت محارة واحدة تكفى بالنسبة لكل من التوءمين ؛ لأن وحدتهما الجوهرية كانت أمراً يعرفه الجميع .

– كان مكسواً بالفراء ، وكان هناك شىء ما يتحرك خلف رأسه . . وخلف أجنحته ، وكان الوحش يتحرك هو الآخر . .

– وكان ذلك مرعباً . .

– جلس منتصب القامة على نحو ما . .

– وكانت النيران متألقة . .

– وكنا قد زودنا النيران بالوقود . .

– ووضعنا المزيد من الأغصان عليها . .

– وكانت هناك عينان . .

– وأسنان . .

– ومخالب . .

– فانطلقنا نجرى بأقصى سرعة . .

– وارتطمنا بعنف فى الأشياء . .

– وسار الوحش وراءنا . .

– وشاهدته أنا وهو يتسلل مختفياً وراء الأشجار . .

- وكاد يلحق بى . .

وأشار « رالف » فى خوف إلى وجه « إريك » الذى كان به كثير من الخدوش والجروح والندبات الناجمة عن تمزيق الشجيرات له .

- كيف تعرضت لكل هذه الجروح ؟

وتحسس « إريك » وجهه :

- لقد تعرضت لمتاعب شديدة . . هل الدماء تنزف منى ؟

وانكمشت دائرة الأولاد فى رعب . . وانفجر « جونى » الذى كان لا يزال يتثاءب باكياً بصوت مرتفع بدموع غزيرة ، فأخذ « بيل » يصفعه إلى أن كبت دموعه . وكان الصباح المشرق مملوءاً بالتهديدات ، وبدأت حلقة الأولاد فى التغير . .

وبدأت الوجوه تتجه إلى خارج الحلقة وليس إلى داخلها . .

وأصبحت الحراب المصنوعة من الخشب المشذب المدبب شبيهة بالسور، وناداهم « جاك » للرجوع إلى وسط الحلقة :

- سيكون هذا صيداً عظيماً ! من الذى سيجىء ؟

وتحرك « رالف » فى قلب الحلقة :

- هذه الحراب مصنوعة من الخشب . . لا تكن غبياً .

فشخر ونخر « جاك » فى وجهه :

- بالطبع أشعر بالخوف ومن ذا الذى لا يشعر بالخوف ؟

والتفت نحو التوءمين فى اهتمام ، وإن كان فى يأس :

– إننى أفترض أنكم لا تخدعوننا ؟

وكانت هذه الإجابة قاطعة بحيث لا يشك فيها أى شخص . وأمسك «بيجى » بالمحارة .

– ألا يمكننا أن نبقى هنا ؟ فلربما لا يأتى الوحش ولا يقترب من مكاننا هنا ؟

ولم يصرخ « رالف » فى وجه « بيجى » كالمعتاد ، وذلك بسبب إحساسه بأن هناك شيئاً ما يراقبهم .

– هل نمكث هنا ونتوقع فى هذه المساحة الصغيرة من الجزيرة ونبقى مستيقظين وحذرين باستمرار ؟ وكيف لنا أن نحصل على طعامنا ؟ وماذا سنفعل بالنسبة للنيران ؟

فقال « جاك » فى قلق :

– هيا بنا نتحرك وننطلق الآن ، فنحن نضيع الوقت بالبقاء هنا .

– نحن لا نضيع الوقت . . وماذا سنفعل بالنسبة للأطفال الصغار ؟

– دعك من الأولاد الصغار . .

– لابد من تخصيص واحد من الأولاد الكبار لرعايتهم والاهتمام بشئونهم .

– لم يسبق أن خصصنا أحداً لرعاية الأطفال الصغار .

– لأنه لم تكن هناك حاجة لذلك ، والموقف الآن تغير ، وسوف يقوم «بيجى » برعايتهم .

– وهو كذلك . نبعد « بيجى» عن المخاطر .

– يجب أن يكون عندكم بعض الإدراك السليم . فماذا سيفعله « بيجى » وهو ليس عنده سوى عين واحدة ؟

وكان باقى الأولاد ينتقلون ببصرهم من « جاك » إلى « رالف » فى شىء من حب الاستطلاع .

– وهناك شىء آخر . . لن تتمكنوا من القيام بأعمال الصيد المعتاد ؛ لأن الوحش لم يترك المسالك والممرات ؛ لأنه لو كان قد ترك الممرات لكنتم قد شاهدتموه ، ونحن نعرف جميعاً أن الوحش يتأرجح بين الأشجار ، واسمه يدل على ذلك .

فأومئوا برءوسهم .

– لذلك ينبغى أن نفكر فى الأمر .

وخلع « بيجى » نظارته المحطمة ، وراح ينظف العدسة الوحيدة المتبقية .

– وما هو الموقف بالنسبة لنا يا « رالف » ؟

– أنت لم تحصل بعد على المحارة لكى تتكلم . ها هى ذى المحارة ، خذها .

– أقصد ما هو الموقف بالنسبة لنا . لنفرض أن الوحش جاء إلى هنا أثناء وجودكم أنتم بعيداً لإنجاز أعمال الصيد ، وأنا شخصياً نظرى ضعيف ، وإذا سيطر الخوف على . .

فقاطعه « جاك » فى احتقار :

– الخوف مسيطر عليك دائماً .

- أنا معى المحارة .

فصاح « جاك » :

- المحارة ! المحارة ! نحن لم نعد بحاجة إلى المحارة ، فنحن نعرف من الذين ينبغى أن يتكلموا ويصدروا الأوامر ، فما هو الخير الذى عاد علينا من وراء تحدث « سيمون » أو « بيل » أو « وولتر » ؟ لقد حان الوقت لأن يعرف البعض أن عليهم الالتزام بالصمت والهدوء وترك مسألة اتخاذ القرارات للآخرين من أمثالنا .

ولم يستطع « رالف » السكوت على ذلك الكلام ، فبدأت الدماء تتصاعد ساخنة فى وجنتيه .

فقال « رالف » :

- أنت لم تحصل على المحارة ، اجلس .

فظهر شحوب شديد على وجه « جاك » حتى إن النمش فى وجهه ظهر مثل بقع واضحة بنية اللون ، ولعق شفتيه وظل واقفاً .

- هذه هى مهمة الصياد .

وراح باقى الأولاد يرقبون الموقف فى تركيز واهتمام ، ووجد « بيجى » نفسه وقد زج به فى هذا النزاع ، فشعر بعدم الارتياح ، ودفع بالمحارة إلى ركبتى« رالف » ثم جلس .

وتزايد الصمت ، وأصبح الموقف مقبضا للصدر وخانقاً ، وحبس « بيجى » أنفاسه ، وقال « رالف » أخيراً :

هذا يتجاوز مهمة الصيادين ؛ لأنك لا يمكنك أن تقتفى أثر الوحش .

وإلى جانب ذلك ألا تريد أن تنقذ حياتك ؟

ثم التفت موجها كلامه لجميع الحاضرين :

- ألا تريدون جميعاً أن تنقذوا حياتكم ؟

ثم عاد ونظر إلى « جاك » :

- لقد سبق أن قلت إن النيران هى أهم شىء بالنسبة لنا على الإطلاق ، ولابد أن النيران قد انطفأت الآن .

وأنقذه السخط القديم وأعطاه القوة لتشديد الهجوم :

- ألا يوجد بينكم أحد رشيد عاقل ؟ إنه ينبغى أن نعيد إشعال تلك النيران . وأنت يا « جاك » لم تفكر فى ذلك الأمر . أليس كذلك ؟ ألا يريد أحد بينكم لحياته الإنقاذ ؟

نعم ، لقد كانوا جميعاً يريدون إنقاذ أنفسهم ، ما فى ذلك شك . ومرت الأزمة بسلام بعد وقوف الجميع فى حزم إلى جانب « رالف » ، وتنفس «بيجى » الصعداء شاهقاً ، وعندما أراد أن يستنشق الهواء مرة أخرى لم يفلح فى ذلك ، فرقد كتلة فاغراً فاه ، فى حين كانت ظلال زرقاء اللون تزحف حول شفتيه ، ولم يكترث أحد به .

- والآن يا « جاك » حاول أن تتذكر . . هل هناك أى مكان بالجزيرة لم تذهب إليه ؟

فأجاب « جاك » على الرغم منه :

- لا يوجد سوى . . ولكن بالطبع أتذكر الجزء عند نهاية الذيل حيث تكون الصخور مكومة كلها فوق بعضها فوق بعض . . لقد سبق لى

الاقتراب من هذا المكان ، والصخور هناك تشبه الكوبرى ، ولا يوجد سوى طريق واحد صاعد لأعلى .

– وذلك الشىء قد يكون مقيماً هناك .

وتكلم جميع الحاضرين على الفور :

– تمام . هذا حسن . ذلك هو المكان الذى سنبحث فبه ، وإذا لم يكن الوحش موجوداً هناك فسنصعد إلى الجبل ونبحث ، ونوقد النيران .

– هيا بنا .

وتردد « رالف » :

– سنتناول الطعام أولاً وبعدئذ نذهب . ويستحسن أن نأخذ معنا الرماح .

وبعد تناول الطعام انطلق « رالف » وباقى الأولاد الكبار على طول «البلاج » وتركوا « بيجى » مستنداً فوق الرصيف . وكان هذا اليوم – شأنه شأن الأيام الأخرى – يوحى بأنه سيكون بمثابة حمام تحت قبة زرقاء وكان «البلاج» ممتداً لمسافة بعيدة أمامهم فى انحناء خفيف إلى أن يلتقى المنظر مع الغابة ؛ لأن النهار لم يكن متوغلا بالقدر الكافى الذى يسمح بظهور حجب السراب المضللة ، وبتوجيهات من « رالف » شقوا طريقهم فى حذر على طول أراضى النخيل ، حيث لم يجرءوا على تعريض أنفسهم للرمال الساخنة القريبة من حافة الماء ، وترك « جاك » ليقود الطريق ويسير أمامهم، وكان «جاك » يخطو فى حذر مسرحى ، كما لو كانوا يشاهدون عدواً على مسافة عشرين ياردة . وسار « رالف » فى المؤخرة ، وشكر الله على هروبه من

المسئولية لبعض الوقت ، وشعر « سيمون » الذى كان يسير أمام «رالف» برفرفة من الشكوك - وحش له مخالب يخدش بها ويجلس على قمة الجبل ولا يترك وراءه أية آثار أقدام ، ولكنه لم يكن سريعاً بالقدر الذى يعينه على الإمساك بالتوءمين « سام » و « إريك » صورة إنسان على الفور يتسم بطابع البطولة والمرض .

وتنهد ، فالناس الآخرون كان باستطاعتهم الوقوف والتحدث إلى المجتمعين بدون أن يبدو عليهم ذلك الإحساس المخيف بضغوط التمركز على الذات ، وكان باستطاعتهم أن يقولوا ما يريدون ، كما لو كانوا يتحدثون إلى شخص واحد فقط ، وأخذ خطوة على جانب ونظر وراءه . وكان «رالف» قادماً وراءه وقد وضع رمحه على كتفه . وفى شىء من الخجل وعدم الثقة بالنفس بدأ « سيمون » يسمح لخطواته بالتباطؤ إلى أن أصبح يسير جنباً إلى جنب مع « رالف » ، وراح ينظر لأعلى نحوه من خلال الشعر الأسود الخشن الذى كان يسقط آنئذ على عينيه ، فنظر إليه « رالف » شزرًا وابتسم فى تكلف كما لو كان قد نسى أن « سيمون » قد خدع نفسه . ثم بدأ ينظر إلى الفراغ أمامه . وأحس « سيمون » للحظات بالسعادة ، وبعدئذ توقف عن التفكير فى نفسه ، وعندما اصطدم فى شجرة نظر « رالف » شزرًا فى ضيق ، وضحك روبرت ضحكات مكتومة ، وترنح « سيمون » ، وتحولت بقعة بيضاء فى جبهته إلى اللون الأحمر ، وسالت دماؤه ، وطرد «رالف » « سيمون » وعاد إلى جحيمه الشخصى ، فهم سيصلون إلى القلعة فى وقت ما ، وعندئذ سيكون على الرئيس أن يسير فى المقدمة .

ورجع « جاك » مهرولاً إلى الوراء .

- نحن الآن ظاهرون للعيان .

- وهو كذلك ، سنقترب إلى أقصى حد ممكن .

وتبع « جاك » نحو القلعة حيث ترتفع الأرض ارتفاعاً خفيفاً ، وعلى يسارهم كانت توجد كتل متشابكة من النباتات المتسلقة والأشجار لا يمكن اختراقها على الإطلاق .

- ولماذا لا يمكن أن يكون هناك شيء ما مختبىء فى تلك الأشجار ؟

- لأن الوضع كما ترى ، لا شيء يدخل إلى هذه الكتل المتشابكة أو يخرج منها .

وباعد « رالف » ما بين العشب الأخضر ، وأطل فى حذر، لم يكن هناك سوى ياردات أخرى قليلة من الأرض المتحجرة ، وبعدئذ كان جانبا الجزيرة يكادان يلتقيان ، حتى إن المرء كان يتوقع وجود قمة لسان من الأرض داخل فى البحر ، ولكن بدلا من هذا يوجد نتوء صخرى ضيق يبلغ عرضه ياردات قليلة ، ويصل طوله إلى حوالى خمس عشرة ياردة ، وهذا النتوء يجعل الجزيرة ممتدة فى داخل البحر . وهنالك كانت توجد كميات أخرى من تلك القطع التى لها شكل مربع وردى اللون ، والتى تبطن بنية الجزيرة . وهذا الجانب من القلعة - والذى يبلغ ارتفاعه حوالى مائة قدم - كان هو الجزء المحض الوردى الناتىء ، الذى سبق أن شاهدوه من فوق قمة الجبل . وكانت صخرة الانحدار الجبلى الشاهق مشقوقة ، وكانت القمة مكسوة بكتل هائلة مبعثرة تبدو كأنها تترنح وتتداعى .

وخلف « رالف » كان العشب الطويل زاخراً بالصيادين الصامتين . ونظر « رالف » إلى « جاك » :

- أنت صياد .

فارتفعت الدماء فى وجه « جاك » :

- أعرف ذلك ، وهو كذلك .

وتحدث شيء ما فى أعماق « رالف » نيابة عنه :

- أنا الزعيم . . سأذهب أنا ، ولا تجادلنى .

والتفت نحو الآخرين :

- وأنتم عليكم بالاختفاء هنا وانتظارى .

ووجد صوته يميل إما إلى الاحتباس ، وإما إلى الخروج عالياً أكثر من اللازم ، ونظر إلى « جاك » :

- هل تعتقد :

فتمتم « رالف » قائلاً :

- لقد سبق لى التجول فى جميع أرجاء الجزيرة ، ولابد أن يكون موجوداً هنا

- لقد فهمت . .

وغمغم « سيمون » في ارتباك :

- إننى لا أعتقد أن الوحش موجود .

فرد عليه « رالف » فى أدب كما لو كان يوافق على رأى يتعلق بالأحوال الجوية .

- لا يوجد وحش . أعتقد أنه لا يوجد وحش .

وكان فمه مزموماً وشاحباً ، وأزاح شعره للخلف ببطء شديد .

- حسناً . . إلى اللقاء .

وأرغم قدميه على التحرك إلى أن نقلته إلى عنق الأراضى .

وكان محاطاً من جميع الجوانب ، بشقوق وفجوات خالية من الهواء ، لم يكن هناك مكان يمكن الاختباء فيه ، حتى ولو لم يكن على المرء أن يواصل سيره . وتوقف عند العنق الضيق ونظر لأسفل ، وأدرك أن البحر بعد عدة قرون سيحول القلعة إلى جزيرة صغيرة ، وعلى يمينه كان يوجد « اللاجون » المضطرب بفعل البحر العالى المكشوف ، وعلى يساره .

وارتجف « رالف » فى رعب ، لقد كان اللاجون يحميهم من الباسفيك ، ولسبب ما كان « جاك » فقط هو الذى سبق له أن نزل إلى المياه الموجودة على الجانب الآخر . وشاهد « رالف » منظر الأمواج الطويلة وبدت كأنها تشبه تنفس مخلوق ضخم هائل . وغاصت المياه فى بطء بين الصخور كاشفة عن أسطح الجرانيت الوردية اللون وشُعَب مرجانية غريبة الشكل ، بالإضافة إلى حيوانات « البولب » المائية ، والأعشاب المائية . وكانت المياه تتجه لأسفل ولأسفل مُحدثة صفيراً كالرياح بين منابع الغابة ، وكانت توجد هنالك صخرة واحدة منبسطة ومنتشرة مثل المنضدة . . وكانت المياه المنسابة لأسفل على الجوانب العشبية الأربعة تجعلها تبدو وكأنها منحدر صخرى شاهق . وبعدئذ تنفس « اللوثيان » النائم ، فارتفعت المياه وتدفقت الأعشاب المائية واهتاجت المياه فوق الصخرة المنبسطة بصوت كالزئير ، ولم يكن هناك معنى لمرور الأمواج . لا شىء سوى الهبوط والارتفاع والهبوط للحظات .

واستدار « رالف » متجهاً نحو المنحدر الصخرى الشاهق . . لقد كانوا

منتظرين وراءه فوق العشب الطويل ، منتظرين ليروا ماذا سيفعل . . ولاحظ أن العرق الموجود فى راحة يديه أصبح بارداً ، وأدرك فى دهشة كبيرة أنه لم يكن يتوقع بالفعل مواجهة أى وحش . . وأنه لم يكن يعرف ماذا سيفعل إذا تقابل فجأة مع الوحش .

وأدرك أنه باستطاعته أن يتسلق المنحدر الصخرى الشاهق ، ولكن لم يكن من الضرورى أن يفعل ذلك ، فالشكل المربع للصخر كان يسمح بوجود نوع من المساحة المربعة حوله ، بحيث يستطيع المرء أن يسير ببطء نحو اليمين على « اللاجون » على طول إفريز ناتىء، ويدور حول منعطف مختفياً عن الأنظار ، وكان هذا أمراً يسيراً ، وسرعان ما راح يحملق حول الصخر .

لا شيء سوى ما يمكن أن يتوقعه المرء : صخور وردية مبعثرة أكسبتها المياه والأحوال الجوية شكلا مدوراً ، تعلوها طبقة من سماد طبيعى ناجم عن ذرق الطيور البحرية تشبه الغطاء الجليدى ، بالإضافة إلى وجود منحدر شديد يصل إلى الصخور المبعثرة المحطمة التى تتوج المنطقة المحصنة .

وسمع صوتاً خلفه فالتفت . . لقد كان « جاك » يتقدم شيئاً فشيئاً على طول الإفريز الناتىء :

– لم أستطع أن أتركك وحدك فى هذه المهمة الصعبة .

ولم يعلق « رالف » بأى رد .

وسار فى المقدمة – ووراءه « جاك » – فوق الصخور ، وقام بفحص

مكان يشبه الكهف ، فلم يجد به أى شىء ، إلا مجموعة من البيض الفاسد، وأخيراً جلس وراح ينظر فيها حوله ويطرق على الصخر بالطرف الغليـظ من رمحه . وشعر « جاك » بالنشاط والإثارة :

– ياله من مكان يصلح ليكون حصناً !

وبللهما عمود من الرذاذ .

– لا توجد مياه عذبة هنا .

– ماذا تقول ؟

إذ كان يوجد بالفعل مساحة ضبابية طويلة خضراء فى منتصف المسافة فوق الصخور ، فتسلقا إليها ، وتذوقا الماء الذى يسيل على شكل قطرات هزيلة :

باستطاعتك الاحتفاظ بقرعة جوز هند مملوءة بالماء طوال الوقت هنا .

– لا . فهذا المكان بغيض للغاية .

وتسلقا جنباً إلى جنب الارتفاعات الأخيرة إلى حيث كانت الكومة المتنافسة متوجة بالصخرة الأخيرة المحطمة ، وقام « جاك » بضرب الصخرة القريبة منه بجماع يده فتفتتت منها قشور قليلة :

– هل تذكر . .

تذكر كل منهما الأوقات الحرجة التى مرت بينهما . وقال « جاك » انظر!

وعلى مسافة مائة قدم تحتها كان يوجد الممر المرتفع الضيق ، وبعده الأرض الحجرية ، وبعدها العشب المنقط برءوس الأولاد ، ووراء ذلك كانت توجد الغابة .

وصاح « جاك » مبتهجاً :

- رفعة واحدة و - يا للسعادة !

وقام بحركة كاسحة بيده ، ونظر « رالف » نحو الجبل :

- ماذا فى الأمر ؟

والتفت « رالف » :

- لماذا ؟

- لقد كنت تنظر ، ولا أعرف لماذا . .

- لا توجد إشارة الآن . لا تظهر أى إشارة .

- أنت مجنون بهذه الإشارة .

وكان الأفق الأزرق المشدود يحيط من جميع الجهات ، ولا يكسره سوى قمة الجبل .

- الإشارة هى الوسيلة الوحيدة التى نملكها .

ووضع حربته على الحجر المهتز وأزاح بيديه شعره للوراء .

- ينبغى أن نرجع ونتسلق الجبل ، فذلك هو المكان الذى شاهدا فيه الوحش .

- لن يكون الوحش موجودًا هنالك .

- وهل هناك إجراء آخر نقوم به ؟

وأدرك الأولاد الآخرون المنتظرون فوق العشب أن « جاك » و « رالف » لم يمسهما أى ضرر ، وخرجا من مكمنهما إلى ضوء الشمس ، فتملكتهم

مشاعر الإثارة والاستكشاف ونسوا وجود الوحش ، فاندفعوا بأعداد كبيرة عبر الكوبرى ، وسرعان ما بدءوا يتسلقون ويصيحون . . وكان « رالف » يقف آنئذ وقد وضع إحدى يديه على كتلة حمراء هائلة كانت فى نفس ضخامة عجلة الطاحونة ، كانت قد انغلقت وتعلقت فى تداعٍ وتمايل . . وكان يرقب الجبل فى اكتئاب وحزن ، وأطبق على جماع يده بقوة ، وضرب الكتلة الحمراء على يمينه كأنه يضرب بمطرقة ، وكانت شفتاه مزمومتين بشدة ، وكان الحنين والشوق يطل من عينيه تحت أهداب الشعر .

- الدخان .

ومص جماع يده المجروحة .

- « جاك » ! هيا بنا .

ولكن « جاك » لم يكن هناك ، وكانت مجموعة من الأولاد تحدث ضجة هائلة ، بدون أن يلحظ هو تلك الضجة ، وتبذل جهداً كبيراً وهى تدفع صخرة ، وبينما كان يستدير ملتفتاً إذ تحطمت قاعدة الصخرة وانقلبت الكتلة كلها نحو البحر ، مما أدىَ إلى تطاير لسان كثيف رعدى من الرذاذ لأعلى حتى منتصف ارتفاع المنحدر الصخرى الشاهق .

- لا تفعلوا ذلك ! كُفُّوا عن ذلك !

وما إن سمعوا صوته حتى هبّط الصمت عليهم .

- الدخان .

وحدث شىء عجيب فى رأسه ، إذ كان هناك شىء ما يرفرف أمام ذهنه مثل جناح الخفاش تشويشاً على أفكاره .

- الدخان .

وسرعان ما تراجعت إلى الخلف الأفكار والغضب .

- نحن نريد دخاناً . وأنتم تضيعون وقتكم .. لأنكم تدحرجون الصخور .

فصاح « روجر » :

- لدينا وقت كثير للغاية !

فهز « رالف » رأسه :

- سنذهب إلى الجبل ..

وظهر التذمر الغاضب والصخب والضوضاء ، إذ كان يريد بعض الأولاد العودة إلى « البلاج » .. والبعض كان يريد دحرجة المزيد من الصخور ، فالشمس كانت ساطعة والخطر كان قد تلاشى مع تلاشى الظلام :

- يا « جاك » ! قد يكون الوحش موجودًا على الجانب الآخر . يمكنك أن تتولى القيادة مرة أخرى . وأنت سبق أن جُبْتَ هذه الأماكن .

- يمكننا الذهاب عن طريق الشاطىء ، فهنالك توجد الفواكه .. وتقدم « بيل » نحو « رالف » :

- ولماذا لا نبقى هنا لبعض الوقت ؟

- هذا الرأى سليم .

- ويمكن أن نشيد قلعة هنا .

فقال « رالف » :

– لا يوجد طعام هنا ، ولا مأوى ، ولا قدر وافر من مياه الشرب .

– هذا المكان يصلح ليكون قلعة ممتازة .

يمكننا أن ندحرج الصخور فوق « الكوبرى » مباشرة .

فصاح « رالف » غاضباً :

– وأنا أقول لكم إننا سوف نستأنف عملنا فى البحث عن الوحش ، إذ يجب أن نتأكذ تماماً من أنه غير موجود . . وسوف نبدأ الآن .

فلنبقَ هنا .

فَلْنَعُدْ إلى المأوى .

أننى أشعر بالتعب والإرهاق .

– لا !

وأزاح « رالف » الجلد عن مفاصل جماع يده ، ولم يشعر بألم على ما يبدو.

– أنا الرئيس وينبغى أن نستوقف تماماً ، ألا تشاهدون الجبل ؟ لا توجد هناك أية إشارة . . وقد تظهر سفينة فى عرض البحر . . هل أنتم جميعاً متخاذلون ؟

* يتبـع الجـزء الثـانـى *



المؤلف

ولـيـام جـولـدينـج

ولد وليام جولدينج فى كورنوول فى ١٩ من سبتمبر ١٩١١ فى عالم يتسم برجاحة العقل والمنطق والإبهار . فالعبارة التى ينطق بها العالم التجريبى فى مسرحيته « الفراشة النحاسية » : « حياتى تتعرض لحالة من الدهشة التى تأخذ بالألباب » ربما يكون قد قالها والده « إليك جولدينج » غير أن الذكريات الأولى التى قدمها لنا عن فترة طفولته فى كتابه الذى يتناول سيرة حياته الذاتية تحت عنوان « السلم والشجرة » هى حياة تتسم بالرعب والظلام : فالظلام والرعب الذى يتعذر وصفه ، جعل لهما وجودًا حقيقياً فى البدرونات المشيدة من الحجر الصوان لمنزلهم المشيد فى القرن الرابع عشر فى مدينة «مارلبورو » وفى الجبانة التى يطل عليها المنزل :

« هل كانت والدتى تخاف من هذا المنزل الظليل ومن الجبانة الملاصقة له عندما كانت تذهب إلى هناك معى وأنا مازلت طفلاً رضيعاً ؟ كانت والدتى من أهالى مقاطعة كورنوول ، وأهالى كورنوول لا يسكنون فى منازل ملاصقة للجبانات بمحض اختيارهم ، وكان والدى ناظراً لمدرسة إعدادية محلية ، ومن ثم كان وضعنا الاجتماعى منخفضاً » .

الواضح أن مسألة الطبقة الاجتماعية ليست سبباً ، وإنما هى فقط جزء من الظروف والأحوال التى تكتنف الورطة الشخصية لجولدينج ، وعلى ما يبدو لم يكن من المهم لدى جولدينج أن تكون مدينة « مارلبورو » مدينة محلية بقدر ما هى مدينة تقع عند شوارع المدينة الرئيسية فى فترة ما قبل التاريخ ، والتى كانت كاتدرائيتها هى « ستونهينج » أو ذلك البناء الحجرى الذى يقع فى سهل « سالزبرى » ويرجع عهده إلى فترة ما قبل التاريخ .

أما الحدث الرئيسى الذى كان سبباً فى فقدان جولدينج الثقة فى الناس الحكماء فيرجع إلى الوقت الذى كان فيه مجرد طفل صغير : « أذكر أن والدتى قالت لى ذات يوم : إن إدراكها بأن العالم هو مكان ملىء بالمباهج المثيرة ، ولكنه فى الوقت نفسه مملوء بالمخاطر المهلكة – يرجع إلى اليوم الذى غرقت فيه الباخرة « تيتانيك » ، وهى لم تستطع أن تعرف السبب فى ذلك ، وإنما أدركت فقط أن السنوات السابقة كانت سنوات مطمئنة وهادئة ، ومليئة بالسلام ، فى حين أن السنوات التى جاءت بعد ذلك بدت مليئة على نحو طبيعى بالعواصف الهوجاء » . وكان ذلك عقب أبريل ١٩١٢ .

وما إن وصل جولدينج إلى سن السابعة من عمره حتى بدأ يربط ما بين الظلام وقدماء المصريين ، فهو قد تعلم من قدماء المصريين الغموض والاتجاهات الرمزية ، فضلا عن الخلط بين الموت والحياة ، بالإضافة إلى اتجاه عقلى يتسم بالشك فى المنهج العلمى الذى ينحدر عن الإغريق .

فهو يقول عن نفسه فى مرحلة الطفولة فى كتابه « مصر من داخل كيانى» :

« لدى معرفة واسعة بالرموز دون أن أعرف على وجه الدقة ما أعرفه ، وأنا أدرك أنه يتعذر وصف معانى الرموز أو وصف تأثيراتها ؛ نظراً لأن الرمز هو بمثابة ذلك المعنى أو التأثير الذى لا يمكن وصفه . فأنا لم يسبق لى قط أن سمعت عن مستويات المعنى ، ولكننى أعيش فى تلك المستويات من خلال التجربة ، ففى المفكرة الخاصة بى تجد أن الجعران يرمز إلى الحياة عند قدماء المصريين » .

ويقول جولدينج :

« على الرغم من أننى معجب بالإغريق فإننى لست واحداً منهم . . فأنا فى حقيقة الأمر إنسان مصرى فرعونى قديم بكل ما لدى الفراعنة من هوس وجنون وبراجماتية روحية ، ومقدرة على الإيمان الذى يُفهم بأكثر من طريقة . وإذا قمت بالاعتراض والاحتجاج وقلت لى : إن البحوث تشير إلى أن الفرعنة لم يكونوا على ذلك النحو ـ فإننى لا يسعنى إلا أن أجيب فى رطانة لغة جيلى قائلاً : إنه فيما يتعلق بى فإن الفراعنة قد أظهروا لى تلك الصورة .

وفى كل هذا توجد صورة لعبقرية جولدينج الحاضرة تتمثل فى طريقته فى الكتابة تقع عند الحافة ما بين وعى ملىء الشكوك الحادة ، ومتجه نحو بناء بنية عضوية وبين إدراك قوى للظلام الموجود تحت الوعى ، وإنه لصحيح أيضاً أنه يعيش بالقرب من « سمتونهينج » وهى معبد علم الفلك الذى يكاد يكون متخذا الطابع الإغريقى من حيث أسلوب البناء والنسب ، يكمن تأثيره من حيث إن تعرضه للأحوال الجوية وإكتساءه بالأشنة والحزاز والأخاديد التى حفرتها الأمطار قد جعله يبدو وكأنه شىء ما يبزغ من طبيعة غير بشرية .

وهو فى كتابه الأول الصادر فى عام ١٩٣٤ تحت عنوان « الأشعار » عندما كان عمره ٢٢ عاماً نجده قد وصف الأشعار بأن قال عنها إنها « تلك الأشياء الهزيلة المسكينة » غير أن حب الاستطلاع نحوها يثار على الفور من خلال تعليقه : « إن الروائى هو شخص متشرد . . لأنه ممزق وحائر بين وسيلتين من وسائل التعبير . . . ويمكنك أن تقول إننى أكتب النثر ؛ لأننى لا أستطيع أن أكتب الشعر » .

وفى الفترة ما بين صدور كتابه « الأشعار » وصدور روايته الأولى « أمير الذباب » التى طُبعت فى عام ١٩٥٤ نجد أن جولدينج قد مر بتجربتين

هامتين ، مما جعله يعتقد أن هاتين التجربتين قد أحدثتا تأثيراً هائلاً على كتاباته : التجربة الأولى هى الحرب . والتحاقة بالخدمة فى سلاح البحرية . والتجربة الثانية - والتى تمت فى نفس سنوات الحرب - تتمثل فى تعلمه للغة اليونانية القديمة . والتجربة الأولى أكدت له - ابتداء من غرق الباخرة تيتانيك - تحطم الصورة الليبرالية التفاؤلية للإنسان ، والتجربة الثانية ربما كان لها تأثير هائل على أسلوبه . فهناك شىء ما فى اللغة اليونانية متسم بالديناميكية والحيوية والمادية الملموسة المحددة تجعل المرء يميل إلى الاعتقاد بأن «جولدينج » قد تأثر بها على ما يبدو ، فهى لغة نجد فيها أنفسنا غير واعين تماماً بأن لدينا شعراً طويلا مثلما نكون فيها واعين بنمو شعرنا بحيث نشعر بالشعر من حيث هو حركة فى داخل شىء ما بنفس الطريقة التى نشعر بها بأنفسنا من حيث هى حركة :

ومما يوضح الأمور ويلقى المزيد من الضوء هو أن نتناول النثر الخاص به من خلال النظر إلى ما لا يفعله فى أشعاره ، فمن الواضح أن تأثيره علينا فى قصائدة لا ينبع من أستاذيته وسيطرته على تأثيرات النغمة والصوت الدقيقة المراوغة من حيث علاقاتها بالمعنى ، ومع ذلك فهو أستاذ الكلمات . وهو يقول إنه منذ طفولته وهو « لديه ولع شديد بالكلمات فى حد ذاتها ، حتى إنه كان يجمعها مثل طوابع البريد أو مثل بيض الطيور » . وربما كان من المقبول أن نقول إن مشاعره تجاه الكلمات بها شىء ما من الانسجام المتزامن ، أو بها شيد متسم بأنه مرئى أكثر مما هو سمعى .

وخاصية الانسجام المتزامن ربما تتبدى - مثلما تتبدى فى جوسلين ومارتن ولوك - فى « الوارثون » فى حدة الخيال المرئى الذى يرويه جولدينج ويستقيه من طفولته : « وليس لدى شك فى أنه لو نظر شخص ما فى تجهم وعبوس

لفترة طويلة فى الصفحة فإن الصفحة سوف تلمع وتشرق وتدب فيها الحياة ، بل إن الصفحة قد فعلت ذلك فى الحقيقة ، إذ اختفت الكلمات والورقة وبزغت الصورة ، وأصبحت التفاصيل موجودة هنالك ؛ لكى تسمع وتشاهد وتلمس » .

ولذلك فإن روايات « جولدينج » تتحرك على مستوى الظواهر أو مستوى الأشياء التى تحدث فى العالم المادى الفيزيقى والعالم الروحى وإلى تطور أشكال التجربة الخاصه بها ، ومن بين النتائج المترتبة على هذا - وربما على نحو أكثر من أى روائى آخر - أن عملية قراءة رواية من تأليف « جولدينج » تُعد أمراً بالغ الأهمية ، إذ ينبغى عليك ألا تكون نفس الشخص عند الانتهاء من قراءة إحدى رواياته ، وبحيث تكون مختلفاً عما كنت عليه لدى البدء فى قراءة الرواية ؛ ولذلك فالرواية فى حد ذاتها ينبغى ألا تكون هى نفس الرواية . والطريقة التى يلجأ إليها « جولدينج » عادة لكى يحقق هذا التأثير تشتمل على عملية التأويل والتفسير من جديد والتى تبدأ بمجرد ترسيخ الصورة الأولى لما يتم من أحداث ؛ أو التى تبدأ عقب انتهاء الفصل الأول بالرواية تقريباً . فعند نقطة ما يجد القارىء نفسه مستغرقاً للغاية فى مفاهيم الفصل الرئيسى ، لدرجة أن الرأى الخاص به عن الأمور التى تحدث يتوارى إلى الخلف ، ويقوم التفسير الثانى بإقحام نفسه أكثر فأكثر على التفسير الأول ويتعاظم تدريجياً نحو تغطية جميع الظواهر ، وعندما يصبح هذا مستكملاً تنتقل الرواية فجأة إلى عالم سوى وتنتهى . ولكن البناء الكامل للرواية يعتمد على عملية التأويل والتفسير من جديد ، وتكون هناك حاجة إلى التحول إلى الوضع الطبيعى السوى لكى تتجه الرواية إلى إيقاع القارىء فى نهاية الأمر .

ولكن برغم أن التعبير فى نهاية الرواية ليس مجرد وسيلة بارعة لحل المشكلة، فإن التأثير الذى ينجم عن رواية لجولدينج يتشوه إذا كان المرء يعرف الكيفية التى يتم بها التفسير من جديد قبل أن يشرع فى القراءة الأولى للرواية ؛ ولذلك فإنه ليس من الحكمة أن يقرأ المرء تحليلات نقدية عن روايات جولدينج قبل أن يشرع فى قراءتها .

وقد أجاب عن الاستفسار الذى وجهه الناشرون الأمريكيون لرواية « أمير الذباب » أعلن « وليام جولدينج » أنه وُجِّه فى نشأته ليصير عالماً ، ولكنه وقف ضد هذا الاتجاه ، وبعد أن أمضى عامين فى أكسفورد قام بتغيير اتجاهه التعليمى من العلوم إلى الأدب الإنجليزى ثم كرس نفسه للأنجلو / ساكسون . وبعد نشر كتاب من الشعر فإنه ضيع السنوات الأربع التالية هباء وسُدًى .

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية التحق بالبحرية الملكية البريطانية . وعلى مدى السنوات الخمس التالية انهمك فى الشئون البحرية ، باستثناء شهور قليلة فى نيويورك ، وستة أشهر مع لورد شيرويل فى « مؤسسة أبحاث» . وخرج من مهنته البحرية وهو فى رتبة ملازم أول مسئول عن قيادة سفينة صواريخ ، ولقد شهد عمليات حربية ضد بوارج حربية وغواصات وطائرات . وعقب انتهاء الحرب بدأ فى التدريس والكتابة والتأليف .

ويصف لنا « جولدينج » الفكرة الأساسية التى ترتكز عليها رواية « أمير الذباب » فيقول : «إن موضوع هذه الرواية هو محاولة لتتبع نقائص وعيوب المجتمع ، وإرجاعها إلى نقائص الطبيعة البشرية . والمغزى هو أن شكل أو نظام المجتمع ينبغى أن يعتمد على الطبيعة الأخلاقية للفرد ، وليس على النظام السياسى مهما كان نظاماً منطقياً أو جديراً بالاحترام من الناحية

الظاهرية . والقصة بأكملها رمزية فى طبيعتها ، باستثناء مشهد الإنقاذ فى نهاية الرواية ، حيث تبدو حياة اليافعين جليلة ومشرفة وقديرة وبارعة ، إلا أنها فى حقيقة الأمر متورطة فى نفس الشرور ، مثل الحياة الرمزية للأطفال على الجزيرة ، فالضابط الذى حال دون اصطياد إنسان وبدأ يستعد لنقل الأطفال من الجزيزة إلى سفينته الحربية سوف يبحر على الفور لاصطياد عدوه من الآدميين بنفس الطريقة الخالية من الرحمة أو العطف ، ومن ذا الذى سينقذ الشخص اليافع وسفينته الحربية ؟ . .

ومن المميزات التى تتميز بها رواية « جولدينج » استخدامه الرائع للرمز. و « أمير الذباب » هى ترجمة للكلمة العبرية Baalzevuv (Beelzevuv) باليونانية » وقد ذهب البعض إلى أنها ترجمة خاطئة لكلمة مكتوبة بحروف لغة أخرى أعطتنا هذا الاسم الذى يطلق على الشيطان ، وهو شيطان يوحى اسمه بأنه يكرس نفسه لتحقيق الفساد والدمار ، وتدهور المستوى الأخلاق، والهستيريا ، والهلع الجنونى ؛ ولذلك فهو شيطان يتلاءم تماماً مع الموضوع الذى تناوله « جولدينج » فى روايته .

والشيطان على هذا النحو غير موجود فى أى اتجاه تقليدى . والشيطان الذى صوره لنا « جولدنج » هو المعادل الحديث للقُوى الدافعة الفوضوية اللاأخلاقية التى يسميها.أنصار فرويد باسم Id أو الجانب اللاشعورى من النفس الذى يُعد مصدر الطاقة البيهمية والذى تنحصر مهمته على ما يبدو فى العمل على ضمان بقاء الجماهير التى يعد جزءاً منها ، أو مندمجاً فيها ، والذى يؤدى مهمته فى عناد هائل وعزم أكيد ، ومع أنه من الممكن العثور على أسماء أخرى لهذه القوى فإن الصورة الحديثة للشخصية - سواء أكانت مرسومة بمعرفة علماء اللاهوت أو المحللين النفسيين - تتضمن حتماً هذه

القوى ، أو تتضمن التركيبات الروحية الخارقة للطبيعة ، على أساس أنها المبدأ الرئيسى للإنسان الفطرى Natural Man . ومعتقدات الحضارة والقواعد الأخلاقية والاجتماعية ، والأنا Ego ، والذكاء فى حد ذاته ، لا تشكل سوى مظهر خارجى خادع فوق هذه القوى الحماسية الشديدة السخونة ، والقوى الجامحة التى لا يمكن السيطرة عليها . ولقد عثر «دستويفسكى » على الخلاص فى هذه الحرية ، وإن كان قد وجد فيها أيضاً الإدانة واللعنة ، أما ييتس Yeats فقد وجد فيها المصدر الوحيد للعبقرية الخلاقة (مهما يكن من لهب فوق الليل / فقد غذاه القلب الراتنجى للإنسان) .

و « كونراد » قد روعه « قلب الظلام » هذا . ويجد الوجوديون فى إنكار هذه الحرية مصدر الإفساد لجميع القيم الإنسانية . وحقيقة الأمر أن المرء باستطاعته - إذا كان ميالاً للغاية - أن يتفحص بدقة مجموعة المبادىء والقوانين والمعايير الخاصة بالأدب والفلسفة وعلم النفس ، ويجد هذا الدافع الأساسى الهائل الذى يحدد النتائج الجوهرية والأحكام الرئيسية للفكر المعاصر .

وظهور هذه الوحشية الأساسية المستترة هو موضوع هذه الرواية . فالصراع بين « رالف » الذى يمثل الحضارة ببرلماناته ، وبالمقدرة العقلية الفائقه لصديقه ، وبين « جاك » الذى تتحرق فى داخله شرارة الوحشية على نحو أشد وأقرب إلى السطح مما هى عليه عند « رالف » والذى يعد قائداً لقوى الفوضى فى الجزيرة ويعد أيضاً الصراع فى المجتمع الحديث بين نفس تلك القوى على نطاق عالمى :

« إننى إنسان جاد ووقور للغاية ، وأنا أعتقد أن الانسان يعانى من جهل مروع بالطبيعة الخاصة به ، وأنا أولى بوجهة نظرى ، اعتقاداً منى بأن رأيى

ربما يكون شيئاً ما شبيهاً بالحقيقة ، وإننى مهتم للغاية بورطة الجنس البشرى، ولكنى أنظر إلى تلك الورطة على أنها أكثر أهمية بكثير من مجموعة المشاكل التى تضم مسألة الضرائب وعلم الفلك .

لقد كتب « وليام جولدينج » تلك الكلمات رَدًّا على استبانة أدبية قامت بها إحدى المجلات تحت عنوان : « الأديب من خلال العصر الذى يعيش فيه » . إذ أثارت الاستبانة مسألة اهتمامات الأديب : هل ينبغى للأديب أن يشغل نفسه بالقضايا السياسية والاجتماعية التى تبزغ فى عصره ؟ وإجابة «جولدينج » على هذا التساؤل هى إجابة واضحة : إن مهمة الكاتب هى أن يبين للإنسان صورته المتنوعة . والاهتمام على هذا النحو - وليس الاهتمام باللحظة الحاضرة ، وإنما الاهتمام بما هو أساسى وجوهرى فى الوضع الإنسانى ، وفى الهياكل والأشكال - هو الذى جعل « جولدينج » يخلق ويبتدع ويصبح متفرداً .

وقد وصف « جولدينج » نفسه بأنه « مواطن وروائى » .

ووصف « جولدينج » رواياته بأنها أساطير ، وبأنها قصص خرافية ذات مغزى ، وكلا هذين الوصفين يشيران بالفعل إلى خاصية فى رواياته ، وهى أنه من الضرورى أن تعترف أن رواياته تعكس أفكاراً أخلاقية ، مرسومة بدقة غير عادية ، وموضوعة فى قالب من المفاهيم الذهنية ، ومتخذة الطابع القياسى . ولكن مازال الوصفان غير مقنعين تماماً ؛ لأن كليهما يوحى بوجود درجة من التجريد ، ووجود عنصر الأساطير الخرافية ، وهو أمر غير موجود فى روايات « جولدينج » . ويبدو أنه من الأفضل لنا أن نسمى رواياته بأنها مجرد « روايات » مع الاعتراف فى نفس الوقت بأن لها خصائص معينة متعلقة بالشكل أو القالب ، مما يجعلها متميزة ، ومختلفة تماماً عن معظم الروايات السائدة .

وأهم هذه الخصائص هى أن « جولدينج » يكيف طريقة أساليبه الروائية بحيث يجعل منها صوراً للأفكار والآراء ، ويجعل منها صيغا إبداعية خيالية للتعميمات ، بمعنى أن الشكل أو القالب فى حد ذاته يحمل المعنى ، بغض النظر عن المعانى التىَ يتم التلميح إليها عن طريق إحدى الشخصيات بالرواية ، أو المعانى التى يذكرها المؤلف على نحو تعليمى ووعظى وإرشادى إلى حد ما . ولقد قال « جولدينج » : « لقد أوحيت فى جميع رواياتى إلى شكل أو قالب فى الكون قد يقوم بتقديم تعليل أو تفسير للأمور والأشياء » .

ولكى يجذب « جولدينج » انتباه قرائه إلى ذلك القالب أو الشكل فإنه قد اختار مواقف من شأنها أن تعزل ما هو أساسى وجوهرى ، مع تجنب كل من الوجود الموضوعى والذاتى للمؤلف . وجميع رواياته - باستثناء رواية واحدة - توظف موقفاً يتسم بأنه بعيد فى الزمان أو المكان ، وتستخدم شخصيات تختلف عن المؤلف اختلافاً جذرياً وجوهريا ، كما تستخدم أسلوباً قصصياً يتسم بأنه أسلوب رفيع المستوى وتحليلى، علاوة على اتصافه بالحصافة وحسن التمييز ، وبالتالى فإنه ينبغى علينا أن نبحث عن النواحى الإنسانية المتصلة بالعمل المكيف وفق نموذج معين ، فإذا قمنا بتحديد «التطابق » فإن ذلك التطابق ينبغى أن يكون تطابقاً مع مغزى القصة - ومع المفهوم الذهنى عن الإنسان وعن الكون - وليس مع هذه الشخصية أو تلك .

والقوالب التى يستخدمها « جولدينج » تحمل فى طياتها معانى وتضمينات لكل من نوع العمل الذى تم اختياره ونوع الشخصيات المتضمنة فى داخل العمل . ونظراً لأن « جولدينج » يعتزم تضمين الحقائق العامة فى داخل رواياته فإنه يكون ملتزماً باختيار وانتقاء تلك التجارب البشرية التى يمكن النظر إليها من النوع الذى يكون نموذجاً أو مثلاً يُحتذَى به ، وليست

مجرد شيء طبق الأصل ، إذْ لا يكفى الإشارة إلى أن الحدث الروائى قد يحدث فى الحياة الواقعية ، فالحدث فى روايات « جولدينج » لكى تكون له مبرراته فإنه ينبغى أن يحمل نصيبه من المعنى الذى يسير وفق نموذج ، وبالتالى فإن روايات « جولدينج » تميل فى معظمها لأن تكون قصيرة ولها نسيج أو بنية مكثفة ، بالإضافة إلى أن الشخصيات - والتى عادة ما تكون مخلوقات آدمية لها أبعاد ثلاثة على نحو مقنع - قد تُوَظف أيضاً على أنها نماذج أصلية لواجهات طبيعة الإنسان - أو واجهات للإدراك السليم ، أو الشراهة ، أو الإرادة .

ومن أهم مواهب « جولدينج » مقدرته على جعل الشخصيات تقدم نموذجاً للأمور المجردة بدون أن تتحول فى حد ذاتها إلى أمور مجردة .

وما نعترف به - إذا ما اخترنا أن نسمى « جولدينج » كاتباً روائياً - هو أن القصة كلها لا يمكن اختصارها أو تحويلها إلى افتراض أو قضية أخلاقية - فمن الواضح أن هذا غير صادق - وإنما يمكن القول إنه يكتب من منطلق افتراضات أخلاقية قوية وواضحة . ولكن إذا كان إيسوب AESOP ولافونتين La Fontaine قد كتبا القصص الخرافية ذات المغزى of able فإننا نكون بحاجة إلى اصطلاح آخر نطلقه على القصص التى كتبها «جولدينج » . ولعلنا نستعير اصطلاحاً من علم الجمال السكولاستى المدرسى فنسمى روايات « جولدينج » بأنها روايات مجازية أو أخلاقية Tropological ، بمعنى أنَّ رواياته تنفرد بخاصية أنها تشير إلى قالب أو شكل فى الكون ، وأنها تبنى كنماذج لمثل هذه القوالب الأخلاقية . وإذا كانت كلمة مجازية Tropological تبدو عالية ونقدية أكثر من اللازم فإنه يمكن أن نكتفى بالقول بأنها نماذج أخلاقية more models فما نريد أن نقوله هو أن هناك ما يوحى بوجود خاصية السير وفق نماذج يحتذى بها فى

روايات جولدينج ، مع الاعتراف بالافتراضات التى تشير إليها تلك الخاصية ، إذ نجد أن جولدينج يتقبل أفكاراً تقليدية معينة عن الإنسان وعن مكانه فى هذا العالم ، وأن العقل البشرى من خلال التأمل والتفكير يمكنه أن يصل إلى معرفة الحقائق ، ولربما يجد العقل البشرى معانى موجودة فى الماضى البعيد ، ومع ذلك فهى معانٍ متلائمة مع الوقت الحاضر ، ومتاحة من خلال الذاكرة ، بل ولربما يهتم العقل البشرى بالأمور الميتافيزيقية والنواحى الأخلاقية ، وليست كل هذه الأفكار سائدة ومنتشرة الآن ، وهى بالتأكيد ليست سائدة بين الرواد الأوائل فى الفن القصصى الروائى ، وبالتالى فإن الإنتاج الأدبى لجولدينج قد يبدو فى سياق عصره وزمانه أكثر اتساماً بالمواعظ التعليمية والأخلاقية مما هو عليه فى حقيقة الأمر ، فعلى الرغم من أن « جولدينج » متمسك فى حياته بمبادىء الفضيلة والأخلاق الحميدة ، ويُعد موجهاً معنياً برفع مستوى الأخلاق عند الناس - فإنه ليس صانعاً للمغزى من وراء القصص ، وبالتالى فإن رواياته لا تنتمى إلى نوع قصص « إيسوب » ، وإنما تنتمى إلى الروايات الرمزية الهامة التى تميز بها القرن العشرون ، بل وتنتمى إلى روايات كل من : « ألبير كامى » ، « وفرانز كافكا ».

لقد بنى « جولدينج » روايته « أمير الذباب » على عدد من الأعراف والاصطلاحات والعادات المتبعة السائدة تقريباً ، فهو أولاً - وقبل كل شىء- قد استخدم العرف المتبع فى قصص الخيال العلمى عندما وضع سلسلة الأحداث التى تشكل الأثر الأدبى - أو الـ Action فى زمن المستقبل، وبذلك وضع ما هو محتمل فى نهاية الأمر محل ما هو حقيقى على نحو قوى مما كان يحمى قصته من الأحكام الموضوعية الحرفية المتعلقة بالتفاصيل أو المتعلقة بالمصداقية والمعقولية . إذ يتم نقل حمولة طائرة من

الأولاد من إنجلترا المتورطة فى حرب ما مستقبلية ضد « الشيوعيين » ، وعقب رحيل الطائرة التى تقل هؤلاء الأولاد تسقط قنبلة ذرية على إنجلترا ، وتصبح الحضارة بإنجلترا فى حالة من الخراب والدمار ، وتنطلق الطائرة بالأولاد متجهة نحو الجنوب والشرق ، متوقفة فى جبل طارق وأديس أبابا ، وتواصل انطلاقها نحو الشرق . وفوق المحيط الهندى أو ربما فوق الباسفيك تتعرض الطائرة لهجوم من جانب طائرة معادية ، ويتم إلقاء الأولاد من الطائرة التى تقل الأولاد ، وبعدئذ تنفجر الطائرة التى كانت تقل الأولاد وتشتعل فيها النيران وتتحطم تماماً ، ويهبط الأولاد فوق جزيرة صحراوية بدون أن يُصابوا بأية أضرار .

وبعدئذ يدخل تقليد أو عرف أدبى آخر ، فالجزيرة الصحراوية تشترك فى بعض الخصال والصفات الأدبية مع قصص الخيال العلمى ، فكلتاهما تعرض موقف « ما الذى يمكن أن يحدث إذا . . . » ، والذى يتم فيه تبسيط التجربة الحقيقية لكى يتم النظر إلى بعض القيم والمشكلات بمعزل عن باقى الأمور ، وكلتاهما تميل إلى تبسيط القضايا الأخلاقية الإنسانية من خلال تجسيد وتبرير الخير والشر ، وكلتاهما تقدم المناسبات الخاصة بالنزوات والخيالات اليوتوبية .

ويمكننا أن نقول إن « أمير الذباب » هى بمثابة دحض أو تفنيد لرواية «جزيرة المرجان » ، وإن « جولدينج » يريد أن يوضح لنا أن الشيطان لا ينشأ عن القراصنة وأكلة لحوم البشر وغيرها من المخلوقات الغريبة ، وإنما ينشأ عن الظلام الموجود فى قلب الإنسان . والاتجاه السائد فى جزيرة المرجان يوجد فى رواية « أمير الذباب » - إذ نجد أن « جاك » يبدو متشابهاً إلى حد كبير مع جاك الذى قدمه لنا « بلانتين » عندما يقول : « على كل حال نحن لسنا متوحشين وهمجيين ، وإنما نحن إنجليز .

ونظراً لأن رواية « أمير الذباب » هى رواية رمزية ، فإن أفضل تناول لها هو أن نتفحص أولا معنى كل شخصية من الشخصيات الرئيسية ، وبعدئذ نعكف على التأمل فى مدى أهمية العلاقات المتداخلة بين تلك الشخصيات . وهنا نجد أن « رالف » – وهو الراوى الذى يستخدم صيغة المتكلم فى رواية جزيرة المرجان – يقدم وجهة النظر الراسخة ؛ لأنه يتكلم نيابة عنا ، فهو يعبر عن الجنس البشرى العقلانى غير المعصوم من الخطأ ، فرالف هو الرجل الذى يتقبل المسئولية ويشعر أنه غير لائق لتحمل المسئولية، ومع ذلك فهو يتقبلها ؛ لأنه يعتقد أن البديل عن المسئولية هو الوحشية والفوضى الأخلاقية ، ويتخذ المحاورة كطوطم أو رمز مقدس خاص به ، جاعلاً من المحاورة الرمز الخاص بالمناقشات العقلانية المنظمة .

والخصم اللدود لرالف هو جاك الذى يمثل « العالم البراق للصيد والقنص والتكتيكات والانتعاش الوحشى والمهارات ، فى حين أن « رالف » يمثل عالم الإدراك السليم المملوء بالحيرة والارتباك والتشوق ، وبينهما توجد علاقة أو رابطة يتعذر تحديد طبيعتها ، فهما مثل قابيل وهابيل على النقيض من بعضهما البعض ، إلا أنهما مرتبطان ارتباطاً وثيقاً مع بعضهما البعض – الرجل المدمر فى مواجهة الرجل المسالم المحافظ . وجاك هو الصياد وهو الولد الذى يصبح وحشاً مفترساً .

وهو الذى يستخدم كلمة « اقتل » كفعل لازم . فالقتل فى حد ذاته هو غاية من وجهة نظره ، وهو أيضاً الدكتاتور ورجل السلطة الفاشستى الذى يبرز على مسرح الأحداث كرقيب للتدريب العسكرى ، يمقت الاجتماعات، ويكره المناقشات ، ويبغض المحاورة ، والذى يصبح فى نهاية الأمر هو الحاكم المطلق على قبيلته . ويقوم بابتكار القناع المطلى بالألوان الخاص بالصياد ، والذى يمكن الولد أن يتخفى وراءه ، ويتحرر من الخجل والعار والارتباك أمام الآخرين . . وهو من خلال ولائه للأولاد يحولهم

إلى دهماء وغوغاء مجهولى الهوية ، وإلى وحوش قاتلة مفترسة ، ويحولهم إلى «مجتمع معتوه ، ولكنه مجتمع ينعم نسبياً بالأمن والأمان » .

وجاك هو أول شخص من بين الأولاد الأكبر سنّا الذى يقبل « الوحش » على أنه شيء يحتمل وجوده ، وهو الشخص الذى يقدم التضحيات الاسترضائية الاستعطافية للوحش ، فهو الكاهن الأعظم للشيطان أو لأمير الذباب .

وتتبقى شخصية « سيمون » وهى أصعب الشخصيات من حيث المعالجة ، فهو ولد خجول وملىء بالرؤى الخلاقة والخيالات الإبداعية ، وهو ذكى وسريع الفهم ، ولكنه عاجز عن التعبير عن رأيه والإفصاح عمّا يدور فى ذهنه .

وهناك فارق واحد بين روايات « جولدينج » وبين القصة الرمزية ، وهو أن روايات « جولدينج » تبرز المعانى من خلال سلسلة الأحداث التى تشكل العمل الأدبى Meaning-in-action فالحقائق العامة تعطى القالب القصصى أو الدرامى من خلال التخيل الخلاق . وإذا تأملنا فى معنى «أمير الذباب » فإنه لا يمكننا أن نتوقف فقط عند فكرة أن تفحص معنى الشخصية character meaning ينبغى أن تبزغ من سلسلة الأحداث التى تشكل الشخصية character-in-action . ففى سلسلة الأحداث القصصية تبرز مشاهد معينة من حيث هى مشاهد حاسمة ، ومعظم هذه المشاهد تعلن عن أهميتها من خلال كونها مشاهد رمزية صريحة وعلنية .

هذه الرواية قالب رمزى ، ولكنها ليست رواية رمزية ، فمن بين مظاهر هذا التمييز أن جولدينج قد ألف رواية لها نسيج لفظى مكثف غالباً ما يتخذ طابع الشعر . وفى داخل ذلك النسيج تعمل كل من الصورة والاستعارة أو المجاز مثلما تعملان فى الشعر ، وبحيث تثرى وتخفف الدلالات المكشوفة

العارية للقالب الأخلاقى وفى هذا الصدد نجد أن معالجة «جولدينج » لموت « سيمون » يعتبر مثالاً واضحاً يدل على ذلك بصفة خاصة .

ذلك هو الأسلوب الرائع لجولدينج فى أغنى صوره ، ولكنه أسلوب يخدم الغرض الذى يهدف إليه « جولدينج » فاللغة المجازية للضوء والمدلول الدقيق لكلمة شعاع القمر Moon - beam والفضة والإشراق والرخام يحدث ما يسمى بالتجلى ، أو تغيير الشكل الخارجى ، مما يجعل من جثة الطفل الميت أمراً جديراً بالاهتمام ، ويجعل موته نوعاً من السمو والنبل ، مثل تجلى السيد المسيح فوق الجبل ، وبمعايير المجاز أو الاستعارة فإن هذا النوع من إعطاء أهمية استعارية ربما يكون غامضاً وخادعاً ومضللاً ، وبمعايير القصة الرمزية فإن الأمر يبدو وكأنه تطبيق شرعى ومنطقى لفن كاتب بارع ومتمكن .

ولكى نعود لنتناول فى اختصار مسألة مستويات الشرح والتفسير : فإنه يبدو من الواضح أن الرواية « أمير الذباب » ينبغى أن تُقرأ على أنها رواية أخلاقية تشتمل على مفهوم ذهنى عن الرداءة الإنسانية التى يمكن أن توجد أو تتعايش مع النظرية المسيحية الخاصة بالخطيئة الأولى . والقول بأن هذه القصة هى رواية دينية يوحى بأن القيم الخاصة بها أكثر تطوراً وأكثر إيجابية مما هى عليه فى حقيقة الأمر . فجولدينج لا يشير إلى الرحمة الإلهية أو إلى الألوهية ، وإنما هو يشير فقط إلى الظلام الموجود فى قلوب الناس . وربما يكون « سيمون » قديساً ، والقديسية هى حالة إنسانية لها قيمتها العالية ، ولكنه لا يوجد دليل فى الرواية يشير إلى أن قدسية « سيمون » قد أحدثت تأثيراً على أى شخص ، باستثناء سيمون نفسه . والرواية تحدثنا كثيراً عن الشرور والآثام والخطايا ، ولكنها تلتزم بالصمت إزاء الإنقاذ والخلاص .



عبد الحميد الجمال

* ولد فى ٢٢ من يناير سنة ١٩٣٤ بقرية كفر الجمالة - الشهداء - منوفية .

* حصل على ليسانس الفلسفة من جامعة القاهرة عام ١٩٥٦ .

* عمل بالتدريس في المملكة العربية السعودية .

* يعمل مديراً للسياحة بمحافظة مطروح .

من أهم ترجماته :

* جذور : لأليكس هيلى .

* مغزى القرن العشرين : لكنيث بولدنج .

* الأوتوبيس الجامع : لجون شتاينك - روايات الهلال ١٩٨٨ .

* النشر : لمادلين لينجيل - الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٩ .

الفنيـــون

الإشراف الفنى : **محمد طنطاوى**

التصفيف : **نجلاء فتحى**

التصحيح : **عبد الحكيم بيومى**

مونتاج : **جودة عبد الصادق**

عربية للطباعة والنشر

٧ ـ ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين

تليفون : ٣٠٣١٠٤٣ ـ ٣٠٣٦٠٩٨

كلمة إلى القارئ

الذين فازوا "بجائزة نوبل" في الآداب. هل فازوا بها عن جدارة ؟ وهل فازوا بها لأسباب موضوعية ؟

هذه السلسلة "روايات جائزة نوبل"..

تصدر للإجابة عن هذه التساؤلات فهي لا تكتفي بترجمة أفضل روايات هؤلاء الكتاب وأشهرها، ترجمة كاملة وأمينة بلغة عربية رصينة وأسلوب بلاغي عصري، ولكنها تضمن الترجمة مقدمة تاريخية وافية عن الكاتب، وتحليلية دقيقة عن فكره وأدبه ولغته وأسلوبه ورواياته، حتى يجد القارئ والدارس والأديب الناشئ، ما يسعده ويفيده ويلبي حاجته الثقافية..

من هنا المنطلق لابد من إعادة الفضل إلى أصحابه والاعتراف باستجابة ناشرنا المثقف «محمد رشاد» لهذا المشروع الطموح ثقافياً رغم مغامراته المادية في عالم النشر. والله الموفق دائماً

فتحي العشري


الأهرام
AL - AHRAM